عبد المنعم منيب

التنظيم والتنظير



تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضى والحاضر والمستقبل

مكتبة مدبولى

التنظيم والتنظير

تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضي والحاضر والمستقبل

اسم الكتاب : التنظيم والتنظير

تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضي والحاضر والمستقبل

المؤلف : عبد المنعم منيب

الطبعة : الأولى

رقم الإيداع : ٢٠٠٩/٢٣٧٥٦

الترقيم الدولى : ٢ - ٨٢٨ – ٢٠٨ – ٩٧٧

الناشر : مكتبة مدبولى

٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة

ت : ٢٥٧٥٦٤٢١ ف : ٢٥٧٥٢٨٥٤

Web site : www.madboulybooks.com

E_ mail : info@madboulybooks.com

عبد المنعم منيب

التنظيم والتنظير

تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة بين الماضي والحاضر والمستقبل

مكتبة مدبولى

٢٠١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

رغم الدور الهام الذى تلعبه الحركات الإسلامية بكل تياراتها في الحياة السياسية والاجتماعية في عالمنا الإسلامى فإن التاريخ الحقيقي والتفصيلي لمعظم هذه الحركات ما زال غير مكتوب بسبب السرية التى تتبعها معظم هذه الحركات فى سلوكها السياسي حيناً، وبسبب اهتمام هذه الحركات بالجوانب العملية من العمل السياسى والدعوى على حساب الجوانب النظرية أحياناً أخرى، كما يوجد سبب آخر لذلك، هو أن هذه الحركات دائما لا تهتم بكتابة تاريخها.

ولقد اهتممت منذ أكثر من عشرين عاماً بمحاولة توثيق تاريخ الحركات الإسلامية المصرية من أفواه صانعى أحداثها والمشاركين فيها حتى إننى من كثرة ترددى على هؤلاء الأشخاص ومناقشتى لهم في رواياتهم عن هذه الأحداث قد حفظت معظم هذه الأحداث عن ظهر قلب ولم أعد أحتاج إلى الاحتفاظ بها مكتوبة، وقد نفعنى الله بهذا الحفظ عندما استولت الأجهزة الأمنية على كتاباتى التى لم تكن قد نشرت حتى ذلك الوقت عند اعتقالي في فبراير عام ١٩٩٣م، صحيح أننى قد دفعت ثمن جمع وتوثيق مثل هذه الأحداث ١٥ عاماً متواصلاً من الاعتقال لأن أجهزة الأمن اعتبرت أن هذا العمل هو نوع من الترويج لهذه الحركات، لكن على كل حال فقد كان لهذا الاعتقال فوائد عديدة منها أنني تقابلت مع عدد لا بأس به من قادة منظمة القاعدة وكذلك قادة الشوقيين وقادة جماعة شكري مصطفى في السجن وغيرهم من قادة الحركات الإسلامية المختلفة مما مكنني من استكمال أرشيفي التاريخي والسياسي والفكري عن الحركات الإسلامية بكل فصائلها.

وكان أملي عندما خرجت من المعتقل في أغسطس ٢٠٠٧م أن أضع كتاباً يضم توصيفاً كاملاً للجماعات الإسلامية المختلفة وعرضاً لأفكارها ومواقفها السياسية والدينية المختلفة بشكل مفصل وتقويماً لذلك كله، ولكن مشاغل الحياة ومشكلاتها عرقلت قيامي بهذا الأمر حتى الآن، فقررت عوضاً عن ذلك أن أجمع وأبوب عدداً من الموضوعات الصحافية التي كتبتها عن التيار الجهادي في مصر وعن منظمة

القاعدة وأكمل تبويبها بكتابة بعض المواد الأخرى ليخرج هذا الكتاب إلى النور على أمل أن أتمكن فيما بعد من كتابة كتاب أو كتب أخرى تحقق ما كنت أرجوه.

ولا شك أن هذا العمل مهم جداً ليس فقط للحركات الإسلامية التى اعتاد معظمها على تكرار أخطائها ولكنه أيضاً مهم لجميع المهتمين بالتاريخ والسياسة وحركات الإسلام السياسى.

لكننا لابد أن نشير إلى أننا لسنا بحاجة إلى التنبيه على أن هذه المقالات توخينا فيها ما يستطيعه الباحث الموضوعى من التجرد والموضوعية والحياد والموازنة بين كل الروايات وتمحيصها بكل موضوعية وتجرد، لأن ذلك سيلمسه القارئ بنفسه.

ولقد حتم ذلك الاعتماد على روايات متعددة من مصادر مختلفة للحادثة الواحدة، لكننا في هذا الكتاب لن نعرض لتفاصيل التعدد والاختلاف في الروايات لسببين:

الأول: التعجل في إخراجها للقراء.

الثانى: أن هذه المقالات التي يتكون منها الكتاب قد اتخذت الشكل الصحافي لأن كثيراً منها سبق ونشر في شكل تقارير أو مقالات صحافية فلزم أن تكون سهلة وقصيرة وسائغة للقراء.

ولا يخفى على القارئ الكريم أن هذا الكتاب ليس من شأنه أن يتفق أو يختلف مع ما قد يروجه بعض قادة هذه الحركات إعلامياً بشأن تاريخ حركاتهم لأن لمثل هذا الترويج في أحيان كثيرة أهدافاً سياسية آنية اقتضت كثيراً من هؤلاء القادة أن يغيروا التاريخ الحقيقى للأحداث وربما نعرض لبعض الأمثلة على ذلك في كتب أخرى إن شاء الله.

ومن ناحية أخرى لابد أن نشير إلى أن هذا الكتاب ليس من شأنه مدح التيار الجهادي أو ذمه أو تقييمه لكنه يهتم بتوصيف الحالة وما تم فيه من نقد فقد انصب على النواحي السياسية أما النواحي الفقهية فهى تحتاج كتاب آخر إن شاء الله.

ولقد وجدنا أنه من الضرورى أن نبدأ الكتاب بتمهيد عن جماعات تيار الجهاد في مصر بسبب شيوع الغموض في هذا الصدد.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

عبد المنعم منيب

التمهيد

جماعات تيار الجهاد في مصر

في عام ١٩٦٦م تأسست الخلايا الأولى لتنظيم الجهاد المصري والتي ظلت تتوسع وتنتشر حتى بلغت عشية اغتيال السادات عدة آلاف من الأعضاء، وقد تعرض تنظيم الجهاد لعدد من الضربات الأمنية الموجعة كان أولها إثر فشله في القيام بانقلاب عسكري ضد الرئيس السادات عام ١٩٧٤م فيما عرف إعلامياً بعملية الكلية الفنية العسكرية، ثم جرت محاكمة لقادة التنظيم وحكم عليهم بالسجن لمدد متفاوتة عام ١٩٧٧م، وكذلك مرة أخرى في عام ١٩٧٩م لكن القضية جرى حفظها، ثم نجح التنظيم في اغتيال الرئيس السادات (٦ أكتوبر ١٩٨١م) في إطار محاولة للقيام بانقلاب عسكري لكن الانقلاب فشل، وإثر ذلك جرت للتنظيم عدة محاكمات وفقاً لقانون الطوارئ وسجن عدد منهم بينما خرج آخرون من السجن.

وكان ممن خرجوا من السجن حينئذ كل من **دكتور أيمن الظواهري** قيادي جماعة الجهاد البارز حينئذ **والرائد عبد العزيز الجمل** الذي أصبح فيما بعد قائد "الشق العسكري" في تنظيم الجهاد المصري في بيشاور **وعلي الرشيدي** المشهور بأبي عبيدة البنشيري والذي أصبح بعد خروجه من السجن من القادة العسكريين البارزين في تنظيم الجهاد المصري في بيشاور بعد أن تلقى دورات عسكرية متقدمة جداً كما شارك في تأسيس تنظيم القاعدة وقاده إلى أن غرق في بحيرة فيكتوريا في أحدى سفرياته في أفريقيا.

وكما خرج من السجن في نفس الفترة **رفاعي طه ومحمد شوقي الإسلامبولي** القياديان البارزان في الجماعة الإسلامية علماً بأن محمد هو شقيق **خالد الإسلامبولي** قائد الخلية التي نفذت عملية اغتيال السادات.

وتم فصل العديد من ضباط الجيش من أعضاء تنظيم الجهاد إثر اغتيال السادات وممن تم فصله حينئذ عقيد الصاعقة **على أبو السعود** الذي تولى قيادة التدريب والمشرف على معسكرات تنظيم الجهاد في أفغانستان وهو الآن محبوس مدى الحياة في الولايات المتحدة لأنه مارس نشاطه في تنظيمي الجهاد والقاعدة بعدما حصل على جنسية الولايات المتحدة والتحق بالمارينز وقد أدين بالتخطيط لتفجير سفارتي أميركا في كينيا وتنزانيا.

ولأسباب موضوعية وأمنية وتاريخية عديدة كان تيارالجهاد قبل اغتيال السادات مكونا من منظمات ومجموعات وخلايا عدة لكنها أقرب إلى التعاون فيما بينها أكثر من التنافس، لكن ابتداء من ١٩٨٣م احتدم التنافس بين أكبر منظمتين في تيار الجهاد وهما جماعة الجهاد الإسلامية بقيادة **أيمن الظواهري وعبود الزمر وعصام القمري وطارق الزمر** وغيرهم والجماعة الإسلامية بقيادة **كرم زهدي ورفاعي طه وعصام دربالة وناجح إبراهيم**.

وبعد ١٩٨٨م دخل تيار الجهاد في صراع دموي مع نظام حكم الرئيس مبارك وازدادت دموية هذا الصراع من ١٩٩٠م وحتى نهاية عام ١٩٩٧م حيث بدأت الجماعة الإسلامية مبادرة وقف العنف، وكانت جماعة الجهاد قبلها بعام قد أصدرت بياناً تعلن فيه وقف العمليات المسلحة في مصر لكنه لم يأخذ حيزاً من اهتمام وسائل الإعلام.

مراجعات الجهاد

وابتداء من ١٩٩٩م بدأ العديد من قادة جماعة الجهاد المصرية في السجون المصرية ما سمي بمراجعات الجهاد.

لكن سرعان ما ظهرت تنظيمات عديدة جديدة تتبنى فكر جماعة الجهاد أو القاعدة بمعزل عن قادة الجهاد القدامى مما شكل تحدياً خطيراً للأجهزة الأمنية، حيث كان ارتباط الأجيال الجديدة من الجهاديين بالقادة القدامى يمثل خيطاً مهماً لأجهزة الأمن لكشف المجموعات الجهادية الجديدة، لكن ظهور منظمات ومجموعات جديدة كلها ليس لها أية ملفات لدى أجهزة الأمن ساعد على مفاجأة الأجهزة الأمنية في عمليات تفجيرات طابا

(٢٠٠٤م) وشرم الشيخ (٢٠٠٥م) ودهب والأزهر وميدان عبد المنعم رياض (ثلاثتها في ٢٠٠٦م)، صحيح أنه تم تصفية هذه المجموعات ولكن بعدما نفذوا عملياتهم، كما أن أجهزة الأمن تكتشف من حين لآخر مجموعات جهادية صغيرة إما تحمل فكر "جماعة الجهاد المصرية" أو فكر "قاعدة الجهاد" بقيادة أسامة بن لادن.

الفرق بين الجهاد والجماعات الإسلامية الأخرى

ولكن ما هي رؤية جماعة الجهاد الإسلامية المصرية لوسيلة التغيير وأولوياته وما الفرق بينها وبين الجماعات الإسلامية الأخرى؟؟

تتلخص رؤية الجهاد للواقع بصفة عامة في أن ضعف المسلمين وتخلفهم يرجع إلى البعد عن الإسلام بالمفهوم الذي تراه هذه الجماعات وهنا جماعة الجهاد لا تختلف عن أي منها ولكن يأتي الخلاف في استراتيجية التغيير التي تبنتها جماعة الجهاد والوسائل التي اتبعتها وذلك كله انطلاقاً من تصورها عن الواقع السياسي الإسلامي المعاصر.

لقد تصورت جماعة الجهاد الواقع السياسي الإسلامي في إطار الحديث الصحيح المشهور والذي تفهم كل الحركات الإسلامية من خلاله ماضي الأمة الإسلامية وحاضرها ومستقبلها والذي يقول فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) "تكون النبوة فيكم ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون فيكم ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء الله أن يرفعها ثم يكون ملكاً عضوضاً فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ثم يكون ملكاً جبرياً فيكون فيكم ما شاء الله له أن يكون ثم يرفعه الله إذا شاء أن يرفعه ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ثم سكت"، فجميع الحركات الإسلامية ترى أن النبوة المذكورة في الحديث هي عصر حكم النبي للمسلمين بينما الخلافة على منهاج النبوة تبدأ بعصر أبي بكر الصديق وتنتهي بيوم تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان وأن من معاوية وحتى بداية العصر العباسي الثاني هو الملك العضوض أي الظالم وأما المرحلة الحالية فهي مرحلة الملك الجبري، أي

ما نسميه بلغة العصر أنظمة الحكم العسكرية التي [illegible]

الانقلاب العسكري.

إلى هنا تتفق كل فصائل الحركة الإسلامية الحديثة تقريباً على هذا التوصيف بل تتفق معها كثير من فصائل الحركة الإسلامية التقليدية على نفس التوصيف، ولكن كل هذه الفصائل تنحصر خلافاتها وتمايزاتها في كيفية التعامل مع هذا الواقع.

فالجهاد يرى أنه ما دامت حكومات العالم الإسلامي قد اغتصبت الحكم بالانقلاب العسكري رغماً عن الشعوب وبمساندة ومباركة من الاستعمار الغربي فإنه يحق للمسلمين أن يستردوا حقهم المغتصب بالقوة المسلحة، ورأى الجهاديون المصريون أن الاستيلاء على الحكم في العالم الإسلامي أولى من قتال الغرب رغم كل الظلم الذي يظلمه الغرب للمسلمين وقد اعتمدوا في ذلك على القول بأن أنظمة الحكم في العالم الإسلامي هي عدو قريب بينما الغرب هو عدو بعيد واستدلوا على أولوية قتال العدو القريب بقوله تعالى "يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة" ومعنى"يلونكم" أي الأقرب إليكم.

العدو القريب والعدو البعيد

كما أن قيادة **دكتور صالح سرية** (وهو فلسطيني) لمحاولة انقلابية قام بها تنظيم الجهاد المصري عام ١٩٧٤م في مصر تظهر مدى إيمان الجهاد المصري بتقديم ما يسمونه بالعدو القريب على أى عدو آخر بما في ذلك إسرائيل فصالح سرية فلسطيني ومع ذلك قام بنشاطه الجهادي ضد حاكم عربي وليس ضد الصهاينة في فلسطين المحتلة، ولا تقتصر دلالة حركة صالح سرية على ذلك فقط بل فيها دلالة أخرى هامة جداً تبرز مدى اهتمام تنظيم الجهاد بمصر **فصالح سرية** فلسطيني وعاش فترة طويلة في عدد من الدول العربية المختلفة على رأسها العراق والأردن ومع ذلك ركز محاولته التغييرية على مصر بالذات.

وفي الواقع فإن تنظيم الجهاد المصري والعديد من الجهاديين الإسلاميين حول العالم يرون أنه يجب التركيز على الاستيلاء على الحكم في مصر لتكون القاعدة والمنطلق الذي تنطلق منه عملية التغيير الإسلامي إلى جميع أنحاء العالم الإسلامي لما لمصر - في رأيهم - من تاريخ ومكانة وإمكانيات وموقع جغرافي هام، وقد ساقوا أدلتهم على هذا الطرح في العديد من أدبياتهم السياسية مثل كتاب "فلسفة المواجهة" **لطارق الزمر**.

وإذا كان تنظيم الجهاد المصري قد اعتمد استراتيجية التغيير بالقوة المسلحة فإنه اتخذ من الانقلاب العسكري وسيلة وحيدة لتنفيذ هذه الاستراتيجية حتى عام ١٩٨٠م عندما أدخل عبود الزمر فكرة أن الانقلاب العسكري لابد أن تصحبه تحركات شعبية مؤيدة له، وظلت هذه هي وسيلة الجهاد المعتمدة للتغيير إلى أن تشرذم التنظيم وضعف بعد انضمام كثير من قادته الكبار للقاعدة عام ١٩٩٩م، كما تم قتل القادة الكبار الآخرين الذين رفضوا الانضمام إلى القاعدة وأصروا على بقاء تنظيم الجهاد على استراتيجيته القديمة بعيداً عن استراتيجية القاعدة، وكان مقتل هؤلاء في القصف الأمريكي لأفغانستان خاصة قندهار وكابول وكان منهم نصر فهمي وغيره.

الهجمات المسلحة المحدودة وموقعها من استراتيجية الجهاد

رغم أن الجهاد يختزل فكرته كلها عن التغيير في الانقلاب العسكري إلا أنهم وضعوا في استراتيجيتهم ما سمي بالعمليات الخاصة وهي (حسب وجهة نظرهم) عمليات مسلحة محدودة ضد رموز الحكومة وجهاز الأمن بهدف الضغط على الحكومة بغرض وقف تعذيب المعتقلين أو الإفراج عنهم ونحو ذلك ومن هذا المنطلق نفذوا محاولات اغتيال رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقي ووزير الداخلية الأسبق حسن الألفي ونحوها من العمليات.

الفرق بين القاعدة والجهاد المصري

هناك فرق بين الجهاد المصري والقاعدة رغم أن كوادر الجهاد كانوا هم الركيزة الأساسية في تأسيس وإدارة القاعدة، فالقاعدة تبنت منذ ١٩٩٨م استراتيجية محاربة الولايات المتحدة وحلفائها عبر ضرب مصالحهم في أي مكان في العالم بهدف إضعاف يدها ونفوذها في المنطقة، الأمر الذي سيمنعها - حسب رأيهم - من مساندة حكام العالم الإسلامي الذين نجحوا في التغلب على محاولات الجهاديين في الحصول على الحكم بسبب المساندة الأمريكية، كما أن القاعدة بجانب ذلك تهدف بهذه العمليات إلى كسب تأييد الجماهير في العالم الإسلامي لدعم خط القاعدة ومحاولاتها المستقبلية للحصول على الحكم.

وقد شرح هذه الاستراتيجية كثيراً أيمن الظواهري في مناسبات شتى، لكن في حقيقة الأمر مبتكر هذه الاستراتيجية الأصلي هو أبرز المفكرين الاستراتيجيين في القاعدة أبو مصعب السوري، لكن الظواهري تلقاها منه واقتنع بها بعدما نجحت السي آي إيه في معاونة الأجهزة المصرية في توجيه ضربات موجعة إلى الجهاد المصري، وقام الظواهري بإقناع أسامة بن لادن بها، ومن ثَمَّ نشأ سلوك القاعدة المسلح الذي يستهدف العدو البعيد قبل العدو القريب خلافاً لرأي الجهاد المصري.

الجماعة الإسلامية

كانت الجماعة الإسلامية قد تكونت كحركة طلابية في منتصف السبعينيات من القرن الماضي داخل جامعة أسيوط (مثلها مثل سائر الحركات الطلابية التي تكونت في كل جامعات مصر في هذه الفترة) على أيدي مجموعة من الطلاب كان أبرزهم **أبو العلا ماضي ومحيى الدين عيسى وصلاح هاشم وكرم زهدي وناجح إبراهيم ورفاعي طه وأسامة حافظ**، وفي ١٩٧٨م عرض الإخوان على كل الجماعات الإسلامية بجميع الجامعات الانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين فاستجاب البعض ورفض البعض وكان ممن استجاب وانضم إلى الإخوان المسلمين **أبو العلا ماضي ومحيى الدين عيسى** وممن رفض كرم زهدي

وناجح إبراهيم ورفاعي طه وصلاح هاشم وأسامة حافظ ومعهم أغلبية جماعة جامعة أسيوط.

ومنذ أن عرض محمد عبد السلام فرج عليهم فكر واستراتيجية الجهاد عام ١٩٨٠م تبنت الجماعة الإسلامية بقيادة كرم زهدي استرتيجية جماعة الجهاد لكنها لم تتبلور عندها وسائل عسكرية تفصيلية لأنها لم تمتلك كوادر عسكرية ذات بال كي تخطط لها، فأكبر كادر عسكري في الجماعة الإسلامية هو مصطفى حمزة الذي اشتهر في الدنيا كلها وصدر ضده حكمان بالإعدام الغيابي في مصر، وهو الذي تولى قيادة الجناح العسكري للجماعة الإسلامية كما تولى قيادة الجماعة عدة فترات وهو الذي خطط لعملية اغتيال الرئيس مبارك في أديس أبابا وهو الذي أعطى الأمر بالتنفيذ، ومصطفى حمزة حاصل على بكالوريوس زراعة وكان ضابط احتياط سابق في الجيش المصري برتبة ملازم أول!!!!.

واشتهرت الجماعة الإسلامية باستعمال القوة في تغيير ما تعتبره من المنكرات المخالفة لتعاليم الإسلام في المجتمع، مثل منع اختلاط النساء بالرجال وشرب الخمر وحفلات الموسيقى والأفراح والمسرحيات أو عروض الأفلام ونحو ذلك، كما مارست نوعاً من السيطرة في المدن والريف كلما سنحت لها الفرصة فهاجمت شقق الدعارة وتجار المخدرات كما أرغموا النصابين على إرجاع الأموال إلى أصحابها كلما سنحت الفرصة لهم، وأثار ذلك حنق الحكومة عليهم لأن الحكومة شعرت أن هذا إلغاء لها ولسيطرتها على المجتمع لصالح اتساع نفوذ الجماعة الإسلامية، ووجهت لهم ضربات أمنية إجهاضية متتابعة.

وقد وجه السلفيون والإخوان المسلمون والجهاديون اللوم إلى الجماعة الإسلامية بسبب هذه الممارسات لأسباب مختلفة.

وقد أطلقت الجماعة الإسلامية ما سمته مبادرة وقف العنف عام ١٩٩٧م، وترتب عليها أن تراجعت الجماعة الإسلامية عن فكرها السابق وصارت تؤيد الحكومة بشكل أو بآخر كما ألفت عشرات الكتب ترد فيها على أطروحاتها الفكرية السابقة التي كانت تؤيد العمل المسلح ضد الحكومة، وصارت الجماعة الإسلامية تعلن أنها أصبحت جماعة دعوية فقط لكن

منتقديها اعتبروا أن طرحها الجديد يجر شباب الحركات الإسلامية بعيداً عن العمل السياسي مما يعطل ويضعف الحركات الإسلامية ذات التوجه السياسي واعتبر هؤلاء المنتقدون أن هذا في حد ذاته هو عمل سياسي بامتياز ويصب في مصلحة الحكومة.

ورغم كل هذا الجدل فإن من يتابع موقع الجماعة الإسلامية على الإنترنت سيجد أنه مملوء بالمقالات السياسية ليس من باب التحليل ومتابعة الأحداث فقط بل أيضاً من باب تبنى مواقف سياسية محددة من قضايا الساعة المحلية والدولية، واعتادت الجماعة أن تصدر بيانات تحدد فيها موقفها من إحدى قضايا الساعة من حين لآخر وكثيراً ما تبرز صحف الحكومة مثل هذه البيانات نظراً إلى أنها تخدم دائماً المواقف الحكومية ولو بطريقة ملتوية.

السلفية الجهادية:

في أوائل التسعينيات رغب عدد من الجهاديين العرب البارزين أمثال أبى محمد المقدسي وأبى قتادة الفلسطيني في دفع تهمة طالما أثارها بعض الإسلاميين السلفيين تجاه التيار الجهادي وهي أنهم يهتمون بالجهاد فقط بينما لا يهتمون بالعلم فأطلق هؤلاء اسم السلفية الجهادية على التيار الجهادي وانتشر الاسم في دول الخليج والشام، لكن اسم السلفية الجهادية أصبح اسماً ذائع الصيت بعد عدد من العمليات المسلحة في الخليج والشام، وبدأ بعض المتعاطفين مع القاعدة في مصر وغيرها يستحسنون التسمي بهذا الاسم لا سيما وأنه أقل إثارة للشبهات الأمنية من اسم القاعدة.

وبذا يتبين لنا أن اسم السلفية لا علاقة له بالسلفية العلمية أو الحركية الموجودتين في مصر وفي أغلب الدول العربية.

القسم الأول

ماضي وحاضر تيار الجهاد في مصر والعالم

تاريخ تيار الجهاد في مصر ١٩٦٦-١٩٨١م

نشأة تيار الجهاد في مصر وأسبابها:

روج الكثيرون لفكرة أن تيار الجهاد خرج من عباءة الإخوان المسلمين، وشاعت هذه الفكرة على أنها حقيقة ثابتة يقيناً لا يجوز أن يتطرق إليها البحث العلمى الموضوعى بتحقيق أو نقد أو تمحيص لا سيما أن هذه الفكرة تستخدم دائماً من أجل التعريض بفكر جماعة الإخوان المسلمين وأنها السبب فى كل ما يتأتى من قبل أية جماعة إسلامية على الساحة.

ولقد آمنت بهذه الفكرة في بداية التحاقي بالحركة الإسلامية أواخر السبعينيات من القرن العشرين الميلادى، وظللت متمسكاً بها إلى أن قررت كتابة تاريخ الحركات الإسلامية المعاصرة في مصر فحينئذ قررت أن أخضع كل شيء للبحث العلمى بقواعده الصارمة.

لقد كنت وما زلت أؤمن أن كتابة تاريخ الحركة الإسلامية يستلزم جمع وتوثيق الروايات والشهادات الشفهية من صدور صانعى الأحداث من قادة وأبناء الحركات الإسلامية، وإذا كان هذا حتمى بالنسبة إلى حركات كتب عنها الكثيرون سواء أعداء أو أصدقاء كحركة الإخوان المسلمين، فإن هذا يصير أكثر حتمية بشأن جماعات لا يزال تاريخها وكثير من أسرارها طى الصدور ولم يكتب منها شيء ذا بال في كتاب مسطور مثل الجهاد المصرى أو غيره كالقاعدة ومن نحى نحوها.

وانطلاقاً من هذا المبدأ كانت لقاءاتى العديدة مع العديد من قادة الحركات الإسلامية وأبنائها ذوي الاطلاع على الأحداث وخلفياتها، ومن هذا ما يخص جماعة الجهاد الإسلامى المصرية والتى نخصص هذه السطور لموجز عن تاريخها الذى سطرناه من حصيلة كم هائل من المقابلات مع قادة ومصادر جهادية عديدة لكننا فى أغلب الأحيان لن نتمكن من ذكر هذه المصادر بشكل صريح وذلك بناء على طلبهم الذى عللوه بأسباب لا تخفى على حصافة القارئ.

أبرز مؤسسيها ثلاثة هم **علوى مصطفى** (من حى مصر الجديدة) **وإسماعيل طنطاوى** (من حى المنيل) **ونبيل البرعى** (من حى المعادى) وكانوا جميعاً طلبة في الثانوية العامة وقتها، ولقد تخرج **إسماعيل** من كلية الهندسة بجامعة الأزهر فيما بعد، كما تخرج **علوى** من كلية الهندسة أيضاً، بينما تأخر **نبيل البرعى** دراسياً ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت.

أصبحت هذه المجموعة تنظيماً يضم عدداً من المجموعات في القاهرة والجيزة والإسكندرية، وربما قليل من المحافظات الأخرى، وكانوا جميعاً من طلبة ثانوى أو الجامعة لكن التنظيم استمر سنوات كبر فيها كل صغير.

وكان من بين أعضاء هذا التنظيم أيمن الظواهرى في نهاية الستينيات، كما كان من أعضاء هذا التنظيم **يحيى هاشم ورفاعى سرور**، وأيضاً كان من أعضائه **محمد إسماعيل** المقدم من الإسكندرية، كما انضم إلى هذا التنظيم في نفس الفترة (نهاية الستينيات) مجموعة الجيزة التي كان من أبرز قادتها **مصطفى يسرى وحسن الهلاوى** لكن هذه المجموعة سرعان ما انفصلت في أوائل السبعينيات عند أول بادرة خلافات بالتنظيم.

ولقد ساهم في تشكيل أفكار واستراتيجية التنظيم ثلاثة عوامل:

الأول: إن كل قادة وأعضاء التنظيم تربوا في مساجد الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة المحمدية وهما جماعتان ذاتا توجه سلفى واضح، كما تأثر جميع أعضاء التنظيم **بالشيخ محمد خليل هراس** تأثراً كبيراً جداً حتى إن بعض المصادر تنقل روايات لم تتأكد بعد أنه رحمه الله كان على علم بالتنظيم ويؤيده ويوجهه شرعياً.

الثانى: إن فكرة الانقلابات العسكرية كانت رائجة في ذلك الوقت في العالم العربي، وجرى تنفيذها بنجاح كبير في دول عربية وإسلامية كثيرة في ذلك الوقت، كما راجت في ذلك الوقت أيضاً فكرة حرب العصابات من أجل التحرر الوطنى.

الثالث: اعتقاد مؤسسي التنظيم أن تنظيم الضباط الأحرار كان تابعاً للإخوان المسلمين ثم خانهم لأن الإخوان لم يحسنوا تربية وتثقيف الضباط على فكر الجماعة، كما أن الجماعة – حسب رأيهم - أخطأت لأنها لم تستخدم القوة وتحديداً الانقلاب العسكرى في مواجهة **جمال عبد الناصر**.

وكانت الآثار المباشرة لهذه العوامل هى تبنى التنظيم للمنهج السلفى في مجالى الاعتقاد والدراسات الشرعية، وتبنيه لمنهج التغيير السياسى والاجتماعى والاقتصادى بالقوة المسلحة واختياره مبدئياً أسلوب الانقلاب العسكرى لتحقيق هذا التغيير، وتبنى الاعتماد في اختراق الجيش على أشخاص تم تربيتهم مسبقاً في التنظيم ثم دفعهم إلى الالتحاق بالكليات العسكرية.

كان التنظيم يعتمد مناهج لتعليم الدراسات الشرعية يقوم على أساس المنهج السلفى، كما ألزم الأعضاء بحضور دروس **الشيخ محمد خليل هراس** بمسجد قولة بعابدين وهو المقر العام لجماعة أنصار السنة المحمدية، كما تضمنت المناهج الدراسية بجماعة الجهاد الأولى كتاب "فى ظلال القرآن" **لسيد قطب**، وكذا كتاب "معالم في الطريق" له أيضاً رحمه الله.

أما في مجال التدريبات العسكرية فإن هذه الجماعة لم تكن تتبنى سوى التدريبات البدنية الشاقة بجانب التدرب على الألعاب القتالية كالمصارعة والكاراتيه، لأنهم كانوا يتبنون فكرة التغيير عبر التغلغل في الجيش واستخدامه للقيام بانقلاب عسكرى، وذلك عبر توجيه الأعضاء من طلبة الثانوى لدخول الكليات العسكرية وكذا توجيه الأعضاء من طلبة الجامعات للتحويل إلى الكليات العسكرية.

ولهذا أيضا لم يكونوا يهتمون بشراء أو تخزين السلاح أو التدرب عليه خارج الجيش اللهم إلا ما كان من تصرفات فردية لم يكن التنظيم يمانع فيها.

وكانت هذه الجماعة تعتمد في مجال التجنيد على الملتزمين بتعاليم الإسلام أيا كان انتماؤهم الفكرى باعتبار أن خلافهم الرئيسي مع غيرهم هو مسألة طريقة التغيير فإقناع أى ملتزم بهذه الفكرة يحوله إلى شخص **صالح**

للانضمام إلى جماعة الجهاد، لكن كان بالطبع لهم بعض الملاحظات والخلافات القليلة والجوهرية مع كل من الجمعية الشرعية وجماعة أنصار السنة في بعض تفصيلات مسائل في العقيدة حتى أن **علوى مصطفى** كان قد كتب كراساً في هذه المسائل.

وقد ظل هذا هو منهج جماعات الجهاد المصرية في الدعوة والتجنيد حتى الآن.

وكانت مساجد الجمعية الشرعية وأنصار السنة وحلقات الدرس فيهما هى ملتقى أعضاء الجهاد، كما كانت الميدان الأبرز للدعوة والتجنيد لجماعة الجهاد في ذلك الحين.

ولقد سألت العديد من المصادر ومنها بعض القادة والمؤسسين ومنهم **نبيل البرعى** تحديداً وكذا **دكتور مصطفى يسرى**، هل كان لكم علاقة بالإخوان المسلمين؟؟؟

فأجابوا جميعاً إجابة واحدة هى: لم أكن في يوم من الأيام عضواً في الإخوان المسلمين كما لم يكن أحد من أسرتى عضواً في الإخوان كما لم أتعلم على يد أحد من الإخوان.

وسألتهم ما الذى دفعكم إلى فكرة التغيير؟؟؟

قالوا: رأينا الواقع مخالفاً لما ينبغى أن يكون عليه الواقع الإسلامى كما درسناه فقررنا أن نغير.

وسألتهم لماذا اخترتم القوة كوسيلة وحيدة للتغيير؟؟؟

قالوا: لأنها الوسيلة الوحيدة الناجحة كما أن النظام الحاكم يحكم بالقوة والقمع ويسد أى منفذ للتغيير السلمى، ويستخدم كل إمكانيات الدولة لمنع أى تغيير اجتماعى إسلامى سلمى ومتدرج.

وسألتهم لماذا الانقلاب العسكرى تحديداً وليس غيره؟؟؟

قالوا: أغلب حكام العالم الإسلامى حصلوا على الحكم بهذه الطريقة وهى طريقة فعالة ونحن أولى باستخدامها لأننا نعبر عن دين وثقافة الأمة أما هم فلا يعبرون إلا عن فكر ومصالح الغرب الصليبى أو الشرق الشيوعى (طبعاً كان الاتحاد السوفيتى والكتلة الشرقية قائمين في الفترة التى نتكلم عنها).

وفي نهاية الستينيات كان من أعضاء التنظيم أيضاً **عصام القمرى**.

انشقاق في التنظيم ونشأة تنظيم يحيى هاشم:

بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م صدرت الأحكام ضد قادة سلاح الطيران المصرى الذين اعتُبروا مسئولين عن الهزيمة عام ١٩٦٨م وجاءت الأحكام مخففة فخرجت مظاهرات حاشدة من الطلبة والعمال في القاهرة والإسكندرية ضد نظام الرئيس **جمال عبد الناصر** محتجة على الأحكام والهزيمة معاً واستمرت هذه المظاهرات لفترة وكانت هذه المظاهرات تهتف لا صدقي ولا الغول عبد الناصر هو المسئول.

وانتهز **يحيى هاشم** الفرصة وحاول أن ينفذ امراً كثيراً ما طاقت إليه نفسه، ألا وهو الالتحام بالجماهير وقيادتها للإطاحة **بعبد الناصر** لأنه كان قد شعر في وقت سابق أن طريق الانقلاب العسكرى بالطريقة التى تبناها تنظيم الجهاد بقيادة **إسماعيل طنطاوى** هو طريق طويل سيستغرق عشرات السنين إن لم يكن مستحيلاً أصلاً.

وخطب **يحيى هاشم** في الجماهير المحتشدة وحملوه على الأعناق وطافوا به قليلاً بالشوارع قبل أن يلقى القبض عليه الذى سرعان ما أطلقوا سراحه عندما تبين لهم أنه وكيل نيابة بالنيابة العامة.

وحينئذ بدأت المشاكلات والخلافات ليس بين **يحيى** والسلطات ولكن بين يحيى ومعه مجموعة كان أبرزها **رفاعى سرور** وكلهم من جهة ويقابلهم في الجهة الأخرى **إسماعيل طنطاوى وعلوى مصطفى** وبقية التنظيم.

كان رأى **إسماعيل** ومن معه أن **يحيى** مخطئ وأن الاستمرار في فكرة المظاهرات أو العمل الشعبي يهدد التنظيم بالانكشاف.

وكان رأى **يحيى** ومن معه أن خطة التنظيم مستحيلة التحقيق وأن الوقت مناسب لكشف حقيقة **عبد الناصر** ونظامه للناس بعد الهزيمة وتأليبهم عليه والقيام بمشروع تغييرى ذى طابع جماهيرى إما ثورة شعبية وإما حرب عصابات.

وفي المناقشات ظهرت خلافات عديدة أخرى أبرزها أن **إسماعيل طنطاوى** وفريقه يرون حتمية الالتزام بالهدى الظاهر من لحية للرجال وحجاب للنساء، بينما يرى **يحيى** وفريقه عدم حتمية ذلك في ظروف عدم قيام الحكم الإسلامى في البلاد كى تتيسر حركة التنظيم السرية.

ولم تفلح كل محاولات الوفاق وانشق يحيى وفريقه وأسسوا جماعة أخرى، وفي عام ١٩٧٥م اشتبكت مع الأمن في الجبل وتم تصفية يحيى هاشم ومجموعة من القادة وسجن آخرون وبذلك انتهت جماعة يحيى هاشم.

انشقاق آخر في التنظيم:

إثر حرب أكتوبر١٩٧٣م تفجر خلاف آخر بين أعضاء التنظيم بشأن حكم ضباط الجيش من أعضاء التنظيم الذين شاركوا في الحرب خاصة من مات منهم فيها، وكان من ضمن الذين ماتوا شقيق **علوى مصطفى**، وتزعم **علوى** القول بأنهم شهداء بينما أصر آخرون على أنهم غير شهداء لأنهم قاتلوا تحت راية الطاغوت ولتحقيق أهدافه.

وحاول **إسماعيل** التوفيق بين الطرفين دون جدوى، وانشق **علوى** عن التنظيم كما فارق آخرون التنظيم دون أن يُنشئوا تنظيماً آخر، واستمر التنظيم بقيادة **إسماعيل** وظل معه كثيرون أشهرهم **نبيل البرعى** و**عصام القمرى** و**أيمن الظواهرى** وكان معهم في ذلك الوقت أو بعده بقليل **سيد إمام الشريف**.

استقلال مجموعة الجيزة:

وإثر تعدد الخلافات هذا اقترح **حسن الهلاوى** من قادة مجموعة الجيزة على **مصطفى يسرى** القائد الأرفع منه أن تستقل المجموعة عن **إسماعيل**

طنطاوى إلى أن تنتهى الخلافات عنده، وبذا استقلت المجموعة إلى حين، وهى التى كانت مشكلة كمجموعة مستقلة أصلاً من قبل أن تنضم إلى تنظيم **إسماعيل طنطاوى**.

نشأة جماعة صالح سرية:

عندما أقام **دكتور صالح سرية** في مصر كموظف بجامعة الدول العربية حاول إقناع قيادة الإخوان في مصر بتبنى فكرة الانقلاب العسكرى لكن دون جدوى، وفي أثناء ذلك تعرف على العديد من الشباب من قادة وأعضاء تنظيمى **إسماعيل طنطاوى ويحيى هاشم** وكان قد تعرف على بعضهم في لقاءات متعددة ببيت السيدة **زينب الغزالى** كما تعرف على أكثرهم في مساجد الجمعية الشرعية وأنصار السنة.

وحاول صالح سرية التقارب معهم جميعاً إلا أنه اصطدم بسلفية **إسماعيل**، لأن **صالح** يرى إرجاء حسم الخلافات في مسائل عقيدية وفقهية إلى ما بعد إقامة الدولة الإسلامية بعكس **إسماعيل** الذى يرى حتمية الالتزام بكل مواقف السلف الصالح من أهل السنة والجماعة وعدم التعاون مع أى شخص يخالف ذلك، كما استحال التقارب بين **صالح ويحيى هاشم** بسبب إصرار الأول على الانقلاب العسكرى وإصرار الثانى على حرب العصابات.

وهكذا فشل **صالح** في التوافق مع الجهاد بعد فشله في التوافق مع الإخوان المسلمين، فكان لزاماً عليه أن ينشئ تنظيمه الخاص ممن تعرف عليهم سواء عند **زينب الغزالى** أو عند **إسماعيل** أو **يحيى** ثم تحرك بهم وضم جدداً ومن ضمنهم مجموعة الجيزة وصار من أبرز القادة في تنظيمه **أحمد صالح (بورسعيد) كارم الأناضولى ومصطفى يسرى وحسن الهلاوى (الجيزة) وطلال الأنصارى وخالد المنشاوى وعلى المغربى (الإسكندرية) ومحمد شاكر الشريف (قنا)** وغيرهم.

وبعد فشل المحاولة الانقلابية التى دبرها التنظيم عبر الكلية الفنية العسكرية عام ١٩٧٤م والحكم على **صالح وكارم** بالإعدام وغيرهما

بأحكام مختلفة، انتخب مهندس **أحمد صالح** من بين الحائزين لحكم البراءة أميراً عاماً للتنظيم، وتم إعادة تشكيل التنظيم.

ولقد تعرض التنظيم لضربة أمنية عام ١٩٧٧م، وتمت محاكمة عدد كبير من قادته وأعضائه فيما عرف إعلامياً باسم قضية تنظيم الجهاد وتم الحكم على **أحمد صالح** بعشر سنوات سجن كما نال الباقون أحكاماً مختلفة.

وتم انتخاب **دكتور مصطفى يسرى** أميراً عاماً للتنظيم، ونشط التنظيم إلى أن أصدر **مصطفى يسرى** قراراً بحل التنظيم إثر اختراقات أمنية للتنظيم وضربه أمنياً فيما عرف بقضية تنظيم الجهاد ١٩٧٩م.

وبعد حل التنظيم شكل كل قائد من قادة المستوى الوسيط بالتنظيم تنظيماً مستقلاً من المجموعات التى كانت تابعة له قبل الحل، كما حاول بعضهم إعادة ضم كل المجموعات في تنظيم واحد كبير، وذلك كله له قصة كبيرة أخرى لا سيما أن أحد القيادات الوسيطة هذه هو **محمد عبد السلام فرج** مؤلف كتاب "الفريضة الغائبة" وقائد التنظيم الذى اغتال رئيس مصر السابق **أنور السادات** في أكتوبر ١٩٨١م.

مسيرة تنظيم إسماعيل طنطاوى حتى أكتوبر ١٩٨١م:

عندما تم القبض على **صالح سرية** وتنظيمه تحسب **إسماعيل طنطاوى** من ورود اسمه في التحقيقات فهرب إلى هولندا وبعدها تزوج هولندية وحصل على الجنسية الهولندية، وعندما داهم الأمن منزله لم يجده.

وقام بعد ذلك كل من **أيمن الظواهرى وسيد إمام وعصام القمرى** بإعادة تنظيم الجماعة واستمروا في نشاطهم إلى أن انكشفوا للأمن في أكتوبر ١٩٨١م بعد محاولاتهم للاندماج في تنظيم **محمد عبد السلام فرج**، وألقى القبض على **أيمن الظواهرى وعصام القمرى ونبيل البرعى ودكتور أمين الدميرى** ومعظم أعضاء التنظيم، وهرب كل من **سيد إمام ومحمد الظواهرى**.

وإلى هنا ينتهى فصل واحد من فصول تاريخ تنظيم الجهاد المصرى لتبدأ فصول أخرى عديدة.

تيار الجهاد في مصر واغتيال السادات

شهد عام ١٩٨٠م أحداثاً هامة في تاريخ تيار الجهاد المصرى يمكن إيجازها على النحو التالى:

١) حل تنظيم الجهاد بقرار من **دكتور مصطفى يسرى** أمير عام التنظيم آنذاك، وامتناع القيادات الوسطى للتنظيم عن إبلاغ قرار الحل للمجموعات، واستقلال كل منهم بمجموعته للعمل منفرداً وفق آرائه الخاصة التى تعلمها في إطار التنظيم المحلول.

٢) طرح **مهندس محمد عبد السلام** فرج لتصوره عن التكتيكات والأساليب الواجب اتباعها من قبل التيار الجهادى في سعيه إلى تحقيق أهدافه، وقد سعى مهندس **محمد عبد السلام** إلى تحقيق أهدافه بهذه الأساليب والتى تعتبر مزيجاً من أساليب جماعتى التبليغ والدعوة والإخوان المسلمين، وكان **محمد عبد السلام** أحد القيادات المتوسطة في تنظيم الجهاد.

٣) نجاح مهندس **محمد عبد السلام** في عدة خطوات كان لها تأثيرها الكبير على التيار، وهى:

أ) تجنيد مقدم المخابرات الحربية **عبود الزمر** لتنظيم الجهاد الذى يقوده.

ب) إقناع قيادة الجماعة الإسلامية بالصعيد بفكر الجهاد وتجنيدها لصالح هذا الفكر، وضمها للعمل من خلال مجموعاته.

ج) الاندماج مع عدة مجموعات جهادية هامة أولها من حيث الترتيب التاريخى مجموعة **نبيل المغربى**.

ولقد ساهمت هذه الأحداث في تشكيل تاريخ تيار الجهاد في المراحل التالية على النحو الذى سنراه فى السطور التالية:

أدت الطريقة التى سلكها **محمد عبد السلام** إلى خروج تنظيم الجهاد من حيز الكم العددى المحدود إلى حيز الأعداد الكبيرة نسبياً وذلك على حساب

الكيف، وكان من المتوقع وقتها أن يكون ذلك على حساب الأمن لكن الحالة السياسية والأمنية السائدة في مصر آنذاك ساعدت على استمرار التنظيم آمناً ونشيطاً حتى أغسطس ١٩٨١م.

كانت تكتيكات **محمد عبد السلام** أشبه بنشاط تنظيم علنى يسعى إلى الانقلاب على نظام **الرئيس السادات** عبر وحدات من الجيش المصرى ووحدات شبه عسكرية سعى إلى تكوينها من مدنيين من أعضاء التنظيم، ونجح فى تكوين وتدريب بعض الوحدات المدنية كما نجح في ضم عدد من ضباط الجيش للتنظيم كان أشهرهم مقدم المخابرات الحربية **عبود الزمر**، و**ملازم أول خالد الإسلامبولى**، والملازم أول احتياط **مهندس عطا طايل**، و**مقدم ممدوح أبو جبل**، وغيرهم.

كان تنظيم **محمد عبد السلام** يتذرع بالسرية ظاهرياً لكن التطبيقات العملية لمعظم قادة وأعضاء التنظيم كانت أقرب ما تكون إلى العلنية ليس انطلاقاً من مبادئ تنظيمية بقدر ما كان تعبيراً عن العشوائية والإهمال، لكن الضعف الأمنى كان السبب الرئيسي لعدم انكشاف التنظيم.

كان **محمد عبد السلام** متعجلاً جداً للقيام بالتحرك الانقلابى ضد حكومة السادات العلمانية، وفاقه في هذا التعجل **نبيل المغربى** الذى كان لديه مجموعة مدربة تدريباً شبه عسكرى كما كان **نبيل المغربى** نفسه ضابط احتياط سابق بالمخابرات الحربية، وكان قد وضع برنامجاً مكثفاً ومبسطاً وقصيراً لتدريب المدنيين على عدد من الأعمال العسكرية التى رأى أنها كافية لتحقيق أهدافه.

وقد أدت حِرَفية **عبود الزمر** العسكرية إلى تعزيز نزعة التعجل (ويصفها البعض بالتهور) لدى **محمد عبد السلام**، لأن العسكرى عادة ما يقول للسياسى أعطنى الإمكانيات وأنا أنفذ، وهذا ما حدث من **عبود** عندما وضع خطة القيام بانقلاب عسكرى يدعمه مدنيون مدربون عسكرياً، لقد طلب من **محمد عبد السلام** وسائر القادة توفيرعدد حدده بدقة ليدربه عسكرياً وفق برنامج تدريبى محدد، بجانب توفير كميات وأنواع السلاح والذخائر والوسائل المختلفة اللازمة والتى حددها أيضاً، لقد صار الأمر أكثر حسماً لدى **محمد عبد السلام** بعدما أيد تعجله رجل عسكرى بحجم

عبود الزمر حتى لو كان هذا التعجل بشروط، وصار لهذا التعجل مبرراته الموضوعية، وصارت المشكلة مختزلة في توفير الإمكانيات العسكرية فقط والتى هى في التحليل الأخير مال ورجال، ومن ثم سعى محمد إلى إيجاد حلول سريعة لمشكلة ضعف الإمكانيات.

ولم ترضه معدلات التجنيد التى تجرى عبر تكتيكات إما علنية أو شبه علنية رغم ارتفاع هذه المعدلات بالقياس بما كان عليه التنظيم أيام **مصطفى يسرى** ومن قبله، ومن ثم سعى إلى تكتيك جديد يقوم على تجنيد قادة مجموعات كبيرة نسبياً بحيث يمثل تجنيدهم تجنيداً لسائر مجموعاتهم، وفي هذا الإطار تعرف على مجموعات عدة وقام بضمها، بعضها كان من المجموعات المتبقية من تنظيم الجهاد المحلول وبعضها كان على فكر آخر لكن قام **محمد** بإقناعهم بفكر الجهاد وجندهم له.

ومن أمثلة المجموعات الجهادية القديمة التى تم دمجها أو التنسيق معها مجموعة **أحمد هانى الحناوى** وجماعة **محمد سالم الرحال** التى كان يقودها آنذاك **كمال السعيد حبيب** ومجموعة بالشرقية (مركز منيا القمح) كان يقودها **أنور عكاشة**، وجماعة **أيمن الظواهرى**، وغيرهم.

كانت جماعة **محمد سالم الرحال** من أكبر المجموعات لأن الرحال سعى إلى تجميع معظم المجموعات المتبقية من تنظيم الجهاد القديم بعد حله، ولكنه سرعان ما تم ترحيله من مصر (كان فلسطينى يحمل الجنسية الأردنية) فترك قيادة التنظيم **لكمال السعيد حبيب**، الذى وافق فيما بعد على تنسيق واسع النطاق مع تنظيم **محمد عبد السلام** وكان هذا التنسيق يقترب من حد الاندماج الكامل.

أما جماعة **أيمن الظواهرى** فكانت تركز على تحصيل الإمكانيات المادية كالمال والسلاح والبيوت أكثر من التركيز على الأفراد، باعتبار أن تجنيد الأفراد مرحلة تالية لمرحلة استكمال الإمكانيات المادية، وقد تم الاتفاق على الاندماج بين المجموعتين عبر **طارق الزمر** مندوباً عن **محمد عبد السلام** **ودكتور أمين الدميرى** مندوباً عن **أيمن الظواهرى**.

أما أبرز المجموعات التى لم تكن على فكر الجهاد واستقطبها **محمد عبد السلام** لفكر الجهاد فهى مجموعة الصعيد والتى عرفت باسم الجماعة الإسلامية، وقصتها مشهورة حيث كان الخناق الأمنى قد تم تضييقه على الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط بعدما سلكت سلوكاً عنيفاً عرف في أدبياتهم فيما بعد بتغيير المنكرات باليد كتكسير الخمارات ومنع الاختلاط بين الجنسين بالقوة، وكان قادة هذه الجماعة قد تمردوا منذ عام ١٩٧٩م على نصائح قادة الإخوان المسلمين **كأستاذ عمر التلمسانى ودكتور محمد حبيب** وقرروا الاستمرار في سلوكهم السياسي الخاص بهم، وفي أثناء هذا التضييق الأمنى هرب منهم من هرب وكان من الهاربين **كرم زهدى** أحد أبرز عناصر مجموعة من ١٢ شخصاً كانت تقود عمل الجماعة بالجامعة وكانت تسمت باسم مجلس الشورى، ولم يجد **كرم** مكاناً للهرب والاختباء من الأمن حينئذ سوى غرف المدينة الجامعية بجامعة القاهرة، حيث كان الوضع الأمنى هادئاً نظراً إلى سيطرة السلفيين والإخوان على الحركة الطلابية بالقاهرة حينئذ.

وعلم **محمد عبد السلام** بخبر وجود **كرم** فقابله عبر عضو تنظيم الجهاد **شعبان عبد اللطيف** الذى كان قد أعطى **محمداً** تقريراً شفهياً بشأن **كرم** ومجموعته وكان **شعبان** قد توثقت علاقته **بكرم** في المدينة الجامعية بالجيزة، واستطاع **محمد** أن يقنع **كرم** بفكر الجهاد، وتحمس **كرم** للانضمام إلى التنظيم لكنه تريث حتى يرجع إلى بقية زملائه في مجلس شورى الجماعة الإسلامية بجامعة أسيوط، ورجع إليهم **كرم** وجاءوا لمقابلة **محمد** واقتنعوا كلهم بشكل أو بآخر بالفكر الجديد وأصبحوا جزءاً من منظومة **محمد عبد السلام**.

وكان طموح **محمد عبد السلام** واسعاً بشأن سرعة التمكن من تنفيذ انقلابه المأمول لذلك لم يكتف بهذه المعدلات المتسارعة من التوسع فى التجنيد أو الاندماج أو التنسيق بل سعى إلى إقناع جماعات وقادة من اتجاهات فكرية رافضة لفكر تنظيم الجهاد أصلاً كالإخوان المسلمين والسلفيين، فكانت الدعوة لعدد من قادة هذه الاتجاهات إلى حضور اجتماع في بني سويف تحت شعار التخطيط والتنسيق لمحاربة فكر جماعات التكفير في مصر، وكان هذا الشعار مجرد ساتر أمنى للتغطية على الهدف الحقيقى للاجتماع.

تولى الدعوة للاجتماع **محمد سعد** من قادة تنظيم الجهاد المحلول[1] في بنى سويف وذلك بإيعاز من **محمد عبد السلام**، واستضاف **محمد سعد** الاجتماع في مسكن أحد أتباعه في بنى سويف، وكان الغرض الحقيقى للاجتماع أن يعرض **محمد عبد السلام** تصوره لإقامة الدولة الإسلامية عبر الانقلاب العسكرى ويطلب من الحاضرين تأييد هذا التصور ودعمه بالمال والرجال، وقد دعى **محمد سعد** إلى هذا الاجتماع قادة من السلفيين منهم **محمد مصطفى الدبيسى ومحمد أحمد إسماعيل المقدم** وغيرهما كما دعى **أسامة عبد العظيم** ولم يحضر، ودعى بعض من قادة الإخوان وحضر بعضهم، كما حضر عدد من قادة الجهاد على رأسهم **محمد عبد السلام ودكتور عمر عبد الرحمن**، وكان **محمد سعد** بمثابة شاهد ووسيط لأنه لم يكن حينئذ عضواً في تنظيم الجهاد حسب إحدى الروايات.

ورفض بعض الحاضرين ما طرحه **محمد عبد السلام** وكان على رأس الرافضين قادة الإخوان المسلمين، كما تريث بعض السلفيين وطلبوا فتوى مباشرة ومحددة بشأن هذا التصور من عدد من العلماء حددوهم حينئذ وكان من ضمن العلماء الذين حددوهم طالبين فتاوى منهم بالموافقة على هذا التصور الشيخ **محمد ناصر الدين الألبانى والشيخ عبد العزيز بن باز**.

وهكذا سعى **محمد عبد السلام** بكل دأب إلى الإسراع بالإطاحة بالرئيس السادات وإقامة دولة إسلامية وفق تصوره ويمكن تصور حجم نشاط **محمد عبد السلام** إذا علمنا أن النتيجة كانت ارتباط كل المجموعات الجهادية التى كانت موجودة بمصر حينئذ بتنظيم **محمد عبد السلام** برابطة ما، إما التنسيق أو التعاون أو الاندماج أو التعاهد على الاندماج ونحو ذلك من الاتفاقات.

لكن الأيام جرت بما لم يكن يتوقعه **محمد عبد السلام** نفسه، فسرعان ما دبت الخلافات بينه وبين الجماعة الإسلامية، فتحولت العلاقة من اندماج كامل إلى تعاون ومعاهدة على الاندماج عندما يحين وقت القيام بالانقلاب.

---

[1] هناك رواية أخرى بأن محمد سعد لم يكن من الجهاديين لكنه فقط كان من الاتجاه السلفي.

ولم يكد **محمد** يفيق من هذه الخلافات حتى باغتته قرارت ٥سبتمبر ١٩٨١م وكان **محمد** نفسه مطلوباً للاعتقال فيها لكنه نجح في الهرب من الأمن، وفي نفس الوقت كانت قوائم الاعتقال تتضمن أغلب أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية لكنهم هربوا ولم يعتقل منهم سوى **طلعت فؤاد قاسم**.

توجه عدد كبير من مجلس شورى الجماعة الإسلامية إلى القاهرة وسعوا إلى مقابلة **محمد عبد السلام** وأركان قيادته، وفي الاجتماع ألح قادة الجماعة الإسلامية على أهمية أن يتحرك تنظيم الجهاد بسرعة ويباشر القتال ما دام السادات بدأ بضرب الحركة الإسلامية عبر قرارات التحفظ (التي اشتهرت فيما بعد بقرارات ٥ سبتمبر ١٩٨١م) وحذروا تنظيم الجهاد من أن يقع فيما وقع فيه الإخوان المسلمون عندما ترددوا في استخدام القوة ضد **عبد الناصر** مما أفسح المجال **لعبد الناصر** للبطش بهم، وفي الواقع أن هذه الفكرة كانت الفكرة السائدة لدى تيار الجهاد وكان **محمد عبد السلام** نفسه هو الذى رددها على أذان قادة الجماعة الإسلامية من قبل، فحينئذ لم يكن أحد من الجهاد ينتقد الإخوان في شيء ذى بال غير هذا.

وكان **محمد عبد السلام** غائباً عن هذا الاجتماع لأسباب أمنية لكن حضره **عبود وطارق الزمر وصالح جاهين** وغيرهم من أركان القيادة لدى **محمد عبد السلام**، وقد وعد الجهاديون قادة الجماعة الإسلامية خيراً لكن أرجأوا القرار النهائى إلى وقت لاحق وإن كانوا أشاروا إلى ملامح القرار التى تلخصت في شن حملة اغتيالات واسعة النطاق لرؤوس الحكم في البلاد تشمل فيما تشمل **السادات** نفسه، وتقرر في الاجتماع أن يقيم **أسامة حافظ** بالقاهرة ليكون حلقة الوصل بين الجهاد والجماعة الإسلامية التى كان يعيش قادتها هاربين في الصعيد، وانفض الاجتماع على ذلك في مساء ٢٥ سبتمبر ١٩٨١م.

في نفس الوقت الذى عقد فيه الاجتماع بمقر تابع **لصالح جاهين** بقرية صفط اللبن بمحافظة الجيزة داهمت ثلاث حملات من قوات الأمن ثلاثة مقرات هامة لتنظيم الجهاد بالجيزة أحدها كان المقر المقرر لعقد الاجتماع المذكور والثانى منزل **عبود الزمر** نفسه وذلك بالمخالفة للقانون الذى يمنع تفتيش أى شيء تابع لضابط المخابرات الحربية إلا بواسطة المخابرت

الحربية نفسها، وكان خبر انطلاق الحملات قد وصل إلى تنظيم الجهاد قبيل انطلاقها بخمس دقائق فاكتفوا بتغيير مكان الاجتماع وتشديد إجراءات التأمين له، مما ضيع على الأمن فرصة صيد سهل كان الحصول عليه سيغير مجرى التاريخ.

وبعد الاجتماع علم قادة الجهاد بانكشاف أمر التنظيم للأمن فجرت عملية انتشار واسعة (هروب منظم) مما قطع صلتهم **بأسامة حافظ** ومن ثم بمجموعة الجماعة الإسلامية برمتها.

وخلال أيام قرر **محمد عبد السلام** اغتيال **السادات** عبر عدد من ضباط الجيش التابعين له واستقر الأمر على قيام **خالد الإسلامبولى** بها على الوجه المشهور والمعروف عن العملية، وفى البداية عارض **عبود** وعدد من قادة الجهاد (على رأسهم **مهندس أحمد سلامة مبروك**) العملية لكن **محمد عبد السلام** الرجل الأقوى في التنظيم قرر المضى في العملية فتمت.

كانت معارضة **عبود الزمر وأحمد سلامة** لأسباب استراتيجية، حيث كان رأيهما عدم الصدام مطلقاً مع الحكومة في هذه المرحلة والعمل على تهريب جميع قادة وعناصر التنظيم التى تم انكشافهم إلى خارج البلاد بينما يكمل الباقون العمل بهدوء دون صدام لحين لحظة استكمال الإمكانيات الكاملة والاستيلاء الشامل على مقاليد الحكم.

نجحت عملية اغتيال السادات وفشلت العمليات الأخرى التى كان مقرر لها أن تتم بالمواكبة لها وكذا التى كان مقرر لها أن تتبعها، وتساقط أعضاء وقادة وأسلحة التنظيم الواحد تلو الآخر وكان سهلاً على الأمن أن يجهز على التنظيم في أسابيع معدودة بمجرد أن أمسك بطرف أول خيط بسبب انعدام الإجراءات الأمنية لدى التنظيم.

ولم يكن قادة الجماعة الإسلامية الهاربون بالصعيد على علم بالهزائم التى يلقاها حلفاؤهم من قادة الجهاد فى القاهرة وسائر محافظات مصر خارج الصعيد بسبب انقطاع الاتصال بين حلقة وصلهم **(أسامة حافظ)** وقادة الجهاد بمصر، ومن ثم أصاب صقريهما **(كرم زهدى وعلى الشريف)** لوثة

من الحماس الشديد إثر سماعهم بخبر نجاح عملية اغتيال السادات من وسائل الإعلام، ومارس **كرم زهدى وعلى الشريف** إرهاباً فكرياً وكلامياً على بقية أعضاء مجلس الشورى حتى أرغماهم على الموافقة على القيام بأحداث أسيوط المشهورة في فجر أول أيام عيد الأضحى حيث هاجموا مديرية أمن أسيوط ومراكز الشرطة وفرق الأمن (الأمن الداخلى) وانهارت منظومة الشرطة مما دعى إلى تدخل قوات المظلات والكوماندوز التابعين للجيش وتخليص المدينة من سيطرة الجماعة الإسلامية والقبض على قادة وأعضاء الجماعة الإسلامية خلال ثلاثة أيام من الصدام المسلح.

ولم يعلم **عبود الزمر** وقادة الجهاد بأمر أحداث أسيوط إلا من إذاعة مونت كارلو.

وهكذا اجتمع جميع قادة الجهاد والجماعة الإسلامية مرة أخرى لكن كان مقر الاجتماع هذه المرة في السجن، وكان معهم معظم أعضاء الجماعتين، ودارت بينهم اتفاقات وخلافات بل وصراعات.

العوامل المؤثرة في تطورات الحركات الإسلامية الجهادية

هناك عوامل عديدة كان لها دورها المؤثر في التطورات والتغيرات التي مر بها تيار الجهاد، بعض هذه العوامل كان دوره سلبياً وبعضها كان دوره إيجابياً، ولقد استقرأنا تاريخ وفكر الجهاد كي نتمكن من تحديد معظم هذه العوامل على النحو التالي:

توفر قيادة متسرعة وأخرى محترفة معاً

نلاحظ أن أي تنظيم جهادي مصري لم يقم بعمل بارز إلا إذا توفرت له قيادة ذات سمات معينة وأبرز هذه السمات في رأينا الاندفاع والتسرع بجانب وجود قيادة عسكرية محترفة، لأن وجود التسرع والاندفاع بدون قيادة عسكرية محترفة يؤدي إلى أعمال صدامية صغيرة كمهاجمة عنصر أمن ومحاولة الاستيلاء على سلاحه ونحو ذلك.

وهذه الأحداث الصغيرة حدثت كثيراً كما في عملية قتل حراس قنصلية أجنبية والاستيلاء على سلاحهم بالإسكندرية عام ١٩٧٧م وقام بها عناصر منشقة عن تنظيم الجهاد.

أما نموذج القيام بعملية كبيرة بسبب وجود قيادة عسكرية محترفة مع وجود قيادة مندفعة ومتسرعة فهو متمثل في حالتين واضحتين:

الأولى: المحاولة الانقلابية الفاشلة التي عرفت إعلامياً باسم عملية الكلية الفنية العسكرية، وكانت القيادة العسكرية المحترفة متمثلة في **دكتور صالح سرية**، أما القيادة المندفعة فتمثلت في **كارم الأناضولي** رغم أن **كارم** كان أيضاً طالباً بالسنة النهائية من الكلية الفنية العسكرية.

الثانية: عملية اغتيال رئيس مصر السابق **أنور السادات** وما تلاها من عمليات، وقد تمثلت القيادة العسكرية المحترفة في **عبود الزمر** كما تمثلت القيادة المندفعة في **محمد عبد السلام فرج** وقيادات الصعيد (الذين عرفوا فيما بعد بمجلس شورى الجماعة الإسلامية).

وقد رأى **دكتور رفعت سيد أحمد** في بعض كتبه أنه كلما حوى تنظيم الجهاد عناصر من الجيش كلما قام بعمليات عنف كبيرة أو واسعة.

ونحن لا نوافقه على هذه المتلازمة بدليل أن تنظيم **إسماعيل طنطاوي** (أقدم تنظيم جهاد مصري) كان به ضباط محترفون ولم يقم بأية أعمال عنف، وكذلك تنظيم **صالح سرية** بعد **صالح سرية** (أى منذ ١٩٧٥م) وحتى ١٩٨٠م كان لديه عسكريون محترفون ولم يقم بأي عمل عسكري.

قمع الحركات الإسلامية السلمية

لأن هذا القمع يمثل حجة قوية تستخدمها التيارات الجهادية في الترويج لفكرها السياسي وتصوراتها عن الواقع وأسلوب التغيير المناسب من وجهة نظرهم من أن الحكومة ديكتاتورية وقمعية ولا يصلح التعامل معها إلا بأسلوبها، فيعتبرون هذا القمع دليلاً على صحة موقفهم ومشروعهم التغييري، وهذا كله يسهل لهم عمليات تجنيد الشباب الجدد لتنظيم الجهاد.

ولذلك نلاحظ زيادة التجنيد لتنظيم الجهاد أوقات القمع كما حدث آخر أيام **عبد الناصر** وآخر أيام السادات.

فشل الحركات الإسلامية السلمية في تحقيق هدفها الاستراتيجي

كما حدث عند نشأة تنظيم الجهاد فقد تم تأسيس تنظيم الجهاد وقتما وصلت جماعة الإخوان المسلمين إلى طريق مسدود مع جمال عبد الناصر.

وفي نفس الوقت فقد ركز الجهاد في خطابه السياسي دائماً على أن مبرر وجوده واستراتيجيته التغييرية هو قمع الحركات الإسلامية السلمية ومنعها من تحقيق أهدافها رغم تأييد الجماهير لها.

زيادة بؤر اضطهاد المسلمين من قبل قوى غربية أو قوى مدعومة من الغرب

وعند شرح هذا العامل نحن في غنى عن أية إطالة، فجميع متابعي تطورات الحركة الإسلامية لا يخفى عليهم أثر الاضطهاد والظلم الواقع على المسلمين في إلهاب مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فقضايا مثل فلسطين وأفغانستان والعراق والبوسنة والشيشان وكشمير كل هذه القضايا كان لها أثر كبير فى اتساع قاعدة التجنيد لتيار الجهاد في كل العالم العربي خاصة مصر، ولا شك أن الظلم والقمع القاسي جداً الذي وقع على المسلمين في هذه البقاع دفع وما زال يدفع شباب المسلمين إلى الإيمان أن لا بديل لمقابلة هذا الظلم والقسوة بغير القوة التي هي جوهر استراتيجية تيار الجهاد.

وجود نماذج ملهمة من التيار الجهادى في بعض البلاد

وجود مثل هذه النماذج يمثل إلهاماً للجهاديين في كل مكان بما في ذلك في مصر، وهذا الإلهام له تأثير كبير في تنشيط حركة التجنيد لهذا التيار وإلهاب حماسه ودفع قادته خاصة المتحمسين منهم إلى مزيد من النشاط والحركة وربما القيام بعمليات مسلحة، وكلنا يتذكر أثر عمليات القاعدة خاصة في العراق في إلهام عدد من المنظمات الجهادية في مصر للقيام بعمليات مسلحة كبيرة نسبياً مثل تفجيرات "منظمة التوحيد والجهاد" في طابا وشرم الشيخ ودهب بسيناء أعوام ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م و٢٠٠٦م وكذا تفجيرات الأزهر وعبد المنعم رياض وحادث السيدة عائشة عام ٢٠٠٦م.

أثر العامل الأمني

يؤدي ضعف أجهزة الأمن المكافحة للحركة الجهادية في إنعاش هذه الحركة وهو ما حدث في المرحلة من ١٩٧٩م وحتى عام ١٩٨١م في مصر.

كما أن تبني الحركة الجهادية تكتيكات مناسبة للقضاء على أثر أجهزة الأمن القوية والنشيطة يؤدي إلى نجاح هذه التنظيمات الجهادية وحدث هذا في عدة حالات منها حالة المنظمة الجهادية بقيادة **إسماعيل طنطاوي** والتي قادها **أيمن الظواهري** من بعده في مصر في الفترة من ١٩٦٤م وحتى ١٩٨١م، وكذلك فإن تنظيم الجهاد في الفترة من ١٩٨٥م وحتى ١٩٩٢م قد سلك سلوكاً ماكراً جنبه الضربات الأمنية القوية.

مساندة قوى خارجية

إن توفر إمكانيات علمية أو مالية أو تسليحية أو غيرها كمساندة لتيار الجهاد من قوى مهمة مثل دول أو منظمات كبرى يمثل عاملاً هاماً في تطور ونشاط تيار الجهاد، وذلك يبدو جلياً في حالات جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في الفترة من ١٩٨٦م وحتى ١٩٩٨م عندما كانت تتلقى دعماً متعدد الأشكال من كل من منظمة **حكمتيار** في أفغانستان والاستخبارات الإيرانية **وأسامة بن لادن** ومنظمة القاعدة والمخابرات السودانية، ونفس الشيء حصل مع الجماعة الإسلامية المصرية من نفس الجهات عدا منظمة **حكمتيار** فلم تكن تساندها ولكن كانت منظمة **عبد الرسول سياف** تساندها، ويلاحظ المراقب بسهولة الأثر الكبير لهذه المساندات إذا قارن بين أداء جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في الفترة من ١٩٦٤م وحتى ١٩٨٦م عندما لم تكن هذه المساندات موجودة والفترة التالية أي من ١٩٨٦م وحتى ١٩٩٨م عندما كانت هذه المساندات موجودة.

وجود حالة شعبية من السخط على النظام الحاكم

عادة ما تسهل حالة السخط على الحاكم من عمل تيار الجهاد إما في التجنيد أو التمويل أو التسليح أو التخفي أو التعبئة الشعبية، وغير ذلك، وهذا بديهي لا يحتاج إلى برهان، ومع ذلك فإن أبرز مثال على ذلك هو تنظيم الجهاد في مصر أواخر عصر أنور السادات.

أثر النقد الذي تم توجيهه إلى فكر الجهاد

سبق أن تعرض تيار الجهاد لنقد مباشر وغير مباشر طوال تاريخه، ولقد كان هذا النقد على مستويات مختلفة فمنه ما توجه بشكل جزئي ليرد على جزئية معينة من جزئيات فكر الجهاد كما أن من هذا النقد ما تم توجيهه إلى أصل فكر الجهاد باستراتيجيته الكلية وفكرته العامة وذلك كله من أطراف عدة، ومع ذلك ظلت حركة تيار الجهاد على النحو الذي شهدناه طوال تاريخ هذا التيار الممتد من أكثر من أربعين عاماً وحتى الآن.

كما يلاحظ أن الطرح الفكري الخاص بكل تيار من التيارات الإسلامية المختلفة فكرياً مع تيار الجهاد يمثل في جانب منه نقداً فكرياً بشكل أو بآخر لتيار الجهاد.

ومع ذلك لم تؤد هذه الأطروحات الفكرية إلى أي انحسار في تيار الجهاد على النحو الذي شاهدناه عبر تاريخه كله.

الحرب العربية الإسرائيلية

كان للحروب العربية الإسرائيلية أثرها الواضح في تطورات تيار الجهاد، فبعد حرب عام ١٩٦٧م جرت المناقشات والخلافات بين مجموعة من تنظيم الجهاد بقيادة **يحيى هاشم ورفاعي سرور** من جهة وقيادة تنظيم الجهاد المتمثلة حينئذ في **إسماعيل طنطاوي وعلوي مصطفى** من جهة أخرى ودارت هذه الخلافات حول تكتيكات العمل الجهادي في أعقاب هزيمة ١٩٦٧م، ونتج عن هذا الخلاف انشقاق **يحيى هاشم** ومعه مجموعة كونوا تنظيماً جهادياً آخر.

وفي أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣م ثار نقاش آخر داخل قيادة التنظيم نفسها أي بين **علوي وإسماعيل** حول حكم القتال في إطار جيش ذي قيادة علمانية، ونتج عن ذلك انشقاق **علوي** وحده عن التنظيم رغم أن **علوي** هو أحد أهم مؤسسي التنظيم بل أحد منظري تيار الجهاد الأوائل.

هزائم التي يتلقاها التيار على أيدي خصومه

دائماً **نجد** أن تنظيم الجهاد تحدث به تغيرات في القيادة ومحاسبات لها بعد كل هزيمة على أيدي خصومه كما قد تحدث به أيضاً مراجعات لبعض تكتيكاته، حدث ذلك بعد دخول الجهاد السجن في ١٩٧٤م و١٩٧٧م ١٩٧٩م و١٩٨١ م، كما حدث نفس الشيء في بيشاور عام ١٩٩٣م إثر القبض على أكثر من ألف من أعضاء الجهاد بمصر ونتج عن ذلك عزل **سيد إمام** عن إمارة التنظيم وتعيين **أيمن الظواهري** بدلاً منه وصياغة وإقرار لائحة تنظيمية جديدة ومجلس شورى جديد، كما تم تغيير **أيمن الظواهري** نفسه عام ١٩٩٩م إثر القبض على عدد كبير من كبار قادة الجهاد حول العالم.

حيازة إمكانيات العمل المسلح

كالسلاح أو المال كما حدث في "جماعة التوحيد والجهاد" في سيناء من عام ٢٠٠٤م وحتى عام ٢٠٠٦م، حيث دفعهم امتلاكهم للإمكانيات التسليحية إلى القيام بهذه العمليات رغم أنهم لم يكونوا يعتزمون القيام بها من البداية.

الخلافات الداخلية

لعبت الخلافات الداخلية دوراً في إحداث تغيرات هامة من حين لآخر فعلى سبيل المثال أدى خلاف **أحمد عجيزة** ومن معه، مع **الظواهري** ومن معه إلى تطبيق **الظواهري** لمعظم البرنامج الإصلاحي الذي كان يطالب به **عجيزة** وذلك تم بعد انشقاق **عجيزة** ومعه مجموعة غير قليلة من القادة والأعضاء.

المواجهات المسلحة

في أوقات المواجهات المسلحة بين أية منظمة جهادية وأية قوة مناوئة لها فإن صوت المنادين بتصعيد المواجهات يكون هو الأعلى والأكثر قبولاً من قبل القواعد حتى لو كان الداعون إلى التهدئة أو عدم الصدام هم القادة والداعون إلى التصعيد هم من الأعضاء العاديين.

خاتمة:

هكذا بدت لنا أهم العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً بشأن تطور التيار الجهادي، وهي قابلة للنقص أو الزيادة حسب اجتهاد كل باحث.

أشهر الشخصيات في تيار الجهاد المصري

دأب الكثير من الكتاب ووسائل الإعلام على الحديث عن العديد من قادة تيار الجهاد المصرى وفق معلومات مغلوطة ولا أساس لها من الصحة ولم يسلم من ذلك حتى الأجهزة الدولية المشهورة بقدراتها المعلوماتية الفائقة مثل المخابرات الأمريكية ووزارة الخارجية الأمريكية التى صنفت **أيمن الظواهرى** عام ١٩٩٨م على أنه زعيم التنظيم الذى نفذ مذبحة الأقصر ضد عدد من السياح الغربيين، رغم أنه من الثابت يقيناً أن الذى نفذ هذه المذبحة هو تنظيم الجماعة الإسلامية بزعامة **كرم زهدى** والثابت يقيناً أيضاً أن **أيمن الظواهرى** كان وقتها زعيماً لتنظيم الجهاد المصرى.

وإزاء هذا التخبط المعلوماتى وجدنا أنه لزاماً علينا أن نذكر ما أتيح لنا من معلومات صحيحة في هذا الصدد جرياً على منهجنا الذى سرنا عليه في الصفحات السابقة عن هذا التيار وذلك لتنوير الرأى العام وتنقية أفكار الأمة من الأوهام التى يتم تسويقها على أنها حقائق.

إسماعيل طنطاوى

هو أول مؤسس لتنظيم الجهاد المصرى وكان وقتها طالباً بكلية الهندسة جامعة الأزهر.

وكان **إسماعيل طنطاوى** مقيماً بحى المنيل بالقاهرة.

وقد أسس تنظيم الجهاد بالتعاون مع صديقه **علوى مصطفى** بالإضافة إلى كل من **نبيل البرعى ويحيى هاشم ورفاعى سرور**.

اختلف **إسماعيل طنطاوى** مع **صالح سرية** حول عدة قضايا فقهية، الأمر الذى حال بين اندماج **صالح سرية** مع تنظيم **إسماعيل طنطاوى**.

وظل **إسماعيل طنطاوى** في قيادة تنظيم الجهاد الذى أسسه إلى حين هروبه من مصر إلى هولندا عام ١٩٧٤م حيث كان مطلوباً لأجهزة الأمن

على خلفية علاقته الشخصية بدكتور **صالح سرية** قائد التنظيم الذى قام بعملية الفنية العسكرية.

وقد حصل **إسماعيل طنطاوى** على الجنسية الهولندية وعاش في هولندا منذئذ لكنه كان يزور مصر من حين لآخر في مرحلة الثمانينيات من القرن العشرين، ومع ذلك لم ينخرط في أى نشاط جهادى لا في مصر ولا في خارج مصر.

علوى مصطفى

كان **علوى مصطفى** مقيماً بحى مصر الجديدة بالقاهرة وكان طالباً بكلية الهندسة جامعة الأزهر عندما شارك **إسماعيل طنطاوى** في تأسيس أول تنظيم جهاد في مصر.

وكان علوى مصطفى متأثراً جداً في ذلك الوقت بالشيخ **محمد خليل هراس** وهو عالم أزهرى جليل كان حينها رئيساً لجمعية أنصار السنة المحمدية بمصر وكان **علوى وإسماعيل طنطاوى** وغيرهما من مؤسسى الجهاد يواظبون على حضور دروس الشيخ **محمد خليل هراس** بمسجد أنصار السنة في شارع قولة بحى عابدين بالقاهرة، وهناك تعارف الشباب الذين أسسوا تنظيم الجهاد.

ورغم تعلق **علوى مصطفى** بالشيخ **محمد خليل هراس** إلا أنه كان له ملاحظات عقيدية وفقهية على عقيدة وأفكار جماعة أنصار السنة المحمدية وكتب كراساً في ذلك كان يستخدمها مع الشباب الذين كانوا مواظبين على الحضور لمكتبة ومسجد أنصار السنة كى يدعوهم إلى الانضمام إلى تنظيم الجهاد.

ظل **علوى مصطفى** من قادة تنظيم الجهاد إلى أن اختلف عام ١٩٧٤م مع عدد من قادة الجهاد على حكم ضباط الجيش من تنظيم الجهاد الذين قتلوا في الحرب مع إسرائيل في أكتوبر ١٩٧٣م حيث كان شقيق **علوى** نفسه هو أحد الضباط الذين قتلوا في هذه الحرب، وكان رأى **علوى مصطفى** أنهم شهداء بينما رأى آخرون أنهم ليسوا شهداء، وحينئذ ترك **علوى** تنظيم

الجهاد ولم يعد له أى نشاط إسلامى سوى أنه انضم لإحدى الطرق الصوفية.

ومع ذلك فإن **علوى مصطفى** تم اعتقاله إثر اغتيال السادات (أكتوبر ١٩٨١ م) لأن اسمه ورد في التحقيقات بصفته أحد مؤسسى تنظيم الجهاد.

نبيل البرعى

كان **نبيل البرعى** مقيماً بحى المعادى بالقاهرة عندما تعارف على **إسماعيل طنطاوى وعلوى مصطفى** بمسجد جمعية أنصار السنة المحمدية بمسجد قولة بحى عابدين بالقاهرة، وهناك تناقش كثيراً مع **علوى وإسماعيل** بشأن أحوال مصر والعالم الإسلامى وتوافقت أفكاره وآماله بشأن الإصلاح الإسلامى مع **إسماعيل وعلوى** بما حدا نبيل بأن يقول لهما ذات مرة إثر إحدى المناقشات: ايه رأيكم نعمل تنظيم؟ وكانت الفكرة مختمرة من قبل في فكر **علوى وإسماعيل** مما حدا بهما لموافقته على الفور.

والبعض يعزى تجنيد **أيمن الظواهرى** في تنظيم الجهاد إلى **نبيل البرعى** باعتبار التجاور بالسكن في حى المعادى رغم تفاوت العمر بينهما.

ظل **نبيل البرعى** عنصراً نشطاً بالتنظيم رغم كل الانشقاقات والمنعطفات التى مر بها التنظيم إلى أن ألقى القبض عليه إثر اغتيال السادات وكان في بيته حينذاك عشرات الصناديق التى تحوى قذائف الآر بى جى المضادة للدبابات، وخرج من السجن بعد قضائه ثلاث سنوات.

ولم يعد له نشاط في تنظيم الجهاد إلى حين وفاته من عدة سنوات.

أيمن الظواهرى

ولد **أيمن الظواهرى** في مصر عام ١٩٥١م، وكان والده أستاذاً بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة.

وتخرج **أيمن** من كلية الطب في جامعة القاهرة عام ١٩٧٤م وحصل على درجة الماجستير في الجراحة بعد أربع سنوات.

بدأت علاقة **أيمن الظواهرى** بالحركة الإسلامية وتحديداً بتنظيم الجهاد منذ عام ١٩٦٦م عندما كان يدرس بالمدرسة الثانوية، وقد تعرف على كل من **علوى مصطفى وإسماعيل طنطاوى ونبيل البرعى** وانضم معهم إلى تنظيم الجهاد الذى أسسوه في هذه الفترة وظل عضواً بهذا التنظيم حتى عام ١٩٧٤م عندما هرب قائد التنظيم **إسماعيل طنطاوي** إلى هولندا، أيام محاكمة قضية الفنية العسكرية على خلفية علاقته **بصالح سرية**.

وبعد هدوء الأوضاع الأمنية بشأن تنظيم **إسماعيل طنطاوى** أعاد **أيمن الظواهرى** بناء وترتيب التنظيم من جديد وشاركه في ذلك كل من **عصام القمرى وسيد إمام وأمين الدميرى** وغيرهم.

واستمر في العمل حتى تعاون مع تنظيم **محمد عبد السلام** منذ بداية عام ١٩٨١م وحتى اغتيال **السادات** في أكتوبر ١٩٨١م عندما تم القبض على تنظيم **محمد عبد السلام** وكذلك **أيمن الظواهرى** نفسه هو وتنظيمه.

وبعد خروجه من السجن عام ١٩٨٤م توجه إلى السعودية ومنها إلى باكستان حيث عمل طبيباً بأحد المستشفيات في بيشاور وفي نفس الوقت بدأ في الترتيب لإعادة تأسيس تنظيم الجهاد، وعندما أعاد بناء تنظيم الجهاد اتفق هو وممثلو **عبود الزمر** بخارج مصر على تولية **سيد إمام** الإمارة العامة للتنظيم بينما صار هو نائباً له بشكل فعلى أكثر من كونه منصباً رسمياً لكنه ظهر أمام أكثر الأعضاء كأنه الأمير بسبب مبالغة **سيد إمام** في التخفى عن عامة الأعضاء.

وتولى **أيمن** الإمارة خلفاً لسيد إمام من عام ١٩٩٣م وحتى عام ١٩٩٨م عندما استقال من الإمارة تحت ضغوط من مجلس شورى الجهاد.

وبعد استقالته انضم إلى تنظيم القاعدة، وشارك بن لادن في التوقيع على فتوى عام ١٩٩٨م تدعو إلى تنفيذ هجمات ضد المدنيين الأمريكيين، وصار أهم قادة القاعدة بعد أسامة بن لادن.

وكان **الظواهرى** قد ظهر فى شريط فيديو إلى جانب بن لادن عندما كان يهدد بالرد على الولايات المتحدة لاعتقالها الشيخ **عمر عبد الرحمن** بعد اتهامه في تفجير مركز التجارة العالمى عام ١٩٩٢م ومنذ حادث ١١

سبتمبر ٢٠٠١ أصبح يظهر بشكل متقطع على شرائط فيديو موجهة للاعلام العالمي أو لأنصاره.

يحيى هاشم

كان **يحيى هاشم** من أبرز قادة الجهاد في تنظيم **إسماعيل طنطاوى** منذ نشأة التنظيم وكان معاوناً بالنيابة العامة بالإسكندرية، وظل نشطاً بالتنظيم إلى أن جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧م حيث طرح فكرة العمل الجماهيري الواسع وفضح حقيقة **جمال عبد الناصر** لعامة الشعب والسعى إلى تحريك الجماهير وتثويرها والإطاحة **بجمال عبد الناصر** عبر ثورة شعبية وحتى لو فشلت فعلى التنظيم حسب رأيه أن يتحول إلى حرب العصابات ضد النظام، وبذا أصبح **يحيى هاشم** نابذاً لفكرة الانقلاب العسكرى التى كان يتبناها تنظيم الجهاد.

ومع ذلك لم تنفجر الخلافات بين **يحيى هاشم وإسماعيل طنطاوى** إلا عام ١٩٦٨م عندما خرجت المظاهرات تندد **بعبد الناصر** وقادة سلاح الطيران باعتبارهم مسؤولين عن الهزيمة، فحينئذ انضم **يحيى هاشم** إلى المظاهرات وحمله المتظاهرون على الأعناق وبعد قليل ألقت الأجهزة الأمنية القبض عليه لكنها سرعان ما أطلقت سراحه عندما علمت أنه معاون بالنيابة لما لهذه الوظيفة من حصانة قضائية.

واتهم التنظيم **يحيى هاشم** بتعريض تنظيم الجهاد للخطر، وتفجرت خلافاته السياسية والفقهية مع **إسماعيل** وسائر قادة التنظيم مما دفعه إلى الانشقاق ومعه مجموعة على رأسها الشيخ **رفاعى سرور**.

وسعت المجموعة إلى تطبيق قناعاتها الفكرية الجديدة لكنها فشلت.

وحاصرت قوات الأمن أغلب قادة وأعضاء التنظيم في منطقة جبلية بأسيوط حيث جرى اشتباك عنيف بالأسلحة النارية فقتل فيه أغلب قادة وأعضاء المجموعة وعلى رأسهم **يحيى هاشم** نفسه في عام ١٩٧٥م.

رفاعى سرور

أحد أبرز وأقدم المفكرين والمنظرين بتيار الجهاد وكان عضواً بتنظيم الجهاد بالإسكندرية ثم انتقل إلى القاهرة، وعندما حدثت الخلافات بين **يحيى هاشم وإسماعيل طنطاوى** كان منحازاً لآراء **يحيى هاشم** مسبقاً لتوافق أفكارهما في هذا السياق.

ورفاعى سرور من مواليد الإسكندرية عام١٩٤٧م.

وقد ألف العديد من الكتب التى تؤصل بشكل أو بآخر لقضايا فكرية تهم تنظيم الجهاد، كان أولها كتاب "أصحاب الأخدود" ألفه وعمره ١٦ عاماً.

وبعد ذلك تتابعت كتبه منها: "حكمة الدعوة" و "بيت الدعوة".

ولكن أهمها وأخطرها من حيث تأصيلها لمفهوم مهم وأساسي في فكر تنظيم الجهاد هو كتاب "عندما ترعى الذئاب الغنم" الجزء الأول، وفيه يؤصل لمفهوم السلطة في الإسلام.

وله كتاب لا يقل عنه في الأهمية وهو كتاب "قدر الدعوة" الذى جمع مادته العلمية عندما كان محبوساً على ذمة قضية تنظيم الجهاد إثر اغتيال السادات عام ١٩٨١م، ثم قام بتبييضه ونشره في منتصف الثمانينيات بعد خروجه من السجن، وكان الهدف من الكتاب أن يقدم الإطار العقائدى الذى ينبغى على الحركة الإسلامية الجهادية أن تكيف حركتها في إطاره.

ثم ألف بعده في الثمانينيات من القرن العشرين أيضاً كتاباً مهماً هو "التصور السياسى للحركة الإسلامية" وكان يهدف إلى التأصيل للتصور السياسى لتنظيم الجهاد لكنه جاء دون المستوى المعهود في كتب الشيخ السابقة.

كما أصدر العديد من الكتب في مطلع القرن الواحد والعشرين الميلادى لكنها جاءت أقل أهمية من كتبه السابقة ومن كتبه الجديدة هذه "علامات الساعة دراسة تحليلية" والجزء الثانى من كتاب "عندما ترعى الذئاب الغنم" وغيرهما كثير.

وله حالياً مدونة على موقع مكتوب اسمها **مدونة الشيخ رفاعى سرور** وتعبر عن آرائه.

وعلى هذا النشاط الفكرى اقتصر نشاط الشيخ بعد خروجه من السجن بعد محاكمته في قضية تنظيم الجهاد إثر اغتيال أنور السادات عام ١٩٨١م حيث قضى في السجن ثلاث سنوات.

وكان الشيخ قد تم ترشيحه لإمارة تنظيم الجهاد الذى أسسه **محمد عبد السلام** لكنه رفض ذلك قبل اغتيال السادات واكتفى بأن يكون مرشداً روحياً لأحد أبرز قادة التنظيم وهو **عبود الزمر**.

مصطفى يسرى

"إنه أكثر قادة الجهاد مكراً ودهاء".

هذا هو تقييم جهاز أمن الدولة دكتور **مصطفى يسري** أمير عام تنظيم الجهاد (تنظيم **صالح سرية**) في الفترة من ١٩٧٧م وحتى ١٩٨٠م.

أسس **مصطفى يسرى** مجموعة الجيزة في نهاية الستينيات وكان وقتها في الثانوية العامة وكانت هذه المجموعة على فكر الجهاد من قبل أن ينضم بمجموعته إلى تنظيم **إسماعيل طنطاوى** في نفس الفترة (نهاية الستينيات من القرن العشرين) وكان من أبرز أعضاء مجموعة الجيزة في ذلك الوقت **حسن الهلاوى**.

ولكن مجموعة الجيزة بقيادة **مصطفى يسرى** سرعان ما استقلت عن تنظيم **إسماعيل طنطاوى** وظلت مستقلة عن أى تنظيم حتى حين.

وعندما أسس **صالح سرية** تنظيمه في مطلع السبعينيات كان ساعده الأيمن في هذا التنظيم هو **كارم الأناضولى** الطالب بالكلية الفنية العسكرية والذى كان زميلاً **لمصطفى يسرى** في المدرسة السعيدية الثانوية بالجيزة، ولذا قام **كارم** بتدبير لقاء بين **مصطفى يسرى** (الذى كان حينئذ طالباً بكلية الطب جامعة القاهرة) و**دكتور صالح سرية** أمير عام التنظيم والذى على إثره انضم **مصطفى** ومعه مجموعة الجيزة للتنظيم، وصار **مصطفى**

يسرى منذئذ قائداً هاماً بالتنظيم إلى أن اعتقل واتهم في القضية المعروفة إعلامياً باسم قضية الفنية العسكرية، لكنه حصل على البراءة، وخرج من السجن وظل على نشاطه في التنظيم إلى أن اعتقل واتهم مرة ثانية في قضية عرفت إعلامياً باسم قضية الجهاد عام ١٩٧٧م، وللمرة الثانية يخرج من السجن بعد حصوله على البراءة، وفي هذه المرة يتم انتخابه أميراً لتنظيم الجهاد، ويظل يقوم بهذا الدور إلى أوائل عام ١٩٨٠م عندما أصدر قراراً بحل تنظيم الجهاد بالتفصيل الذى ذكرناه في الصفحات السابقة.

وكان مصطفى يسرى قد تخرج من كلية الطب بجامعة القاهرة عام ١٩٧٤م وحصل بعدها على الماجستير في الجراحة وعمل جراحاً إلى أن غادر مصر بعد حل تنظيم الجهاد ولم يظهر بعد ذلك على مسرح الأحداث مرة أخرى أبداً.

لكن الكثيرين من قادة الجهاد الذين لعبوا أدواراً هامة في تاريخ الجهاد هم من تلامذة **مصطفى يسرى** ولعل أشهرهم **محمد عبد السلام فرج** الذى اتخذ قرار اغتيال السادات ونفذته مجموعة من أتباع **محمد عبد السلام** بقيادة ملازم أول **خالد أحمد شوقى الإسلامبولى**، وإذا كان **محمد عبد السلام** أشهر تلامذة **مصطفى يسرى** إلا أنه ليس أكثرهم تشرباً بطباع وصفات **مصطفى يسرى**.

كارم الأناضولي

تعرف **كارم الأناضولى** على دكتور **صالح سرية** في منزل **السيدة زينب الغزالى** وأثر ذلك صار **كارم الأناضولى** الذراع الأيمن **لصالح سرية** في تأسيس وإدارة تنظيم الجهاد الذى قام بمحاولة انقلاب عسكرى فاشلة عام ١٩٧٤م اشتهرت باسم عملية الكلية الفنية العسكرية حيث كان **كارم الأناضولى** طالباً بالسنة النهائية فيها كما كان للتنظيم عشرات الأعضاء ضمن طلبة الكلية.

وكان **كارم الأناضولى** قد مارس ضغوطاً هائلة على **صالح سرية** بهدف القيام بالمحاولة الانقلابية قبل الموعد المحدد لها بسنوات عدة، ونجحت

ضغوط **كارم** في إرغام **صالح** على التبكير بالعملية مما كان له أبلغ الأثر في فشلها حسب رأى قادة التنظيم في تقييمهم للعملية بعد ذلك.

وفي أثناء عملية محاولة الاستيلاء على كلية الفنية العسكرية كان **كارم الأناضولى** قائد العملية.

وقد حكم عليه بالإعدام في المحاكمة التى جرت إثر فشل محاولتهم الانقلابية مثله في ذلك مثل **صالح سرية وطلال الأنصارى** لكن **طلال** قد خفف **السادات** عنه الحكم إلى السجن المؤبد بينما تم تنفيذ حكم الإعدام في كل من **صالح سرية وكارم الأناضولى**.

د.سيد إمام ورحلته من كلية الطب

إلى مراجعات الجهاد

ارتبطت مراجعات تنظيم الجهاد الأخيرة في السجون باسم دكتور **سيد إمام** صاحب الوثيقة الأهم في هذه المراجعات "وثيقة ترشيد العمل الجهادى".

وتاريخ **سيد إمام** وعلاقته بتيار الجهاد المصرى أمر مجهول للرأى العام، وهو مثله في ذلك مثل سائر رموز التيارات الإسلامية المحظورة تندر المعلومات المعلنة عنهم.

لكننا في السطور التالية سنكشف عن جانب هام من المعلومات التاريخية المؤكدة عن **د.سيد إمام الشريف** كنا قد جمعناها من عدد من المعاصرين للأحداث الجهادية المختلفة، ونظراً إلى حساسية الموقف بالنسبة إلى هذا التيار فإننا لن يمكننا أن نكشف عن هوية هذه المصادر وذلك بناء على طلبهم.

رغم أن مدينة بنى سويف هى مسقط رأس دكتور **سيد** وموطنه إلا أنه درس بكلية الطب بجامعة القاهرة حتى تخرج فيها وعين معيداً فيها وكان من نفس دفعة كل من رفيق دربه **أيمن الظواهرى** وأمير عام أحد أكبر تنظيمات الجهاد **مصطفى يسرى**، كما تخصص في نفس التخصص الذى تخصص فيه **أيمن الظواهرى ومصطفى يسرى** وهو الجراحة.

وإذا كان **سيد إمام** من نفس دفعة **مصطفى يسرى** وفي نفس تخصصه فإنه لم يكن معه فى نفس تنظيم الجهاد الذى انتمى إليه **مصطفى يسرى** من تاريخ سابق إذ كان **مصطفى** ينتمى إلى تنظيم **صالح سرية**، لكن كان **سيد** مثله مثل **أيمن** ينتمى إلى تنظيم الجهاد الذى أسسه مهندس **إسماعيل**

طنطاوى عام ١٩٦٦، ثم جدده وأعاد تأسيسه كل من **أيمن الظواهرى** و**عصام القمرى وسيد إمام** نفسه بعد عام ١٩٧٤م.

ظل **سيد إمام** يعمل من خلال هذا التنظيم حتى اغتيال **السادات** في ٦ أكتوبر ١٩٨١م، وبعدها بأيام زار **عبود الزمر** في مخبئه بالهرم وكان حينئذ بصحبة كل من **أيمن الظواهرى** ودكتور صيدلى **أمين الدميرى**.

وكان **أمين الدميرى** من قادة تنظيم **أيمن** كما كان حلقة الوصل بين تنظيم **أيمن** وتنظيم **عبود الزمر**، **وأمين** هو الذى سعى في دمج التنظيمين ببعضهما قبيل مقتل **السادات** بالاتفاق مع **طارق الزمر**.

وكان هذا اللقاء الأخير بهدف التفكير واتخاذ القرار بشأن ما ينبغى عمله بالتعاون بين التنظيمين بعيد اغتيال **السادات**.

وفي هذا الاجتماع عرض **عبود** رأيه بتصعيد عمليات الجهاد العسكرية فيما يشبه حرب عصابات، بينما عرض **أيمن وسيد إمام** على **عبود** أن يضمنا خروجه من مصر إلى مكان آمن خارج مصر مع تأمين سائر قادة جماعة عبود داخل مصر في مخابئ آمنة مقابل إيقاف أية أعمال عسكرية لأنها في نظرهم تضر بتيار الجهاد وبسائر التيارات الإسلامية بمصر حينئذ.

واجتمع **عبود** بأركان مشورته وقرر رفض العرض بعد أن وصل **عبود الزمر** رأى **د. عمر عبد الرحمن** برفضه هذا العرض.

وخرج الثلاثة من عند عبود آسفين.

وفي الطريق قال **سيد إمام** لصاحبيه مشيراً إلى **عبود الزمر** وتنظيمه إن هؤلاء ناس يغرقون ومن يقترب منهم سيغرق معهم ولو علمت أن أحداً منكم اتصل بهم مرة أخرى فإننى سأقاطعكم وأنهى أية صلة لي بكم.

وبعد ذلك خالفوا كلامه وقابل **عصام القمرى** وآخرون **عبود الزمر**، لكن **سيد إمام** أنفذ تهديده وقاطع المجموعة كلها حيث تم القبض عليهم جميعاً بعد القبض على مجموعة **عبود الزمر**، أما **سيد إمام** فقد ظل مختفياً في مسكن لا يعرفه أحد من رفاقه ستة أشهر ثم غادر مصر بجواز سفر

مزيف، حيث اتجه إلى دولة عربية وعمل في عمل بسيط غير تخصصه لفترة طويلة ثم اتجه إلى باكستان حيث عمل بمستشفى هناك لعلاج اللاجئين الأفغان حتى صار مديراً لها، وهناك اشتهر لدى نخبة من المجاهدين العرب بعلمه وفقهه حتى صار بمثابة المرجعية الشرعية لمعظم منظرى التيارات الجهادية في العالم لاسيما بعدما قابل **أيمن الظواهرى** واتفق معه على أن يقود **سيد إمام** تنظيماً مكوناً من أكبر تنظيمين جهاديين مصريين حينذاك وهما تنظيم **عبود الزمر** وتنظيم **أيمن الظواهرى** وكان يمثل الأول حينئذ **أحمد سلامة مبروك** بينما مثل الثانى **أيمن** نفسه وذلك عام ١٩٨٩م.

ظل **سيد إمام** أميراً عاماً لهذا التنظيم الموسع إلى أن سقط عدد كبير من مجموعات التنظيم في مصر في قبضة الأجهزة الأمنية فيما عرف إعلامياً بقضية طلائع الفتح عام ١٩٩٣م، وحينئذ جرت محاسبات وتقويمات ومشاجرات وأعقب ذلك خلافات وانشقاقات ثم إعادة ترتيب داخل ما تبقى من التنظيم، وكان دكتور **سيد إمام** يعارض إقامة مجلس شورى ثابت لأنه يرى أن ذلك بدعة تسربت إلى الحركات الإسلامية من تأثرها بالأفكار الغربية ويستدل على ذلك بأن **النبى** صلى الله عليه وآله وخلفائه الراشدين لم يكن لهم مجلس شورى محدد بل يكثر من الشورى بدون هيئة محددة وثابتة من المستشارين، كما كان يرى أن الشورى ليست ملزمة للأمير، ولما كان المزاج العام لدى قادة الجهاد حينئذ عكس هذا بعد الهزيمة التى تلقوها على أيدى الأجهزة المصرية حينئذ (منتصف١٩٩٣م) كما كان رجال **سيد إمام** هم من الملومين في هذه الهزيمة فقد تقرر أن يترك **سيد إمام** القيادة العامة ليتولاها الرجل الثانى حينئذ **أيمن الظواهرى** ويتفرغ **سيد** لرئاسة لجنة الفتوى والبحوث الشرعية بجماعة الجهاد.

وفي أثناء هذه الرئاسة ألف كتابه المثير للجدل "الجامع في طلب العلم الشريف" وبسبب أنه مال في هذا الكتاب إلى التشدد وتكفير ليس فقط طوائف من المسلمين بل مال فيه إلى تكفير بعض الحركات الإسلامية أو بعض قادتها فإن قيادة تنظيم الجهاد حينئذ حذفت أكثر من ثلثى الكتاب ثم نشرته تحت اسم آخر هو "الهادى إلى سبيل الرشاد في معالم الجهاد والاعتقاد" وحينئذ نشبت المعركة الفكرية بين **سيد إمام** ومعه قلة من

تلامذته من جهة وأ**يمن الظواهرى** وبقية تنظيم الجهاد من جهة أخرى، ولجأ **سيد إمام** لياسر السرى الذى لم يكن في يوم من الأيام عضواً في جماعة الجهاد كى ينشر له الكتاب عبر المرصد الإسلامى بلندن ونشره فعلاً كاملاً ومن هناك انتشرت النسخة الكاملة الأصلية للكتاب.

وانشق حينئذ **سيد إمام** عن جماعة الجهاد وأصدر بياناً ضد جماعة الجهاد قال فيه إنها جماعة ضالة أضل من حكام العالم الإسلامى والجهاد ضدها أوجب من الجهاد ضد هؤلاء الحكام، وقد وزع هذا البيان في أوساط الجهاديين في كل من اليمن والسعودية وغيرهما.

وعندما سئل **أيمن الظواهرى** عن سبب حذفه لأكثر من نصف كتاب الجامع رغم أنه أصدر كتابه "الحصاد المر" عن الإخوان المسلمين رغم معارضة أغلب أعضاء وقادة الجهاد، فقال كتاب الحصاد ألفته على نفقتى الخاصة معبراً عن رأيى الشخصى ونشر باسمى بينما كتاب الجامع صادر عن لجنة البحوث بتنظيم الجهاد ليحمل فكر وعقيدة التنظيم وتم الإنفاق عليه من مال التنظيم وسيصدر باسم التنظيم فلابد أن يعبر عن رأى التنظيم لا رأى الشيخ **سيد إمام**.

ومع ذلك كله ظل كتاب "العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله" هو أهم مرجعيات جماعة الجهاد المصرية بقيادة **أيمن الظواهرى** ومن تولى بعده.

كما ظل ذلك الكتاب وكذلك كتاب "الجامع في طلب العلم الشريف" هما أهم مرجعيات التيار الجهادى العالمى بكل تنظيماته.

وظل **سيد إمام** رمزاً ومرجعية شرعية وفكرية لهذا التيار رغم انكفاء **سيد** على نفسه في اليمن إلى أن تم القبض عليه وتسليمه إلى مصر عام ٢٠٠٣م.

وما زال ل**سيد إمام** احترامه لدى الجهاديين في العالم كله برغم معارضة أغلبهم لوثيقة الجهاد ومراجعات الجهاد التى تبناها دكتور **سيد إمام**.
أما دور دكتور **سيد** في مراجعات الجهاد فهو قصة أخرى لم تنته فصولها بعد.

المصريون في القاعدة من هم؟ وأين هم؟

وما هو مصيرهم؟

سؤال عاود الإطلال برأسه بعدما شنت طائرات أمريكية بدون طيار عدة موجات من الغارات بالصواريخ على ما قيل إنه معاقل لمنظمة القاعدة وحركة طالبان الأفغانية في منطقة وزيرستان الباكستانية، وقد ادعت مصادر الأمن الباكستاني أن ٣٣ شخصاً تم قتلهم في هذه الغارات ومن بينهم **أبو جهاد المصري** مسؤول إعلام القاعدة. **وأبو جهاد** هذا حسب مصادر القاعدة هو **محمد خليل الحكايمة**، وهو أحد قادة الجماعة الإسلامية المصرية، لكنه انشق عنها احتجاجاً على مبادرة وقف العنف، لكن مصادر القاعدة حتى الآن لم تؤكد ولم تنف مقتل الحكايمة، وهو ما قد يشير إلى عدم صدق إشاعة مقتله التي أطلقها الأمن الباكستاني. ولم يكن خبر مقتل الحكايمة هذا الوحيد الذي يعيد فتح ملف المصريين في القاعدة لأنه في الأشهر الأخيرة جرى أيضاً الإعلان عن مقتل **سيف العدل** و**أبي خباب** المصريين. فمن هم المصريون في القاعدة وما هو عددهم؟ وأين هم؟ وما مصيرهم؟ وما هو تأثيرهم في القاعدة؟ وما تأثيرهم على عمليات القاعدة وعلى مستقبل القاعدة؟ **أيمن الظواهري** هو الاسم الذي يقفز إلى الذهن فور ما تسمع الأذن كلمة "المصريين في القاعدة" لكن في الحقيقة هناك العديد من الأسماء المصرية التي لعبت أدواراً في تأسيس وإدارة القاعدة تساوي في أهميتها دور **أيمن الظواهري** بل تتفوق عليه أحياناً، فإذا كان **أيمن الظواهري** هو الذي أقنع **أسامة بن لادن** بالفكر الجهادي فإن الذي شيد بناء القاعدة حقيقة من البداية وحتى صارت ملء السمع والبصر في العالم كله هو المصري **أبو عبيدة البنشيري**، واسمه الحقيقي **على أمين الرشيدي** وكان أمين شرطة بالشرطة المصرية ومدرب مصارعة بنادي الشرطة بالقاهرة وكان يقيم في حي عين شمس بالقاهرة وكان عضواً في مجموعة **نبيل المغربي** القيادي الجهادي المشهور وأحد

مؤسسي تنظيم الجهاد المصري الذي اغتال **السادات** بقيادة **محمد عبد السلام وعبود** الزمر، وقد اعتقل **أبو عبيدة البنشيري** مع **نبيل المغربي وعبود الزمر** إثر اغتيال **السادات** عام ١٩٨١م وظل في السجن حتى أفرج عنه مع **أيمن الظواهري** وآخرين عام ١٩٨٤م، وسافر بعدها إلى أفغانستان حيث قاتل في صفوف الأفغان واكتسب خبرات عسكرية واسعة بالإضافة إلى خبراته السابقة في تنظيم الجهاد المصري، حتى قيل إن خبراته صارت تعادل خبرات ضابط برتبة لواء بالجيش، وقد قاد العديد من المعارك الكبرى ضد الجيش السوفيتي في أفغانستان وظن الروس أن قائد المعارك عسكري محترف برتبة جنرال، وقيل إن الصحف الروسية كتبت أن جنرالاً مصرياً قاد هذه المعارك الكبرى.

وعندما سعى **بن لادن** إلى تأسيس القاعدة عام ١٩٨٧م بإيعاز من "**الظواهري**" و "**أبي عبيدة البنشيري**" نفسه أوعز "**بن لادن**" لـ "**أبي عبيدة**" بتأسيس منظمة القاعدة على النحو الذي جرت عليه الأمور ومن المعروف أن "**بن لادن**" كان يترك كل أمور الإدارة التنظيمية والعسكرية لعلي الرشيدي (**أبي عبيدة البنشيري**). وظل **أبو عبيدة** يقود القاعدة في أفغانستان ثم في السودان وقاد حروبها في أفغانستان والصومال واليمن كما قاد أعمالها الاقتصادية والزراعية في السودان إلى أن غرق عام ١٩٩٥م في بحيرة فكتوريا بكينيا في أثناء إحدى رحلاته لبناء قواعد لمنظمة القاعدة في إفريقيا.

ثم كان ثاني قائد تنفيذي للقاعدة بعد **أبي عبيدة البنشيري** هو **أبا حفص المصري** الذي خلف **البنشيري** في قيادة القاعدة منذ مقتله واسمه الحقيقي "**صبحي أبوسته**" وهو مهندس زراعي مصري من مدينة كفر الدوار بمحافظة البحيرة بمصر، وعمل كضابط احتياط بالجيش المصري برتبة ملازم أول، ثم سافر إلى أفغانستان في منتصف الثمانينيات وشغل منصب الرجل التالي **لأبي عبيدة البنشيري** في قيادة القاعدة حتى ١٩٩٥م عندما أحال له "**بن لادن**" كل صلاحيات أبي عبيدة بعد موت الأخير، وبعكس **أبي عبيدة** لم يكن أبو **حفص** عضواً في تنظيم الجهاد المصري كما لم يكن معروفاً لأجهزة الأمن المصرية قبل اشتهاره دولياً كقائد عام لقوات تنظيم القاعدة، بل تخبطت الأجهزة الأمنية الدولية والمصرية وكذلك وسائل

الإعلام بشأنه ولم يتمكنوا من تحديد اسمه الحقيقي إلا بعد تخبط وفترة من الزمن، بل ما زال الكثير من وسائل الإعلام وعلى رأسها الـ "بي بي سي" التي ما زالت تصفه بـ "**محمد عاطف**" وجريدة "الشرق الأوسط" وغيرها ممن يصفون "أبا حفص" بأنه ضابط شرطة سابق، وطبعاً تحديدنا الصحيح لشخصيته جاء عبر مصادر القاعدة نفسها وليس عبر الأمن أو الإعلام.

وقد أصقل "**أبو حفص المصري**" خبراته القتالية من خلال التدريب في معسكرات الأفغان وخوض المعارك الكبرى ضد الجيش السوفيتي في أفغانستان وكذلك من خلال الدورات العسكرية المكثفة التي نظمتها القاعدة لقواتها وقادتها في فترات مختلفة، وكما وُصِفَ "**أبو عبيدة**" بأنه جنرال فإن القاعدة تصف "**أبا حفص**" أيضاً بأنه جنرال لكنه كان أكثر حزماً وشدة من أبي عبيدة في إدارته للقاعدة. وإذا كان أبو عبيدة قاد قوات القاعدة في أثناء معاركها الكبرى في أفغانستان ضد الروس وفي الصومال ضد الأمريكان فإن **أبا حفص** عندما قاد قوات القاعدة نفذت هذه القوات عدة عمليات مسلحة حول العالم منها قصف مقر القوات الأمريكية في فندق باليمن بصاروخ أرض أرض في منتصف التسعينيات، ودعم عمليات القاعدة في البوسنة والشيشان، ونسف السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا عام ١٩٩٨م، وقصف المدمرة الأمريكية "يو إس إس كول" في خليج عدن عام ٢٠٠٠م، كما كان قائداً عسكرياً عاماً للقاعدة إبان قصفها لبرجي التجارة في ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في نيويورك، وظل قائداً لقوات القاعدة حتي قتله قصف الطائرات الأمريكية في نوفمبر ٢٠٠١م في أثناء الغزو الأمريكي لأفغانستان.

ولقد شددت القاعدة إجراءاتها الأمنية بعد غزو الناتو لأفغانستان فلم يعد من المستطاع تحديد شخصيات شاغلى المناصب العليا في القاعدة عامة وفي جهازها الأمني والعسكري خاصة، ولكن من الشائع أن "سيف العدل" هو الذي تولى القيادة العامة لقوات القاعدة وتخبطت بشأنه وسائل الإعلام والعديد من أجهزة المخابرات الدولية بما فيها الأمريكية، فتارة يقولون هو عقيد الصاعقة المصري "**محمد مكاوي**" وتارة يقولون هو "**مصطفى أبو اليزيد**" زوج ابنة "**أبى الوليد المصري**"، ولم يحسم الأمر إلا عندما

زعمت القوات الباكستانية في ١٢-٨- ٢٠٠٨م أنها اغتالت "**مصطفى أبى اليزيد**" (سيف العدل) في اشتباكات مع القاعدة وطالبان على الحدود الباكستانية الأفغانية، وفي تكذيب عملي أذاعت شبكة القاعدة الإعلامية "سحاب" تسجيلاً لفيديو في سبتمبر ٢٠٠٨م مؤرخ بأغسطس يظهر فيه "**أبو اليزيد**" حياً، **ومصطفى أبو اليزيد** من محافظة الشرقية بمصر، واحتل رقم ١٤ في الأمر التنفيذي رقم ١٣٢٢٤ باسم "سيف العدل" وهو الأمر الذي وقعه الرئيس بوش في ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٢، وينص على تجميد أرصدة المنظمات والأفراد الذين تربطهم علاقات بالإرهاب، وبه الآن ٢١٩ بين جماعات، وهيئات، وكيانات، وأفراد ممن يشملهم الأمر التنفيذي، واحتل أيضاً **أبو اليزيد المصري** (سيف العدل) رقم ١٥ بنفس القائمة باسم "**الشيخ سعيد مصطفى محمد أحمد**". وكان قد أشيع أن سيف العدل يقود عمليات القاعدة العسكرية حول العالم من داخل طهران، وقد سئل **الظواهري** عن ذلك فامتنع عن الإجابة بالنفي أو الاثبات، وهذا مفهوم من أجل الحفاظ على أمن "سيف العدل"، لكن من المؤكد (حسب مصادر القاعدة) ألا أحداً من قادتها يعمل من داخل إيران لأن إيران تمنع ذلك تماماً.

"**أيمن الظواهري**" المصري الذي يتربع على قمة الهرم القيادي بالقاعدة تالياً لـ "**بن لادن**" هو الذي أقنع "**بن لادن**" بالفكر الجهادي بعدما كان "**بن لادن**" مؤيداً للأسرة المالكة السعودية، كما أنه هو الذي أقنع **بن لادن** باستراتيجية القاعدة الحالية نفسها، وهو صاحب الكاريزما الجهادية العالمية الآن حتى لقبه الجهاديون بحكيم الأمة، ورغم ذلك كله فإن "**الظواهري**" ليس هو المنظر السياسي والاستراتيجي الأول للقاعدة بل هو ناقل للفكر السياسي والاستراتيجي الذي وضعه زملاؤه من القادة الجهاديين ومجادل مدافع عن هذا الفكر وربما يطور فيه قليلاً، ولكن من المثير أن نعلم أن المنظر السياسي والاستراتيجي الأكثر مهارة للجهاديين الإسلاميين حالياً هو **أبو مصعب السوري** ويليه في المهارات الاستراتيجية **أبو الوليد المصري**، ولأن **أبا مصعب سوري** فهو خارج عن موضوعنا هذا، ولكن لابد أن نتكلم عن توأمه المصري **أبي الوليد المصري**. **فأبو الوليد المصري** صحافي مصري عمل لفترة طويلة في صحيفة خليجية

بالكويت، وكان في بدايته ناصرياً، ولكنه مع مرور الوقت توجه إلى التدين وبعدها سافر إلى باكستان في أواخر الثمانينيات وانضم إلى القاعدة عند نشأتها لأنه كان في أفغانستان قبل نشأة القاعدة بأكثر من ثلاث سنوات ولم ينضم إلى الجهاد المصري مثله في ذلك مثل **أبي حفص المصري**، وكان في سن الأربعين عندما وصل بيشاور أول مرة للمشاركة في الجهاد الأفغاني بعدما كان قد شارك في مقاومة إسرائيل في جنوب لبنان ضمن صفوف منظمة فتح الفلسطينية إبان الاجتياح الإسرائيلي عام ١٩٨٢م.

قاد "**أبو الوليد**" عدداً من معسكرات القاعدة في أفغانستان ولعب دوراً بارزاً في التوعية والتوجيه السياسي والاستراتيجي بالقاعدة، كما أنه عارض ضربات ١١سبتمبر، لكن بعض مصادر القاعدة تقول إنه لم يعارضها إلا بعد احتلال أفغانستان وإنما كان موافق قبلها، وعلى كل حال ففي بعض وثائق القاعدة التي كشفت عنها الولايات المتحدة بعد الغزو يقول أبو الوليد في مراسلة لـ "سيف العدل" عندما كان الأخير يقود حرب القاعدة في الصومال ضد الأمريكيين "ضع قواعدك في الجبال، وتحرك في كل مكان، واقتلوهم حيث ثقفتموهم، وتوسع في إرهاب المدن وبث الألغام على الطرقات، واستخدم كل ما يمكن من أسلحة الحرب الخفية من الإشاعة إلى السموم إلى الخنق إلى التفجير إلى الهجوم الصاعق على أهداف صغيرة، وكن زئبقياً لا تدعهم يمسكونك أو يحددون مكانك أو يجروك إلى مواجهة عسكرية، املأ عليهم الفضاء مثل الهواء أي تكون موجوداً وغير مرئي»، ومن الشائع الآن أن أبا الوليد ضمن مجموعة من قادة القاعدة مسجونة في إيران بعدما تسللوا إليها بلا إذن من الحكومة الإيرانية بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان نهاية عام ٢٠٠١م.

ومن الوجوه المشهورة أيضاً من المصريين في القاعدة **مدحت مرسي السيد عمر** (٥٥ عاماً) المعروف إعلامياً باسم أبى خباب المصري خبير المتفجرات والكيماويات الذي قتلته الولايات المتحدة بقصف صاروخي بواسطة طائرات بدون طيار في ٢٨ يوليو ٢٠٠٨، وهو مهندس كيميائي تخرج في كلية العلوم جامعة الإسكندرية، وكان له علاقة مع تنظيم الجهاد المصري في مصر قبل السفر إلى أفغانستان لكنه في أفغانستان اندمج أكثر مع القاعدة، وقد نعاه **أيمن الظواهري** فقال: "أزف إليكم نبأ استشهاد

الصديق فضيلة الشيخ **أبي خباب المصري** ورفاقه الأبرار"، وقد درب **أبو خباب** الآلاف من الجهاديين العرب والآسيويين والأوروبيين والأفارقة على استخدام المتفجرات والأسلحة الكيماوية والجرثومية والسموم عبر عشرين عاماً تقريباً في معسكرات الجهاد المصري والقاعدة في أماكن مختلفة من باكستان وأفغانستان. وممن قتلوا مع **أبي خباب** في الغارة **إبراهيم شرف** وهو الابن الأكبر لأحد مشايخ القاعدة المشهورين وهو أبو الفرج اليمني (**محمد عيد إبراهيم شرف**) المسجون حالياً في مصر بعدما تسلمه الأمن المصري من دولة الإمارات عام ٢٠٠٢م، وقد نعاه **الظواهري** فقال"مضى الأخ الكريم المربي **إبراهيم**، ابن الشيخ **أبي الفرج المصري** فك الله أسره".

كما تضم قائمة المطلوبين الأمريكية زوج ابنة **أبي الفرج** أيضاً وهو **أبا محمد المصري**، ويعرف باسم **عبد الله أحمد عبد الله** وهو مصري أيضاً في أواخر الثلاثينيات من العمر. كان مسؤولاً عن معسكرات التدريب في أفغانستان ومن ضمنها معسكر الفاروق بالقرب من قندهار. وهو مطلوب أيضاً لعلاقته بتفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا ويعتبر **أبو محمد المصري** من أوائل المؤسسين لتنظيم «القاعدة»، ويعتقد أنه الآن بين صفوف مقاتلي القاعدة في أفغانستان.

وأما مجموعة قادة القاعدة الموجودة في سجون إيران فأبرز من تضمه من المصريين هو **محمد** الشقيق الأكبر **لخالد الإسلامبولي** قاتل **السادات**، ولقد كان **محمد** من القادة التاريخيين للجماعة الإسلامية المصرية لكنه استقال منها لعدم موافقته على مبادرة وقف العنف وانضم إلى القاعدة لكنه قبض عليه عندما تسلل من القصف الأمريكي عبر الحدود الإيرانية وهو مسجون هناك حتى الآن.

ويأتي "**ثروت صلاح شحاتة**" تالياً في الشهرة **لمحمد الإسلامبولي**، وهو محامي كان من قادة الجهاد المصري ونظم مجموعة معارضة لانضمام **أيمن الظواهري** إلى منظمة القاعدة، حيث عارضوا إعلان الحرب على أمريكا وأصروا على تركيز الحرب على نظام الحكم المصري فقط، وأعلنوا أن تنظيم الجهاد المصري مستمر باستراتيجيته القديمة وقيل وقتها

إن "**د.هاني السباعي**" المقيم كلاجئ سياسي في لندن يؤيد توجه "**ثروت**"، ولكن "**ثروت صلاح**" دخل إيران بجواز سفر إيراني مزور باسم "**على أكبر**" بعدما هرب من الغزو الأمريكي، وبعد فترة قبض عليه وما زال قابعاً في السجن منذئذ وحتى الآن.

أما بقية قادة الجهاد المصري المعارضين للانضمام إلى القاعدة فكان أبرزهم كل من "**طارق أنور**"، و "**نصر فهمي**". أما "**طارق أنور**" فكان مسؤول لجنة العمليات العسكرية الخاصة في تنظيم الجهاد وعضو مجلس الشورى بالتنظيم وقد تمت مقاضاته عسكرياً غيابياً في قضية العائدين من ألبانيا بالقاهرة، وصدر ضده حكم بالسجن ١٥ عاماً لكنه قتل في أثناء مقاومته للغزو الأمريكي على أفغانستان في نوفمبر عام ٢٠٠١م.

أما "**نصر فهمي**" فقد كان مسؤولاً عن اللجنة المالية في الجهاد المصري كما تولى قيادة العديد من معسكرات التدريب في أفغانستان، وكان عضواً في مجلس شورى الجهاد المصري وكان تزوج أرملة **نزيه نصحي راشد** الذي فجر نفسه في موكب اللواء **حسن الألفي** وزير الداخلية الأسبق، وصدر الحكم بالسجن المؤبد على **نصر فهمي** في قضية العائدين من ألبانيا غيابياً، ولكنه قتل مع عدد من أفراد أسرته وزملائه في قصف أمريكي استهدفه هو شخصياً في نوفمبر ٢٠٠١م بأفغانستان.

وهناك من قادة القاعدة المصريين النقيب السابق بالجيش المصري **أبو خالد** واسمه **عبد العزيز الجمل** كان من قادة القاعدة العسكريين وكذا من قادة الجهاد المصري وقد تسلمته مصر عام ٢٠٠٤ من اليمن.

أما اللغز الذي تثور حوله تساؤلات كثيرة فهو عقيد الصاعقة المصري "**محمد مكاوي**" الذي اختفى منذ عام ١٩٩٦ في باكستان والبعض يرجح أنه استغل زواجه من باكستانية وعلاقاته القوية بالباكستانيين للتخفي في أرض القبائل، وهو من قادة القاعدة المتميزين عسكرياً، لكنه كثير الاختلاف مع **بن لادن** بشأن القرارات العسكرية، وفي المنتديات الجهادية الآن تخمينات بأنه مشارك في الحرب الدائرة الآن في أفغانستان، وهو أمر غير مستبعد على مثله.

وإذا كان **"مكاوي"** في أقصى الشرق في أفغانستان فإن زميله عقيد الصاعقة المصري أيضاً والعامل بالمارينز الأمريكي سابقاً أيضاً يقبع في سجن بأمريكا بعد الحكم عليه بالسجن مدى الحياة بسبب قيادته لجهاز التدريب العسكري والأمني بالقاعدة في التسعينيات وبسبب دوره في التخطيط لتفجير سفارتي أمريكا في كينيا وتنزانيا رغم أنه يحمل جنسية أمريكية ومتزوج من أمريكية.

ومن السجن الأمريكي إلى السجن المصري حيث يقبع أشهر مسؤول إعلامي للقاعدة وهو **"أبو مصعب رويترز"** (الشيخ نجاح) ابن الجيزة الذي قاد الجهاز الإعلامي للقاعدة عدة سنوات قبل أن يسلمه الأمريكان من باكستان إلى مصر عام ٢٠٠٤م، **وأبو مصعب** مقطوعة إحدى ساقيه ويرى بعين واحدة نتيجة لإصابته في الحرب مع الروس في أفغانستان في منتصف الثمانينيات، مما جعله متفرغاً للجهاز الإعلامي للقاعدة حتى أطلقوا عليه رويترز القاعدة.

والمصريون بالمئات بل ربما بالآلاف في القاعدة، الجيل القديم كان يأتي أغلبه من الجهاد المصري وقلة ممن لا ينتمون إلى تنظيمات وقلة أخرى من الجماعة الإسلامية لكن القاعدة شهدت نزوحاً عاماً إليها من الجماعة الإسلامية المصرية منذ إعلان الجماعة لمبادرة وقف العنف، ثم شهدت نزوحاً آخر إليها من جميع التنظيمات إثر الغزو الأمريكي لأفغانستان، والآن يذهب مئات الشباب من المصريين في باكستان والعراق إليها لا سيما بعد غزو العراق، ولن نعلم إلا أسماء من ستشهرهم الأحداث مثل **أبي أيوب المصري** الذي خلف **الزرقاوي** في قيادة القاعدة بالعراق بعدما كان شاباً مغموراً في معسكرات الجهاد المصري في أوائل التسعينيات، وحتى **أبو أيوب** لم يعلن أي طرف عن اسمه الحقيقي حتى الآن.

وكما تخرج جنرالات القاعدة الأوائل من مدرسة الحرب السوفيتية الأفغانية، ومدرسة الحرب الأمريكية الصومالية، فإن جنرالات جدداً من القاعدة يدرسون الآن في مدرسة الحرب الأمريكية العراقية في العراق، ومدرسة الحرب الأمريكية الأفغانية في أفغانستان.

الظواهري ينافس برنامج الإخوان المسلمين الانتخابي ببرنامج للقاعدة

في الجزء الثاني من إجابته على أسئلة الجمهور على الإنترنت أجاب دكتور **أيمن الظواهري** الرجل الثاني في "منظمة قاعدة الجهاد" على أسئلة تفصيلية فيما يشبه طرح برنامج حزبي تفصيلي لجذب الجمهور لتأييده، وإذا كانت البرامج الحزبية يتم طرحها لجذب تأييد الجماهير للحزب صاحب البرنامج فإن **الظواهري** يطرح برنامجه ليكسب تأييد الجماهير ليس في انتخابات ديمقراطية ولكن لكسب تأييدهم في صراع سياسي وعسكري مع حكومات العالم بأسره، وإذا كانت الأسئلة بما فيها من اتهامات للقاعدة وله شخصياً قد دفعته دفعاً إلى الكلام في أمور كثيرة تفصيلية وحساسة إلا أنه لا شك قد رغب في أن يتكلم في هذه الشؤون بدليل أنه اختار الإجابة عليها أولاً بعرضه فكرة طرح الأسئلة عليه عبر الإنترنت بلا أية قيود حتى أن العديد من وسائل الإعلام الدولية قد طرحت عليه أسئلة عبر هذه العملية مثل وكالة أنباء كيودو اليابانية وغيرها، ثم ثانياً عبر اهتمامه بالإجابة عن الأسئلة المحرجة والمختلفة في منطلقاتها مع فكر القاعدة أو ما سماه بأسئلة المخالفين قبل أسئلة المتعاطفين.

وإجابات **الظواهري** عن الأسئلة بصفة عامة قد أرست خطوطاً واضحة في إعلان القاعدة عن مواقفها التفصيلية في العديد من المسائل السياسية وبدرجة أقل المسائل الاقتصادية والاجتماعية وذلك بسبب الدقة التي اتسمت بها العديد من الأسئلة وبسبب ترحيب الظواهري بهذه الدقة أو التفصيل وقد صرح **الظواهري** بهذا الترحيب في إجابته على العديد من الأسئلة مثل إجابته على مجموعة أسئلة وردته بالإنجليزية فيقول الظواهري:

"الأخ "مسلمٌ" يسأل ستة أسئلةٍ دقيقةٍ ومحددةٍ باللغة الإنجليزية، وأنا أترجمها، وأجيب عنها واحداً واحداً بعون الله، ولكني بدايةً أشكره على هذه الأسئلة الدقيقة، وأسأل الله أن يعينني على الإجابة عليها بقدر ما تسمح الظروف."

ولقد خطى **الظواهري** خطوات واسعة في سبيل طرح برنامج تفصيلي في الشؤون الداخلية وشؤون الدولة ليس فقط في الأسئلة المتعددة عن حالة الإمارة الإسلامية في أفغانستان وما أطلق عليه دولة العراق الإسلامية ولكن أيضاً في تعليقه التفصيلي على برنامج الإخوان المسلمين الانتخابي في مصر والذي طرحوه مؤخراً وأثار جدلاً واسعاً وأثرى النقاش حول رؤية الإخوان المسلمين للحكم وللدولة.

ولم يهدف **الظواهري** الذي يلقبه أتباعه بلقب حكيم الأمة بهذا البرنامج أن يكسب تأييد عامة جماهير المسلمين فقط لكنه بدا وكأنه يحاول أن يقنع جماهير الإخوان المسلمين نفسها ببرنامجه كأنها منافسة حزبية بين "حزب الإخوان المسلمين" بقيادة **مهدي عاكف** و"حزب قاعدة الجهاد" بقيادة **أيمن الظواهري وأسامة بن لادن**، يقول أيمن الظواهري في معرض إجابته على أحد الأسئلة:

"عاشراً: أما النصيحة التي أتوجه بها إلى كل مخلصٍ في جماعة الإخوان وغيرها من الجماعات الإسلامية، هي أن يسعوا في إصلاح جماعتهم، فإن لم يستجب لهم، فليكن الولاء لله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - مقدماً على غيره من الولاءات، وأن يسعوا إلى تحسين صورة جماعتهم بعد المواقف السيئة، التي تورطت فيها من أمثال مبايعة **حسني مبارك** والسكوت على دخول إخوةٍ لهم لكابل وبغداد على ظهور الدبابات الصليبية. كما أنصحهم ألا يتبعوا شبهات فقهاء المارينز، الذين شهدوا **لحسني مبارك** بالإيمان والحرص على تبليغ الدعوة الإسلامية، وأباحوا للمسلم أن يقتل أخاه المسلم تحت العلم الأمريكي، وأجازوا التطبيع مع إسرائيل إذا انسحبت عن جزءٍ من فلسطين. هؤلاء الفقهاء الذين ما زالوا مصرين على سقطاتهم، ويستكبرون أن يتراجعوا عنها، أو أن يعتذروا

لأمتهم عما آذوها بها من فتاوى، هؤلاء لا يستحقون أن يكونوا أئمة متبوعين، بل يحتاجون إلى موعظة تذكرهم بالله".

كما أن **الظواهري** يحاول أن يلطف مواقف أعضاء جماعته تجاه أعضاء جماعة الإخوان المسلمين ربما كي يمهد الطريق إلى جذب شباب الإخوان إلى جماعته فيقول في معرض الإجابة على سؤال آخر:

"ثالثاً: بالنسبة إلى التعامل مع المخالفين خاصة أتباع تيار الإخوان المسلمين، فأنصح نفسي والمسلمين بأمرين: الأول أن يبقى الخلاف موضوعياً قدر الإمكان، بعيداً عما لا يليق، والثاني التفريق بين القيادة والقاعدة، وقد طبقت هذا الأمر على نفسي، فأصدرت الطبعة الثانية من كتاب الحصاد المر، بعد أن زلت منه كثيراً من العبارات التي رأيت أن المصلحة في إزالتها".

أيمن الظواهري عينه على مصر

في إجاباته على الجزء الأول من أسئلة الجمهور على شبكة الإنترنت اختار دكتور **أيمن الظواهري** أن يجعل أكثر من ثلث الإجابات عن مصر، ثم احتوى خطابه الصوتي الذي صدر بمناسبة مرور خمسة أعوام على الغزو الأمريكي للعراق على نحو ١٧٠٠ كلمة تخص مصر وأوضاعها (وربطها بسائر أوضاع العالم الإسلامي والمخطط الأمريكي) منها ١١٠٠ كلمة بينما الباقي كان عن العراق، فلماذا الاهتمام الزائد بمصر في خطاب المنظر الأول للقاعدة؟؟

لعلنا نجد مفتاح ذلك عندما نتأمل معاً كلام **الظواهري** مرة أخرى في إجاباته على أسئلة الجمهور فيما أطلق عليه الإعلاميون المؤتمر الصحافي **للظواهري** حيث قال إجابة على أحد الأسئلة:

"أولاً: التغيير في مصر يمكن أن ينجح إذا راعى العاملون له سنن التاريخ وطبائع الشعوب، وحرصوا على توفير مقوماته، وانتهاز فرصه، ومن أهم مقوماته وجود القاعدة الآمنة وحشد التأييد الشعبي".

وهكذا اعتبر دكتور **أيمن الظواهري** أن حشد التأييد الجماهيري من أهم مقومات نجاح التغيير من وجهة نظره وحسب تعبيره الحرفي.

ثم يستطرد شارحاً تصوره عن كيفية حشد الجماهير فيقول:

"وأهم قضية يحتشد حولها العرب والمسلمون هي قتال اليهود والصليبيين الغزاة لديار المسلمين، وقد فصلت هذا الأمر في كتابي (فرسان تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم)، وفي مقدمة رسالة (التبرئة) والفصل الثامن عشر من الباب الثاني منها، وبينت فيها أن الحركة الجهادية المصرية لم يهزِمْها النظام المصري، وإنما أضرت بها المطاردة الأميركية العالمية، ومن هنا نشأ الاجتهاد الحالي بتوجيه الضربات نحو رأس الكفر أمريكا وحليفاتها".

ثم يحاول أن يحفز الناس ويبث فيهم الأمل بحتمية حدوث التغيير مهما طال الوقت فيقول "أما بوليسية الدولة وشدة القمع فقد تؤخر التغيير، ولكنها لا تستطيع أن تمنعه، فإن التغيير قادمٌ - بإذن الله - لا محالة، فهذا النظام الفاسد العفن لا يمكن أن يستمر، والامبراطورية الشيوعية في روسيا ومستعمراتها وحليفاتها سقطت رغم بوليسيتها وقمعها، اللذين لم يعرفْ التاريخ لهما مثيلاً، ولكن سنن التاريخ حكمت عليها بالموت. المهم هو الإعداد للتغيير والصبر عليه والاستعداد لتقبل التضحيات ثم انتهاز الفرص".

وفي ثنايا إجابته على سؤال عن قيام الشرطة المصرية بتعذيب المواطنين وما أشيع عن أن **الظواهري** حض الشباب المسلم على مهاجمة أفراد الشرطة المباشرين للتعذيب، يقول **الظواهري**:

"أنا لم أطالبْ الشباب في مصر بتشكيل مجموعاتٍ في كل حي سكنيٍ تقوم بالقصاص من أي ضابط شرطةٍ متسلطٍ، ولكني طالبت جميع الناس - وليس الشباب فقط - في كل حيٍ وشارعٍ وقريةٍ ومسجدٍ وجامعةٍ ومعهدٍ ونقابةٍ واتحادٍ ومصنعٍ بالتصدي لظلم وفساد الشرطة بكل الوسائل قياماً بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".

فهكذا تظهر متابعة **الظواهري** اللصيقة للتفاعلات التي يموج بها الشارع السياسي المصري ومحاولته أن يتواصل مع الجماهير المصرية بكل فئاتها ويوجهها إلى تحقيق أهداف تنظيمه.

وكذلك يظهر اهتمام **الظواهري** بدور الجماهير المصرية في التغيير السياسي في إجابته.

ثم ننتقل إلى خطبته الصوتية الأخيرة بمناسبة مرور خمس سنوات على الغزو الأمريكي للعراق والتي خصص معظمها للكلام عن مصر وليس العراق فيقول:

"أما الأمر الثاني الذي أود الحديث عنه فهو؛ عن النهب الاقتصادي الذي تتعرض له أمتنا في مصر وغيرها من بلدان المسلمين. فقد وصل الفساد والسرقة إلى تجويع الناس وحرمانهم من الأقوات الأساسية".

ثم يضيف: "وتجويع الناس في مصر وحرمانهم من رغيف العيش ومن الماء في دلتا النيل هو جزءٌ من المخطط الأمريكي الصهيوني، الذي يسعى إلى إذلال أمتنا والمزيد من تقسيمها.

والحرمان من الخبز وسرقة ثروات الأمة وتجويع الناس وتسميم الهواء والتربة ونشر الفشل الكلوي ليست إلا أعراضاً لذلك السرطان، الذي يستشري في أنسجة الأمة.

والذين سرقوا الأقوات، ولم يتركوا حتى رغيف الخبز، وصلوا إلى هذا الحد لأن الأمة لم تتصد لهم التصدي الذي يردعهم، ولو استمرت في تركهم فغداً يبيعون أبناءها".

ويستمر **الظواهري** قائلاً "سلموا مصر لإسرائيل، فلم تردعهم الأمة، وأدخلوا القوات الصليبية الأمريكية مصر، فلم تتصد لهم الأمة، وأعانوا على قتل المسلمين في العراق وأفغانستان، فلم توقفهم الأمة عند حدهم، وتواطئوا على حصار المجاهدين في غزة، فلم يقم في وجههم أحدٌ، وانتهكوا الحرمات في السجون والمعتقلات وأقسام الشرطة، فلم يقتص منهم أحدٌ، وكلما سكتنا كلما نهشوا في لحومنا، وولغوا في دمائنا".

ثم يورد **الظواهري** حديثاً ليدلل به على كلامه فيقول "عن أبي بكرٍ الصدّيق رضي الله عنه قال: أيّها النّاس إنّكم تقرءون هذه الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ). وإنّي سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "إنّ النّاس إذا رأوا الظّالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقابه".

ثم يكرر الضرب على وتر رغيف الخبز ليوظفه سياسياً فيقول "وهؤلاء الذين سرقوا الرغيف والأقوات هم الذين سدوا كل وسائل التغيير السلمي. كما حدث في انتخابات مجلس الشورى ثم المحليات في مصر"

وهكذا يظهر أن **أيمن الظواهري** يتابع جيداً الأحداث السياسة والاقتصادية وتفاعلاتها الاجتماعية التي تحدث في مصر ويستغل هذه المتابعة في خطابه ليوظفها في توجيه الشعب المصري (حسب ظنه وتفكيره) إلى الوجهة التي يريدها عبر محاولته استقطاب الجماهير نحو الأرضية الفكرية التي يقف عليها **أيمن الظواهري** نفسه، وفي نفس السياق نجده يقول في نفس الخطبة واصفاً انتخابات المجالس المحلية في مصر وانتخابات الأردن واليمن وما يحدث في تركيا ضد حزب العدالة فيقول:

"هو النهج الأمريكي الجديد بعد أن استنفذ تيار التغيير عبر الانتخابات دوره، واستغله الأمريكان لصرف الأمة عن الجهاد والمقاومة الجادة ضد أعدائها الداخليين والخارجيين..... انتقلوا إلى المنهج الحالي، منهج الصحوات في العراق والتعديلات الدستورية والسيطرة التامة على الانتخابات ووثيقة الترشيد في مصر، منهج فرض الواقع المذل المهين الفاسد على الأمة بالقهر والتزوير والبطش والكذب.

ثم إمعاناً في التضليل يصدر البيت الأبيض -راعي الحريات في الدنيا- تصريحاً بعد انتخابات المحليات المصرية، يعرب فيه عن قلقه لتعرض ناشطي المعارضة ومرشحيها للمضايقات من قبل الحكومة! الحكومة التي يدعمها الأمريكان، ويؤيدونها ويمدونها بالأموال والإعانات وأدوات التعذيب.

هذا الدجل الأمريكي لم يعد ينطلي على أحدٍ".

والظواهري بكلامه هذا يحاول أن يضرب عصفورين بحجر واحد من وجهة نظره، فهو أولاً يلغي أي أمل في تغيير يحدث عبر الانتخابات في مصر، وثانياً يبرز الدور الأمريكي في مساندة الوضع السياسي القائم في مصر.

ثم ينتقل **أيمن الظواهري** بعد ذلك إلى رسم الطريق الذي يريد من الجماهير المصرية أن تسير فيه لتحقيق أهداف الإصلاح حسب وجهة نظره فيقول:

"والمطلوب من المسلم أن يعمل بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان".

المطلوب من الجميع أن يتحركوا بكل ما يستطيعون بالقتال والبيان والتظاهر والإضراب والاعتصام، وألا نترك سبيلاً إلى تغيير هذا الواقع الفاسد إلا ونسلكه، فلن ننتزع حقوقنا إلا بأيدينا، وليس بالتوسل ولا التسول ولا بالانتخابات المزورة".

ثم يتوقع **الظواهري** أن تسعى الحكومة "إلى قمع التحركات الشعبية بكل ما يستطيعون، كما حدث في المحلة الكبرى، ولكن مع استمرار الصمود والتضحيات سينهزمون بإذن الله، ولابد من الصبر والمثابرة، فإن الحقوق تنتزع ولا توهب" حسب تعبير **الظواهري**.

ثم يحرض الشعب على الاحتجاجات فيقول "على العمال والموظفين والطلاب أن ينقلوا غضبهم إلى الشارع، وعليهم أن يجعلوا المساجد والمصانع والجامعات والمعاهد والثانويات بؤراً لدعم الجهاد والمقاومة.

المطلوب من الجميع أن يتحركوا، لأن المعركة ليست معركة جماعةٍ أو تنظيمٍ، ولكنها معركة الأمة كلها، يجب أن تتكاتف الأمة المسلمة بمجاهديها ورجالها ونسائها وأطفالها وشيوخها وعلمائها ومفكريها وقياداتها وجماهيرها".

وهكذا تتضح الأفكار التي روج لها الظواهري في كلامه وهي أفكار جديدة على **أيمن الظواهري** وقادة الجهاد المصري والقاعدة على حد سواء.

فهي جديدة على **الظواهري** والجهاد المصري لأنهم لم يكونوا يؤمنون في الماضي بالتحركات الجماهيرية ولا بالنضال بالأساليب السلمية من أجل تحقيق أهدافهم بل كانوا لا يؤمنون إلا بشيء واحد هو السلاح والانقلاب العسكري كوسيلة وحيدة للتغيير، أما مضمون الكلام الأخير هذا فقد خطا خطوة واسعة نحو المزاوجة بين العمل الجماهيري واحتجاجاته السلمية، والعمل المسلح.

وهي جديدة أيضاً على فكر القاعدة لأن فيها اهتماماً بمصر غير مسبوق، ولعل البعض يرى أن ذلك الاتجاه الجديد طبيعي ما دام **أيمن الظواهري** المصري هو منظر القاعدة الأول ونائب أميرها العام، ولكن هذا الرأي يعبر عن سطحية وتبسيط شديدين، لأن **أسامة بن لادن** كان رأيه في الماضي أنه لا جدوى من العمل الجهادي في مصر وفي كل الدول الإسلامية ذات الطبيعة الاجتماعية الحديثة حيث لاتوجد سوى روابط الأسرة النووية (الأب والأم والأبناء الصغار) في صورتها الحديثة لأن هذه المجتمعات يسهل قمعها والسيطرة عليها من قبل الحكومات البوليسية من وجهة نظره وكان لا يتعاطف مع العمل الجهادي في الدول التي تتسم حكومتها المركزية بالقوة كمصر، لقد كان **أسامة بن لادن** يؤمن إيماناً راسخاً بأن الخلافة الإسلامية لن تعود إلا عبر القبائل وبالتالي ركز مشروعاته من أجل إقامة الدولة الإسلامية المأمولة في أفكاره على دول ما زالت النظم القبلية قائمة فيها كاليمن والسعودية والصومال وأفغانستان وباكستان ومنطقة القوقاز.

إذن فالاهتمام بالجماهير وبالاحتجاجات الجماهيرية السلمية جديدان على توجهات وفكر كل من **أيمن الظواهري وأسامة بن لادن**، ولعل متابعة **أيمن الظواهري** الدقيقة للأحداث في مصر أغرته بأن يطمح في، أن يحل أنصاره محل الإخوان المسلمين في التحركات الجماهيرية بعدما رفض الإخوان الاشتراك في إضراب ٦ أبريل ٢٠٠٨م و من بعده إضراب ٤ مايو ٢٠٠٨م، ولكن هل يفلح أنصار الظواهري في مصر على قلة عددهم في فعل هذا؟؟ أو حتى هل يقتنعوا بالقيام بدور احتجاجي سلمي وهم الذين تربوا على أنه لا حل سوى بالسلاح؟؟

ومما يؤكد التوجه الجديد لدى القاعدة والظواهري إزاء مصر ما ورد في الجزء الثاني من إجاباته على أسئلة الجمهور على الإنترنت وهكذا بدا أن منظر القاعدة دكتور **أيمن الظواهري** يسعى إلى المنافسة الحزبية في مصر على العمل السياسي السلمي مع الإخوان المسلمين وغيرهم من القوى السياسية دون أن يتخلى عن فكرة العمل المسلح.

وهنا تكمن نقطة ضعف خطيرة في التوجه الجديد عند أيمن الظواهري ألا وهي مزاوجته بين النضال السلمي والعمل المسلح، حيث أن العمل المسلح من شأنه أن يجهض أية احتجاجات سلمية لأنه سيعطي الحكومة الديكتاتورية ذريعة للبطش بالمناضلين وقمعهم بقسوة بحجة أنهم ليسوا محتجين بل هم إرهابيين، فيا ليت دكتور **أيمن الظواهري** ينتبه إلى هذا الخلل في استراتيجيته الجديدة ويخطو خطوة أخرى من التطور في فكره ولا يورط فئة من جماهير الأمة فيما يعطي ذريعة للديكتاتورية البوليسية لقمعهم والتنكيل بهم.

بيان بن لادن

أطلقت مؤسسة سحاب (الذراع الإعلامي لتنظيم القاعدة) تسجيلاً صوتياً **لأسامة بن لادن** استغرق خمس دقائق وصحبته صورة حديثة لبن لادن يمسك ببندقية هجومية حديثة، وقد هاجم **بن لادن** في رسالته الصوتية الاتحاد الأوروبي بسبب الرسوم المسيئة للرسول الكريم، وخاطب بن لادن من وصفهم بالعقلاء في الاتحاد الأوروبي، قائلاً "إن نشر تلك الرسوم هدفه اختبار المسلمين في دينهم، والجواب هو ما ترون لا ما تسمعون فلتثكلنا أمهاتنا إن لم ننصر رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وانتقد **بن لادن** التذرع بحرية التعبير لنشر الرسوم قائلاً: "لا داعي إلى التحجج بقدسية حرية التعبير عندكم وقداسة قوانينكم وأنكم لن تغيروها، وإلا فعلى ما تم إعفاء الجنود الأمريكيين من الخضوع إلى قوانينكم فوق أرضكم؟ وعلى ما تقمعون حرية من يشكك في أرقام حادثة تاريخية؟"، مشيراً بذلك إلى المحرقة النازية لليهود.

وانتقل **بن لادن** بعد ذلك إلى الهجوم على العاهل السعودي الملك **عبد الله ابن عبد العزيز** قائلاً: "ثم إنكم تعلمون أن هناك رجلاً واحداً يستطيع أن يوقف هذه الرسوم لو كان الأمر يعنيه وهو الملك غير المتوج في الرياض، والذي كان أمر بإيقاف هيئاتكم القانونية عن العمل بشأن التحقيق باختلاس المليارات من صفقة اليمامة."

وأضاف زعيم القاعدة في تسجيله الصوتي "إن العداء بين البشر قديم ولكن عقلاء الأمم حرصوا في جميع العصور على الالتزام بآداب الخلاف وأخلاق القتال، إلا أنكم في صراعكم معنا تخليتم عن كثير من أخلاق القتال عملياً وإن كنتم ترفعون شعاراتها نظرياً".

وتابع قائلاً إن أوروبا تستهدف عن عمد النساء والأطفال المسلمين "مجاراة لحليفها الذي أوشك هو وسياساته العدوانية على الرحيل من البيت الأبيض"، في إشارة إلى الرئيس الأميركي **جورج بوش**.

كما شن **بن لادن** هجوماً على **بابا الفاتيكان** بسبب ما اعتبره **بن لادن** دوراً له رئيسي في حملة الرسوم المسيئة، ولذلك هاجم الذين يسعون إلى الحوار مع الفاتيكان واعتبر أنه لا جدوى من أي حوار معه.

وكالمعتاد اختلفت وتعددت آراء المراقبين بشأن الأهداف والمعاني التي تتضمنها هذه الرسالة المسجلة، فالبعض اعتبروها تشير إلى الإعداد لهجوم وشيك من القاعدة على أى من أقطار الاتحاد الأوروبي خاصة الدنمارك صاحبة الرسوم المسيئة، والبعض رأى أنها تتضمن أيضاً رفضاً للحوار مع **الفاتيكان** الذي يقوم به عدد من القيادات الإسلامية، ودعوة إلى هذه القيادات بمواجهة ما يعتبرهم أعداء للإسلام بدلاً من محاورتهم.

والبعض قال إن الهجوم المرتقب على أوروبا ليس وشيكاً فالرسالة في رأي هذا الفريق من المراقبين لا تشير إلى أي إطار زمني رغم أن التهديد فيها واضح، واعتبروا أن الرسالة مجرد تحفيز لأنصاره ليضربوا في أوروبا خاصة في الدانمارك.

ومما لا شك فيه أن هذه التحليلات تعبر في معظمها عن سوء الفهم السائد لدى دوائر تحليل الحركات الإسلامية لا سيما المراكز الغربية منها، ومما لا شك فيه أيضاً أن **بن لادن** لا يأمل في أية استجابة من القيادات الإسلامية التي يهاجمها بسبب سكوتها على الرسومات المسيئة للرسول وبسبب حوارها مع الفاتيكان، لكنه يريد بذلك أن يحرج هذه القيادات أمام الجماهير كي تمتنع عن تأييد هؤلاء القادة وتتوجه إلى تأييد القاعدة.

كما أن رسائله الموجهة إلى أوروبا ليس الغرض منها إقناع الإدارات الأوروبية بتغيير سياساتها بقدر ما هو الغرض منها مخاطبة اليسار الأوروبي والقوى المناهضة للعولمة وللحروب الأمريكية على العراق وأفغانستان ونحوها من القوى المحبة للسلام وحوار الحضارات، وهو ما يعد تطوراً هاماً في خطاب القاعدة ورغم أنه بدأ من فترة إلا أن مساحة الاهتمام بمخاطبة هذه القوى زادت في هذه الرسالة.

أما عن توقيت أية عملية مرتقبة للقاعدة ضد الدانمارك أو مصالحها في أي مكان في العالم فأنا أرى أنه وشيك جداً ما لم يحدث ما يعطلها في لحظتها

الأخيرة[1]، بل ربما تقع هذه العملية يوم ميلاد النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أو قريباً منه، كتعبير رمزي من تنظيم القاعدة عن الوفاء للنبي محمد بلغة تنظيم القاعدة، وهذا ليس رجماً بالغيب إنما فهماً دقيقاً من قول **بن لادن** في رسالته "والجواب ما ترون لا ما تسمعون" وهي كلمة قالها الخليفة العباسي المعتصم بن **هارون الرشيد** عندما حرك جيوشه ضد الامبراطورية الرومانية نصرة لأسيرة مسلمة لديهم استغاثت بالمعتصم وعندما كتب المعتصم هذه المقولة للروم حرك قواته فوراً وحرر الأسيرة واحتل بلاد شاسعة تابعة للروم، وهذه الواقعة مشهورة ومحبوبة لدى الحركات الإسلامية بكل اتجاهاتها الفكرية وتعبر لديهم عن اقتران الأقوال بالأفعال لدى القادة السياسيين في العصر الذهبي لتاريخ الإسلام حسب تصورهم.

لكن ليس معنى هذا الكلام أن قيام أنصار القاعدة بعملية مسلحة ضد أوروبا أو الدانمرك أمر مؤكد أو يقيني، لأننا إنما نتكلم عن توقعاتنا لخطط القاعدة من خلال بيان بن لادن ولكن التدابير الأمنية الأوروبية قد تحبط هذه المخططات.

---

[1] بعد إعداد هذا الكتاب للطبع حاول شاب صومالي يعيش بالدنمارك اغتيال أحد رسامي الكاريكاتير المسيء للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه فشل وأصيب برصاص الشرطة والقى القبض عليه وقيل إنه على صلة بشبكة القاعدة.

غادان في حرب الأفكار بين القاعدة والأمريكان

قد يتعجب البعض من إصدار القاعدة لشريط فيديو يتضمن بياناً يلقيه **آدم يحيى غادان** عضو القاعدة الأمريكى بمناسبة استعداد منطقة الشرق الأوسط لاستقبال زيارة الرئيس الأمريكى، بينما يرى بعض من يعتبرون أنفسهم خبراء في الإرهاب أو في القاعدة أن البيان يعبر عن إفلاس القاعدة كما يعبر عن حاجتها الملحة إلى عمليات جديدة تخفى بها ضعفها وعدم قدرتها على شن عمليات كبيرة منذ فترة طويلة خارج العراق وأفغانستان، لكن هذه الآراء تنم عن فهم خاطئ لطبيعة القاعدة التنظيمية والاستراتيجية، فالأمر ليس كما يظن هؤلاء وهؤلاء لأن القاعدة تعتمد فكرة الانتشار الفكرى بدون انتشار تنظيمى لأن انتشار الفكر أسرع وأسهل من انتشار التنظيم وأكثر أمناً وأكثر فاعلية، ولذلك نجد اهتمام القاعدة بالإعلام وتحسنها المطرد في استخدام وسائل الإعلام لا سيما الحديث منها كالإنترنت والتليفونات المحمولة لأنها أكثر مرونة وأمناً وانتشاراً وكان آخرها إعلان شركة سحاب الذراع الإعلامى للقاعدة عن إمكانية تحميل خطب أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى على التليفونات المحمولة.

وفي هذا السياق يأتى شريط الفيديو الذى بثته شركة سحاب لعضو القاعدة الأمريكى المسلم **آدم يحيى غادان**.

والذى يتفحص تفاصيل البيان الذى ألقاه غادان في الشريط يجد أنه احتوى على رموز عديدة تم إعدادها بعناية من قبل إعلاميي القاعدة الذين أعدوا هذا البيان، فمن تمزيق **غادان** لجواز سفره الأمريكى ليوصل رسالة انتمائه إلى أمة الإسلام التى تدعو إليها القاعدة و عدم مبالاته بوطنه.... الولايات المتحدة... في سبيل عقيدته، إلى تحذيره الولايات المتحدة من عواقب الهزائم التى تحيق بها على أيدى المسلمين، إلى دعوته الشعب الأمريكى لاعتناق الإسلام والالتحاق بالمجاهدين وهو هنا يحدد خطوات عملية بمحاربة الإدارة الأمريكية حتى تنتهى عن سجن المسلمين وظلم

الشعوب الإسلامية ودعم إسرائيل واحتلال دول إسلامية، ثم لا ينسى أن يعزز البعد الأممى للقاعدة عبر التذكير بالمسلم الأمريكى عضو القاعدة "ووكر ليند" المسجون في أمريكا وأنه يعامل معاملة سيئة في السجون الأمريكية.

وتلجأ القاعدة إلى الترويج لصفتها الأممية عبر صناعة رموز من أعضائها ينتمون إلى بلدان مختلفة كما رأينا في أبى الغيث الكويتى وأبى مصعب الزرقاوى الأردنى وعزام الأمريكى(وهو الاسم الحركى لغادان نفسه).

وتفيد مصادر مطلعة أن القاعدة تعتقد أن ظهور رموز للقاعدة من بلدان مختلفة يعزز انضمام شباب من هذه البلدان للقاعدة، ومما يؤكد هذه المقولة أن القاعدة حرصت على إظهار رموز من دول تقل فيها التنظيمات الموالية للقاعدة مثل الكويت والولايات المتحدة.

وغادان نفسه هو الذى سبق وأصدرت له القاعدة شريط فيديو في يونيو٢٠٠٧م طالب فيه بوش بعدد من المطالب السياسية البارزة كان على رأسها الامتناع عن احتلال بلاد المسلمين والامتناع عن مساندة إسرائيل وكل أعداء الإسلام في إشارة واضحة إلى حكام العالم الإسلامى الذين تكفرهم القاعدة، وقد اعتبر هذا الشرط وقتها تطوراً في الأفق السياسي للقاعدة من طرحها لأهداف سياسية محددة يمكن التفاوض عليها بعكس طرحها السابق الذى تلخص في النصر أو الشهادة.

ولكن الولايات المتحدة تتابع كل هذه الرسائل الإعلامية وتحاول التصدى لكل جزئية فيها حتى أن المتحدث باسم البيت الأبيض الأمريكى غوردون جوندرو تعمد الرد على كل الرسائل الرمزية الهامة التى تضمنها فيديو غادان فذكر أن غادان خائن مطلوب للعدالة، وعن قيام عزام الأميركي بتمزيق جواز سفره في الشريط الذي ظهر فيه على الإنترنت، قال جوندرو إن هذا الشخص متهم من قبل السلطات الأميركية بالخيانة وبالتالي لا يحتاج إلى جواز سفره.

ولكن هل تفلح الردود الحكومية الأمريكية في إبطال مفعول رسائل القاعدة؟؟؟

القاعدة في العراق تعلن تحالفها مع عدد من شيوخ العشائر السنية

في تطور جديد أعلن **أبو عمر البغدادي** أمير ما يسمى بدولة العراق الإسلامية أن تحالفاً جديداً تم بينه وبين بعض شيوخ العشائر العراقية السنية لممارسة الحكم في مناطق هذه العشائر والتعاون معاً في قتال قوات الاحتلال والمتعاونين معها بما في ذلك الأحزاب الشيعية والسنية المشتركة في الحكومة والبرلمان وكذلك قوات الشرطة والجيش العراقي وقوات الصحوات العشائرية، جاء ذلك في خطاب صوتي بثته مواقع الإنترنت التابعة للقاعدة.

وذكر **أبو عمر** أن عدداً من زعماء العشائر ذهبوا إليه وشكوا إليه حال العشائر السنية وكيف أن الاحتلال الأمريكي قد خدع بعضهم فشكلوا ما سمي بقوات صحوات العشائر والتي تورطت في قتل إخوانهم من عشائرهم إرضاء للاحتلال لكن الاحتلال بدأ يتخلى عنهم مؤخراً أو يعاملهم بإذلال.

وقد أعلن أبو عمر البغدادي في تسجيله الصوتي بنود التحالف مع عدد من مشايخ العشائر على النحو التالي حسب نص كلامه:

أولاً : تشكيل لجنة من علماء الدين المخلصين والذين لم يقوموا قط في صف المحتل أو دولة إيران والمشهورين بسِعة العلم وحُسن السيرة ولا تربطهم علاقة مع أية حكومة ردة في دول الجوار، وذلك للفصل في كل خلاف يدور في المنطقة السنية سواءً بين العشائر أو بين المجاهدين وغيرهم.

ثانياً : يتولي علماء الدين وشيوخ العشائر الشرفاء حث ودعوة أبناء العشائر السنية على ترك الجيش والشرطة في دولة الرافضة وكذلك

الصحوات، على أن يوجه سلاح أهل السنة جميعاً إلى المحتلين الصليبيين ومن ساندهم.

ثالثاً : تتعهد الدولة الإسلامية بإعلان عفو عن كل من ترك قتال المجاهدين قبل القدرة عليه من المنتسبين إلى الجيش والشرطة والصحوات، كما تتعهد كل عشيرة برفض تصرفات أبنائها وأن تأخذ على يد كل من يحاول أن يزج بأهل السنة إلى الهاوية ويترك المحتل الصليبي يصول في أرضنا ويلعب في أعراضنا.

رابعاً : تُشكل لجان من علماء الدين وشيوخ العشائر والمجاهدين في كل منطقة لإدارة شؤون مناطقهم وفق الشريعة الإسلامية.

خامساً : تُشكل محكمة قضائية عُليا تتولى الفصل في أية خصومات مضت من تاريخ هذا الإعلان وفق الشريعة الإسلامية.

سادساً : تَتعهد الدولة الإسلامية وغيرها من الجماعات الجهادية بتسليم أي شخص ثبت عليه ثبوتاً شرعياً أنه ارتكب دماً حراماً إلى اللجنة المشكلة.

سابعاً : تشكل لجنة إدارية عليا لمتابعة المشروع السابق ذكره بإمرة أمير الدولة الإسلامية وعضوية أمير كل جماعة لم تدخل في العملية السياسية الكفرية أو صحوات الردة وذلك بعد موافقتهم على المشروع السابق ذكره.

وأخيراً : هذا الاتفاق سيبقى حبراً على ورق ما لم يذهب علماء الدين وشيوخ العشائر إلى تفعيله ووضعه حَيز التنفيذ، وعلى الأقل ضمن أية منطقة يتيسر فيها الأخذ بهذا الاتفاق دون اجتزاء لبعض بنوده أو فقراته".

كما ندد أبو عمر البغدادي في حديثه الصوتي بالحزب الإسلامي وجبهة الوفاق العراقية السنية وقوات البشمرجة الكردية والتي سماها بالقوات اليهودية، كما ندد بالأحزاب والمنظمات الشيعية المشتركة في العملية السياسية معتبراً إياهم عملاء لإيران وأعواناً للمحتل، كما وصف القتال الشيعي الشيعي في البصرة بأنه قتال لا يمت إلى الإسلام ولا التشيع بصلة وإنما هو صراع على كعكة النفط الذي يتم تهريبه بانتظام بمقدار ١٤ مليار دولار سنويا.

وأكد أبو عمر البغدادي أن سجون القاعدة في العراق لا يوجد بها أى عراقي وأن القاعدة لم تنتهك حرمة النساء بينما تعج سجون الاحتلال والحكومة العراقية المتعاونة مع المحتل بالرجال والنساء والأطفال، كما نقل عن تصريحات بعض قادة الحكومة أن سجون الحكومة مليئة بالقصر الذين يتم الاعتداء عليهم جنسياً بانتظام.

وقال إن القاعدة لم تقتل بريئاً وإنما تقتل المحتل وأعوانه فقط، وإنها شنت هجمات كثيرة على السجون في محاولة لتحرير الأسرى خاصة النساء والأطفال.

وتنظيم دولة العراق الإسلامية الذي يتزعمه أبو العمر البغدادي هو بمثابة الفرع العراقي لتنظيم القاعدة، وكان أيمن الظواهري قد أثنى على من سماه بأمير المؤمنين أبى عمر البغدادي أمير دولة العراق الإسلامية وطالب جميع المنظمات الإسلامية في العراق بطاعته والتوحد تحت قيادته، وذلك في إجابات الظواهري على أسئلة الجمهور على الإنترنت.

مصادر القاعدة

ترد على "سي إن إن" ..تحالف طالبان والقاعدة

ما زال مستمراً وطالبان هم أمراؤنا ونحن جنودهم

في نفي للتقرير الذي نشرته شبكة "سي إن إن" حول انفصال التحالف بين القاعدة وطالبان، وقيام وفد من طالبان بالتفاوض مع وفد من حكومة أفغانستان في مكة تحت رعاية العاهل السعودي **عبد الله بن عبد العزيز**، قالت مصادر مسؤولة في القاعدة إن هذا تقرير صحافي لا يهدف إلى إبلاغ الناس بمعلومة بل يهدف إلى توجيه الناس إلى فعل محدد هو عزل القاعدة.

وأضافت مصادر القاعدة إن "هذه الأخبار مجهولة المصدر والمكان الذي

تم تحرير الخبر فيه هو (لندن)

ليس السعودية مكة، أو الرياض، أو وكالة أنباء عالمية.

تحرير الخبر في لندن

فزمام الأمور آلت إلى بريطانيا،

فأمريكا لا تجيد القتل الناعم،

هي تجيد القتل الخشن بعكس بريطانيا التي ستفشل كما فشلت أمريكا"

وفي سياق يعكس قلق القاعدة من هذه الأخبار قالت مصادر القاعدة "إن الذين تناولوا العشاء في قصر الصفاء

جوار الكعبة بمكة المكرمة، يعيشون في الخارج،

ورجال الميدان هم من يقررون.

جاء قبلهم حارث الضاري،

والشمري إلى نفس القصر،

وتناولوا وجبة مشابهة،

ولم تسقط راية الجهاد في العراق

وذهب خالد مشعل وإسماعيل هنية إلى نفس القصر

وتناولوا مع نفس الرجل وجبة مشابهة

وكان نتيجتها ظهور قوي للسلفية الجهادية في فلسطين؛ تحديدًا غزة وبداية العزل التدريجي لقادة حماس ومنهجها"

وظهر قلق القاعدة من محاولة الإيقاع بينها وبين جماهير طالبان فيما قالته مصادرها من أن "هناك فروق حقيقية بين طالبان والقاعدة، ولكنها ليست كالفروق بين السلفية الجهادية والإخوان.

القاعدة ليست جهة تسعى إلى احتلال البلدان،

ولن تكون يوماً ما بديلاً عن السكان المحليين،

هي تبث الأفكار وتطعم الأجيال وتربيهم على منهج له محددات،

والقاعدة هي جيش في معسكر طالبان،

وطالبان إمارة في معسكرات القاعدة"

وختمت المصادر كلامها الذي روجته مواقع على الإنترنت تتحدث باسم القاعدة

بقولها " جميع بيانات طالبان تكذب المعلومتين وهما التفاوض، والابتعاد عن القاعدة.

وبيانات طالبان مصادرها معلومة، ونحن أمام معلومة مصادرها مجهولة، ونشرتها أطراف عدوة لطالبان والقاعدة."

ومن الملاحظ أن مجلة "الإمارة" التي تصدرها طالبان بشكل منتظم ما زالت حتى عددها الأخير تنشر أخبار عملياتها العسكرية الساخنة اليومية ضد قوات التحالف التي تسميهم بالأجانب وكذلك ضد قوات الحكومة الذين تسميهم بالعملاء.

ما جرى في السعودية ونقلته سي إن إن يعكس استعجال الغرب والناتو تحديداً لإجراء حوار مع طالبان لوقف نزيف الناتو المستمر تحت نيران طالبان، لا سيما وأن خسائر الناتو في أفغانستان في الآونة الأخيرة قد زادت على خسائره في العراق رغم أن حجم قواته في أفغانستان يقل عن نصف حجم قواته في العراق.

ومثل هذا الحوار لم تتهيأ ظروفه بعد، لأن لا الغرب عنده استعداد للانسحاب من أفغانستان كما فعل في فيتنام، ولا طالبان بلغت من القوة ما يكفي لإرغام الغرب على الجلوس على مائدة المفاوضات وتقديم تنازلات.

وفي ظل هذه الأجواء فإن الغرب يسعى إلى إحداث انشقاق بين طالبان والتيار القومي البشتوني الذي يقاتل بجانبها لأسباب قومية وليست دينية، ولكن هذه كلها مجرد أماني وكل تحرك لتحقيقها يولد ميتاً لأن هؤلاء القوميين البشتون ليس لهم قوة أو تأثير حقيقي على الأرض.

أما عن تحالف القاعدة وطالبان فهو أقوى بكثير من أن تهزه مثل هذه المحاولات، ومن الملاحظ أنه رغم عدم انخراط طالبان في الاستراتيجية الكونية للقاعدة فلا شك أن لطالبان تعاطفاً قوياً مع هذه الاستراتيجية وإلا لما استضافوا القاعدة قبل الغزو الغربي ولما أصروا على التحالف معها حتى ولو كان الثمن هو سقوط دولة طالبان واحتلالها.

والغرب يهمه الآن أن تنحسر فكرة الجهاد الإسلامي العابر للقومية، حتى لو كان الثمن هو غض الطرف عن القتال على أسس قومية وقطرية ضد الغرب نفسه.

التيارات الإسلامية المسلحة عام ٢٠٠٨م

يمكن حصر أنشطة الحركة الإسلامية المسلحة عام ٢٠٠٨م على النحو التالي:

أولاً: التفاعلات الفكرية:

لم يكن الحدث الفكري الهام جداً الذي بدأ مع نهايات عام ٢٠٠٧م وتسارعت تفاعلاته وردود أفعاله خلال عام ٢٠٠٨م هاماً جداً بالنسبة إلى عام ٢٠٠٨م فقط ولكنه سيظل الحدث الفكري الأبرز والأكثر والأعمق تأثيراً لعشر سنوات قادمة في أوساط التيار الجهادي على مستوى العالم.

هذا الحدث هو مراجعات تنظيم الجهاد المصري والتي جرت عبر أحد أبرز منظري التيار الجهادي على مستوى العالم وهو دكتور **سيد إمام الشريف** (الشهير بدكتور فضل) عبر كتابه المسمى "وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم" وما تلى ذلك من ردود أفعال وتعليقات مختلفة والتي منها كتاب أصدره دكتور **أيمن الظواهري** باسم "تبرئة أمة القلم والسيف من تهمة الخور والضعف".

بدأت التفاعلات الفكرية أو لنقل الصراع الفكري عندما بدأت صحيفة "الجريدة" بنشر كتاب "وثيقة ترشيد العمل الجهادي في مصر والعالم" على حلقات ابتداء من ١٨ نوفمبر ٢٠٠٧م وعلى مدى ١٥ حلقة يومية تضمنت مفاهيم هامة جداً.

ولم يمهل التيار الجهادي **دكتور فضل** حتى يكتمل صدور كتابه بل عاجله بسيل من الردود عبر تصريحات صحافية وبيانات سياسية كان أبرزها تصريحات **د.هاني السباعي** مدير مكتب المقريزي للدراسات بلندن **ومحمد الحكايمة** الذي يعتقد أنه المسؤول الإعلامي لمنظمة القاعدة وبعد ذلك أيمن الظواهري، وكلهم هاجموا مراجعات **سيد إمام** (د.فضل) قبل أن

يكتمل نشرها ووعد هاني السباعي بالرد عليها كما وعد الحكايمة برد قوي عليها من قبل اللجنة الشرعية في تنظيم القاعدة.

كما صدر عدد من البيانات الصحافية التي وزعها مجهولون بالقاهرة على عدد من الصحف ترفض مراجعات **سيد إمام** وكانت تعبر عن رأي شريحة من معتقلي تنظيم الجهاد المصري الرافضين للمراجعات، كما صدر بيان بنفس المعنى معبراً عما سمى نفسه بمجلس شورى الجهاد المصري بالخارج وتم نشره على نطاق واسع في شبكة الإنترنت.

لكن الرد الأهم جاء من أيمن الظواهري في مناسبتين الأولى عندما أصدر كتابه "تبرئة أمة القلم والسيف من تهمة الخور والضعف" في مارس ٢٠٠٧م من مئتي صفحة على شبكة الإنترنت في أكثر من موقع متعاطف مع منظمة القاعدة، والثانية عندما رد على أسئلة القراء عبر الذراع الإعلامي لمنظمة القاعدة (شبكة سحاب) على الإنترنت في أبريل ٢٠٠٧م.

وربما بسبب سرعة وضراوة ردود المعترضين على مراجعات **سيد إمام** فإنه لم يكتف بصدور كتابه على حلقات في صحيفة "الجريدة" بل سارع بالإدلاء بردود قوية بشأن كل ما أثير حول مراجعات الجهاديين التي قادها ونظر إليها وذلك عبر ست حلقات من الحوار معه تم نشرها في صحيفة الحياة التي تصدر في لندن وقد شن في هذا الحوار هجوماً شخصياً ضارياً على قادة الجهاد المصري والقاعدة بصفة عامة وعلى **أيمن الظواهري** شخصياً **ومحمد الحكايمة** بالاسم كما خص عدداً آخر من القادة بنقد محدد لأشخاصهم مع تلميح واضح جداً لشخصياتهم دون ذكر الأسماء ومن أبرز الذين وجه إليهم سهامه بهذه الطريقة **دكتور هاني السباعي**، كما رد في هذا الحوار على كل ما أثير من انتقادات موضوعية أو شخصية حول هذه المراجعات ويمكن تلخيص الجوانب الهامة من حوار **سيد إمام** مع صحيفة الحياة في نقاط هي:

- قدر كبير من الهجوم اللفظي والشخصي على **أيمن الظواهري** و**أسامة بن لادن** وقادة الجهاد والقاعدة وأعضائهما ممن لا زالوا يرفضون "وثيقة ترشيد العمل الجهادي".

- كما احتوى الحوار على ملامح سياسية هامة وهادفة وموضوعية لكنها قليلة مثل: قوله لقادة الجهاد الرافضين للمراجعات عندما قابلهم في السجن "لا تفشلوا في السلم كما فشلتم في الحرب"، وقوله "ليس كل ما يصب في خانة الأعداء ممنوعاً أو مذموماً شرعاً" يقصد ما دام نفعه الأكبر يعود على المسلمين.

- وبصفة عامة احتوت الحلقات الست بين ثناياها تكراراً وعرضاً لأفكار وحجج "وثيقة ترشيد العمل الجهادي".

ويمكن حصر مجالات السجال الفكري بين مؤيدي المراجعات ومعارضيها في محاور ثلاثة:

- **محور الشرعية الفقهية لهذه المراجعات:**

حيث رأى المعارضون أن أدلة الفقه الإسلامي لا تؤيد أفكار المراجعات وساقوا حججاً عديدة بينما رد عليهم **سيد إمام** بحجج أخرى كما اتهمهم بالجهل.

- **محور الأهمية الواقعية والعملية للمراجعات:**

رأى **سيد إمام** أن دروس التاريخ والسياسة ومتغيرات الواقع تحتم هذه المراجعات وتؤيدها بينما رد عليه **الظواهري** بحجج من التاريخ والسياسة والواقع تعارض رأيه.

- **محور الخلافات الشخصية بين المؤيدين والمعارضين لها:**

حيث دأب **سيد إمام** على اتهام المخالفين لرأيه بالجهل بالفقه وأحكامه وكذلك بالعمالة لأجهزة مخابرات دولية، بينما رد عليه المخالفون بأنه منقاد لجهاز مباحث أمن الدولة المصري وأن هذه المراجعات هي من ابتكار هذا الجهاز.

ولكن التفاعلات الفكرية الهامة للحركات الإسلامية المسلحة لم تقتصر على الشد والجذب حول مراجعات الجهاد بل كان لها جانب آخر تمثل في النشاط الإعلامي العالمي المكثف لنشطاء القاعدة وأبرز هذه الأنشطة يمكن اختصارها في مجالين للنشاط هما:

الأول: مجال تصريحات وخطب وبيانات قادة القاعدة خاصة أيمن الظواهري وقادة القاعدة في العراق: حيث دأبوا على إصدار بيانات إعلامية صوتية في الغالب ومكتوبة أحياناً في مناسبات مختلفة ذات دلالة منها على سبيل المثال خطاب **أيمن الظواهري** بمناسبة الذكرى السنوية لاحتلال العراق والذي علق عليه بعض المحللين السياسيين بأن أحدًا من حكام العرب لم يجرؤ على اتخاذ هذه الخطوة الرمزية واستغلالها على النحو الذي فعله **الظواهري**.

الثاني: مجال المتابعة الإعلامية اليومية عبر البريد الإلكتروني (المجموعات البريدية) بالاشتراك مع المدونات: وهي متابعة مدهشة جداً حيث يبث نشطاء متعاطفون مع نشاط الحركات الإسلامية المسلحة عبر العالم مواد إعلامية متعددة يومياً توزع عبر البريد الإلكتروني على المشتركين في مجموعات بريدية محددة تتسم باتساع العضوية، كما يتم نشر هذه المواد الإعلامية في نفس الوقت على عدد من المدونات ومواقع النت المتعاطفة مع هذا التيار، وتتضمن المواد الإعلامية مقالات وتحليلات سياسية واقتصادية واستراتيجية وأخبار يكتبها هؤلاء النشطاء أو ينقلونها من صحف ووكالات أنباء عربية أو عالمية مع تحديد المصدر، ولا تقتصر هذه المواد الإعلامية على ذلك بل تحتوي أيضاً على تسجيلات فيديو لعمليات عسكرية تشنها القاعدة والجهات المرتبطة بها ضد قوات التحالف في أفغانستان والعراق والصومال وضد القوات الروسية في الشيشان ومنها عمليات تفجير دبابات أو سيارات مدرعة أو كمائن مدبرة ضد قوات الاحتلال أو القوات المحلية التابعة لها.

هذا كله فضلاً عن خطب وبيانات **أسامة بن لادن والظواهري وأبى عمر البغدادي وأبى حمزة** المهاجر وقادة منظمة شباب المجاهدين في الصومال وإجراء حوارات معهم صوتية أو كتابية وكذا تسجيلات لحوارات وخطب سابقة حتى مع من مات منهم مثل **الزرقاوي** وغيره.

ولكن أغرب المواد الإعلامية التي يبثها هؤلاء النشطاء هي مواد تتكلم عن مشكلات محلية جداً كمشكلة مياه الشرب أو الكهرباء ونحوها في بعض مناطق العربية السعودية وغيرها من دول العالم الإسلامي بشكل يذكرنا

بصحف المعارضة في بعض الدول العربية، وهو ما يتماشى مع اتجاه الظواهري في خطبه الأخيرة خاصة فيما يتعلق بمصر والسعودية.

وكان هناك تفاعلات فكرية على الساحة المصرية عام ٢٠٠٨م تعتبر أقل أهمية من كل ما سبق لكنها ذات دلالة بالغة وتمثلت في بيان طويل أصدرته الجماعة الإسلامية المصرية يوم عيد الفطر تهنئ فيه الأمة الإسلامية بالعيد وتدعو الحركات الإسلامية إلى المصالحة مع الحكومة والتخلي عن أمل إقامة الدولة الإسلامية أو تطبيق الشريعة الإسلامية كاملة وترك السياسة والسيادة للحكومة والاشتغال بالعمل الدعوي فقط وقالت الجماعة في بيانها الذي نشرته على موقعها على الإنترنت:

"لقد تأكد لنا بعد طول تجربة وممارسة ، وبقراءة واعية عاقلة للواقع أن الحركة الإسلامية لن تصل إلى الحكم لا بالقوة ولا حتى بالديمقراطية عن طريق صناديق الاقتراع .. وإذا وصلت إليه أجبرت على تركه .. وما الصومال والجزائر وغزة منا ببعيد ".

وكما انتهى عام ٢٠٠٧م بنشر كتاب "وثيقة ترشيد العالم الجهادي في مصر والعالم" لدكتور **سيد إمام**، فإن عام ٢٠٠٨م انتهى أيضاً بنشر كتاب جديد **لسيد إمام** بعنوان "التعرية" يرد فيه على كتاب **أيمن الظواهري** "تبرئة أمة القلم والسيف".

انفجار في حديقة الحسين

عندما انفجرت قنبلة حديقة الحسين بالقاهرة (**في فبراير ٢٠٠٩م**) انفجر معها شلال من التحليلات الغريبة والمتناقضة، فكل المعلقين بما في ذلك المصادر الأمنية مجمعين على أنه لم يتم القبض على الجناة وعلى عدم معرفتهم، ومع ذلك كلهم مجمع على أن الجناة مجموعة صغيرة من ثلاثة إلى أربعة أفراد لا ينتمون إلى الجماعة الإسلامية أو تنظيم الجهاد أو القاعدة، وأن العملية صغيرة ومعزولة وأن العبوة التي انفجرت بدائية وضعيفة وأن العملية بمجملها تنم عن بدائية وقلة خبرة المنفذين، وأن هذه العملية وأية عملية لمجموعات إسلامية مسلحة هي نتاج التضييق على نشاط الإسلاميين المعتدلين الذين هم الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية وحزب الوسط تحت التأسيس.

وفي الواقع إن كل هذه التحليلات بعيدة عن أي منهج علمي أو موضوعي، ولا تصمد أمام أية نظرة منطقية دقيقة للأحداث بل يمكن لأي شخص غير متخصص وليس لديه معلومات أن يلاحظ تناقضها مع نفسها، لأنه إذا كان الجناة غير معروفين حتى اللحظة فمن أين عرفوا أنهم ثلاثة أو أربعة فقط وأنهم غير منتمين إلى الجماعات الثلاثة المشهورة (الجهاد والقاعدة والإسلامية)؟ وإذا كان المعلن عن حجم الإصابات قتيلة و٢٤ مصاباً ثلاثة منهم في حالة خطرة فكيف يقال إنها عملية صغيرة؟

كم يكون عدد الإصابات حتى نعتبرها عملية كبيرة؟

وإذا كانت العبوة أطاحت بالمقعد الرخامي التي كانت تحته وأطاحت بكل هؤلاء المصابين وحفرت في الأرض حفرة عميقة فكيف تكون العبوة الناسفة صغيرة أو ضعيفة؟

وما هي البدائية في العملية؟..... قالوا إن العبوة مصنوعة يدوياً وإن أحدها تم تفكيكها قبل أن تنفجر وهذا دليل بدائيتها!!

مصنع؟ هل أية عبوة ناسفة استخدمت في أية عمليات سابقة في مصر على الأقل بل طوال تاريخ مصر الحديث منذ الحملة الفرنسية وحتى الآن كانت عبوة مصنعة في مصنع أو مستوردة من الخارج جاهزة؟

وأما زعمهم أن التضييق على المعتدلين (الإخوان والجماعة الإسلامية) هو السبب فهو مثل باقي التعليقات في عدم منطقيته لأن السادات أعطى حريات واسعة للإخوان لاحتواء الجهاديين والتكفيريين فلم ينجح الإخوان بل نجح الجهاديون في قتل السادات، فالتيار الجهادي ببساطة نشأ لعدم وجود تداول حقيقي للسلطة ولن ينتهي إلا عندما يقتنع أنه ممكن لأي أحد الوصول إلى السلطة بشكل سلمي.

وعلى كل حال فحصيلة كل هذه التعليقات تثير الاستغراب إذ كيف أجمع كل المعلقين على كلام واحد محدد غير منطقي وغير مستند لمعلومات صحيحة؟

على كل حال هناك تعليق واحد في العالم كله شذ عن هذا الإجماع الغريب وهو تعليق اللواء فؤاد علام وكيل إدارة جهاز أمن الدولة السابق الذي لم يستبعد أن يكون اعتداء الأحد "فاتحة لموجة إرهاب جديدة في مصر".

ولعل فؤاد علام يعرف أن إجماع المعلقين هذا هو تعبير عن أماني وليس تحليلاً ولا تعليقاً على ما حدث.

فصنع العبوة الناسفة يدوياً شيء طبيعي فكل العبوات الناسفة في العالم يتم صنعها يدوياً وأكبر التفجيرات التي حصلت في مصر سابقاً هما تفجير موكب وزير الداخلية الأسبق حسن الألفي وبعده تفجير موكب رئيس الوزراء الأسبق عاطف صدقي، والعبوتان في كلا الحادثين صنعتا يدوياً رغم أن تنظيم الجهاد صرف على الأخيرة حوالي مليون جنيه مصري، ولم يقتل في الأولى أحد بينما قتلت في الثانية ضحية واحدة من المارة، فالتفجير لا تقاس قوته بحجم القتلى أو المصابين أو بمن صنع العبوة الناسفة إنما مقياسه الوحيد هو وزن المادة المتفجرة الموضوعة في العبوة

ونوعها، وهذا يحدده خبراء المعمل الجنائي فهم يحددون نوع المادة عبر أخذ عينات من بقايا العبوة وتحليلها أما وزن المادة فتأتي معرفته من حجم الحفرة التي خلفها الانفجار ومقدار النسف الذي حققه وقطر الدائرة الذي غطاها الانفجار، والمعلومات المتاحة حتى الآن تدل على أن هذه العبوة مصنعة بمهارة وتقنية مناسبة وأن حجمها إما متوسط أو فوق المتوسط بقليل وأن المادة المتفجرة فيها هي مادة متطورة فهي ليست من نوع المادة البدائية التي صنعت منها عبوتا خان الخليلي وعبد المنعم رياض في أبريل ٢٠٠٥م، أما كون المواد التي صنعت منها العبوة مواد محلية وعادية مثل تايمر غسالة الملابس الذي استعمل كموقت للعبوة، فهذا يعتبر دليل على المهارة العالية لمصنعي العبوة، لأن الجهاديين يلجأون إلى هذا الأسلوب للتغلب على الإجراءات الأمنية القوية التي تحاصرهم ويعتبرون هذا شطارة ومهارة وقد حدثني عدد من أخطر خبراء المتفجرات من تنظيم الجهاد أنهم كانوا يشترون المواد اللازمة لصناعة المتفجرات من عند العطار، وفي الواقع إن هذا ليس غريباً عن الفكر العسكري المتقدم ولا هو ابتكار خاص بالجهاديين لسببين:

الأول: أن المنظمات المسلحة المحاصرة أمنياً تستخدم ذلك من قديم الأزل، والمنظمات الفلسطينية على سبيل المثال تدرس دورة خاصة بالمتفجرات تسمى "المتفجرات الشعبية" تتعلق بهذه الأمور.

الثاني: أن هذا موجود حتى لدى الدول فعندما حاصر الغرب دول العالم الثالث لمنعها من الحصول على تكنولوجيا تصنيع السلاح لجأت هذه الدول إلى ما سمي بالتكنولوجيا مزدوجة الاستخدام أي التي لها استخدام مدني وعسكري في آن واحد، وحينها بدأ الغرب يراقب هذه التكنولوجيا المزدوجة الاستخدام هي الأخرى.

أما الكلام عن أن من أدلة البدائية في العملية أن العبوة الثانية لم تنفجر وتم تفكيكها، فهو متناقض أيضاً لأنها لو لم تكن جاهزة للانفجار لما احتيج إلى تفكيكها ولما انسحب وزير الداخلية من المكان بسرعة إلى أن ينتهوا من تفكيكها، بل بالعكس وضع هذه العبوة الثانية بهذه الطريقة دليل على الاحتراف فهي لم توضع لضرب السياح بل وضعت لنسف وزير الداخلية

وقادة الأمن الذين كان من المحتم أن يحتشدوا في المكان فور وقوع الحادث، فهو احتراف في الإرهاب قابله احتراف أمني بتوقع وجود مثل هذه العبوة و المسارعة بالبحث عنها وتفكيكها عبر خبراء المتفجرات.

فالعملية فيها قدر كبير من الاحتراف.

ليس هذا فقط بل هناك احتراف أيضاً ويقظة من قبل الأمن، والدليل أن العبوة وضعت في هذا المكان لتعذر الدخول بها إلى موقف الأتوبيسات السياحية، كما وضعت تحت المقعد الرخامي كي لا يرتاب بها أحد رغم أن ذلك قلل الإصابات لأن الرخام امتص قدراً من الموجة الانفجارية للعبوة.

عادة ما توجد اعتبارات أمنية لأية عملية إرهابية وهذا دليل احتراف المنفذ فلو كان أصر على وضعها في موقف الأتوبيسات أو في مكان ليس به حاجز يغطي العبوة لكان فشل في وضعها أو ألقى عليه القبض قبل أن يضعها.

وهذا يرد على الذين قالوا لماذا وضعها هنا.

ومن ناحية أخرى فيحتمل أن العبوة لم تصنع بحجم أكبر من هذا حتى ينجح المنفذون في التنقل بها وبثها في مكان الحادث بسبب قوة الإجراءات الأمنية، كما من الممكن أن يكون المنفذون يسعون إلى تجريب قدرتهم في صنع العبوة قبل أن يضحوا بكمية أكبر من المادة المتفجرة، وهذا فعله نزيه نصحي راشد (قيادي الجهاد) بتفجير عبوة متوسطة في كازينو بشارع الهرم عام ١٩٩٢م لتجريبها ونزيه هو الذي قتل بعد ذلك في أثناء تفجير موكب وزير الداخلية الأسبق حسن الألفي.

وعلى كل حال فتفجير الأحد لو ثبت أن وراؤه إسلاميين فهو يعلن عن وجود مجموعة جهادية قوية جديدة.

ولكن إلى من تنتمي .. هل تنتمي إلى الجماعة الإسلامية؟

غالباً لا، ليس لأن الجماعة الإسلامية أوقفت العنف ولكن لأن الجماعة الإسلامية في كل عملياتها طوال عشر سنوات لم تنجح في تصنيع واستخدام العبوات الناسفة وهي في أوج قوتها وإمكانياتها.

هل تنتمي إلى تنظيم الجهاد؟

غالباً لا، ليس لأن الجهاد عمل مراجعات، ولكن لأن تنظيم الجهاد لا يستهدف السياح، والمناقشات بين المجموعات الجهادية الجديدة قليلة العدد التي نشأت بعد عام ٢٠٠٤ م وشملتها التحقيقات في تفجيرات خان الخليلي وعبد المنعم رياض ٢٠٠٥ م كشفت أن اتجاه عدم استهداف السياح ما زال موجوداً لدى من ينتمون إلى هذا الفكر، وكشفت أيضاً أن الذي يرى استهداف السياح هم المتعاطفون مع فكر القاعدة، كما أن كلام الظواهري في مناسبات متعددة يشير إلى ما يسميه باستهداف الصليبيين واليهود، وكلمة الصليبيين في عرف الظواهرى والقاعدة تعني الولايات المتحدة وأوروبا، كما أن كلام الظواهري واضح في اعتبار رعايا هذه الدول هدف للمتعاطفين مع القاعدة.

وبالتالي فإنه إذا كان انفجار القنبلة في حديقة الحسين قد فجر معه العديد من الأسئلة، فإن أهم هذه الأسئلة من وجهة نظري هو: ما هو حجم وقدرة المتعاطفين مع القاعدة في مصر؟

زجاجتان حارقتان في محطه المترو بالزيتون

أفادت مصادر أمنية أن رجلاً ألقى قنبلة حارقة في محطة مترو بالقاهرة كانت مزدحمة (في مارس ٢٠٠٩م) ولكن لم يُصب أحد، وأضافت المصادر أن المُهاجم فر من الموقع دون أن يتعرف عليه أحد.

ولكن مصادر أمنية أخرى ذكرت رواية مختلفة عن الحادث فقالت بأن قوات الشرطة عثرت في حوالي الساعة السادسة مساء على زجاجتين حارقتين، بجوار محطة مترو أنفاق حلميه الزيتون، الأمر الذي أثار الفزع بين ركاب مترو الأنفاق.

وقامت الشرطة بالتحفظ على الزجاجتين قبل انفجارهما، وقام المعمل الجنائى بالفحص الأولى للعبوتين، ووجد أن بهما مواداً مخلوطة بمادة بنزين، وأخرى تستخدم فى دهان الأخشاب يستخدمها "الأسترجية".

ويأتي هذا الحادث بعد أسبوع تقريباً من انفجار عبوة ناسفة وإبطال أخرى بحديقة الحسين بشارع المشهد الحسيني مما أسفر عن قتل سائحة فرنسية وإصابة ٢٤ آخرين أغلبهم من السياح الفرنسيين، وحتى الآن لم تتمكن أجهزة الأمن من ضبط مرتكبي الحادث كما لم تعلن أية جهة مسؤوليتها عنه.

ورجح المراقبون أن يكون وراء حادث الحسين مجموعة إسلامية مسلحة، ولكن لا توجد حتى الآن أية أدلة يمكن الارتكاز عليها لتحديد الجهة المسؤولة عن الحادث وحجمها وطبيعتها وأهدافها.

ويأتي حادث الزجاجتين الحارقتين ليضفي مزيداً من الغموض والالتباس على الحادثين، فهل الجهة التي وضعت الزجاجتين هي التي فجرت في الحسين قبلها بأسبوع؟؟

أم أن المجموعة التي تقف وراء تفجير الحسين مجموعة أقوى تسليحياً مما مكنها من وضع عبوة متفجرة وهي قد كمنت بعد العملية تحسباً من المطاردات الأمنية واسعة النطاق التي أعقبت الحادث لكن الحادث في حد ذاته شجع مجموعة متطرفة أخرى منفصلة عنها وأضعف منها تسليحاً للمجازفة بوضع هاتين الزجاجتين الحارقتين بمحطة المترو؟؟

أم هل قرأت المجموعة المنفذة لحادث الحسين التقارير التي أجمعت على ضعف وصغر المجموعة التي تقف وراء الحادث فأرادت المبالغة في تضليل أجهزة الأمن بوضع هاتين الزجاجتين لتثبت صحة هذه التقارير وتثبت أنها ليس لديها أية مواد متفجرة أخرى سوى التي نفذت بها عملية الحسين؟

ثم لماذا محطة المترو؟؟ فمعروف أن التنظيمات الجهادية سواء من كان منها على فكر تنظيم الجهاد المصري أو على فكر القاعدة عادة لا تكفر عامة الشعب المصري ولا تستهدفه، فالجهاد يستهدفون الشرطة والسلطة والقاعدة يستهدفون السياح، فلماذا محطة المترو وهي لا شرطة ولا سلطة ولا سياح؟

هل كانت الزجاجتان بمقر أمني بمحطة المترو ولم يعلن عن ذلك؟ أم أن الزجاجتين لم توضعا لتنفجرا أصلاً بل وضعتا لهدف آخر؟

وما هو هذا الهدف؟ هل هو إظهار البلد بأنه غير مستقر وغير آمن في الوقت الذي يزور فيه السيد جمال مبارك واشنطن ليقدم نفسه كرمز للاستقرار الذي ترومه واشنطن في أهم وأكبر دولة عربية؟

هل الهدف هو إدخال القاهرة في دوامة من إزعاج الأمن دون خسائر في الأرواح كالفترة التي بدأت في آخر فبراير ١٩٩٣م واستمرت حتى آخر يونيو ١٩٩٣م؟

لقد بدأت هذه الفترة بتفجير في مقهى وادي النيل بميدان التحرير وبعدها باتت أجهزة الأمن تجد من يوم لآخر حقيبة بها نوع ما من أنواع السلاح أو المتفجرات في شتى أنحاء القاهرة وكانت كلها غير مجهزة للتفجير

لكنها كلها كانت صالحة لذلك، مرة طلقات ومعها متفجرات مرة قنبلة يدوية مرة قنبلة دخان مرة قنبلة مسيلة للدموع... وهكذا.

كان الهدف وقتها إظهار عدم الاستقرار وإزعاج الأجهزة الأمنية وإتعاب أعصابها دون المجازفة بالدخول في أي اشتباك أو خسائر في الأرواح لكن هذه المرحلة انتهت وقتها بتفجير موكب وزير الداخلية السابق اللواء حسن الألفي... فهل وضعت الزجاجتان الحارقتان كفاتحة لمثل هذه المرحلة؟

أم أن الأمر لا يعدو تصرفاً فردياً لفرد أو خلية جهادية صغيرة لا تملك إمكانيات فنية عالية ولا مواد متفجرة فاستعملت تقنية زجاجة المولوتوف التي يعرفها أي شخص لتعبر عن غضبها، بالضبط كما عبر العامل المصري قبلها بيومين عن غضبه بطعن سائح أمريكي بقصافة أظافر في خان الخليلي.

في حالة توجيه الزجاجات لعامة المواطنين فهو أمر يسير بالتحليل لاتجاهات أخرى في منتهى الخطورة لأنه في هذه الحالة ربما يشير إلى جهة أجنبية لا يهمها الشعب ولا يهمها كسب تعاطفه كل الذي يهمها هو هز استقرار البلد فقط، خاصة أنه حتى في حالة تنظيمات التكفيريين المسلحة كالشوقيين والناجين من النار وغيرهما لم يسبق أن تعمدت التفجير في عامة الجمهور، والعمليات التي أصيب فيها ناس من عامة المواطنين كان مقصود بها سياح أو مسؤولين بينما أصيب المواطنون الذين تصادف وجودهم في المكان لكن لم يتم تعمد المواطنين بعملية خاصة بهم في مصر من قبل.

الأسئلة كثيرة لأن المعلومات قليلة جداً بل مشكوك فيها، لأننا يمكننا أن نتسائل أيضاً هل الذي وجد بجانب محطة المترو هو زجاجتان بدائيتان مصنعتان من البنزين والتنر فقط أم أن الأمر أكبر من ذلك؟

وهل كانتا موجهتين إلى عامة الناس أم أنهما كانتا بقسم الشرطة الموجود في محطة المترو؟

الجهاديون الجدد

منذ عام ٢٠٠٠م تقريباً لم نعد نسمع عن نشاط ذى بال لأي من مجموعات وخلايا تنظيم الجهاد أو الجماعة الإسلامية داخل مصر بل وربما خارجها أيضاً، ليس فقط لما قيل ويقال عن مبادرة وقف العنف للجماعة الإسلامية ومراجعات فكرية لتنظيم الجهاد ولا بسبب النجاحات التي حققتها أجهزة الأمن بشأن ضرب أو تحجيم هذين التنظيمين لأبعد مدى ولكن أيضاً لسبب أهم من ذلك كله وهو توجه التيار الجهادي إلى منعطف جديد وربما يمثل إعلام منظمة القاعدة العلامة الأبرز التي حدث عندها هذا التحول، وقبل أن نسترسل في متابعة التحولات العميقة التي لحقت بالمجموعات الإسلامية المسلحة مع مطلع القرن الواحد والعشرين في مصر لابد أن نتذكر معاً عدداً من التواريخ الهامة المتعلقة بهذه الفترة لا سيما وأن كل تاريخ من هذه التواريخ له قصة وكل قصة لها دلالة:

□ في مايو ٢٠٠١ تم القبض على تنظيم مسلح عرف باسم تنظيم الوعد، وتم محاكمة أعضائه أمام محكمة عسكرية أصدرت أحكاماً متفاوتة عليهم، وأثبتت التحقيقات أن بعض أعضاء التنظيم سعوا إلى السفر إلى كل من كوسوفو أو الشيشان أو البوسنة بغرض الجهاد هناك وقد نجح بعضهم في السفر إلى بعض هذه المناطق كما حاول بعضهم السفر إلى فلسطين المحتلة، كما جمعوا مئات الألوف من الجنيهات وأرسلوها إلى بعض هذه الجبهات، كما هربوا سلاحاً للمقاومة في غزة، واستقدموا خبيراً في المتفجرات من مسلمي روسيا ليدربهم، كما حاولوا أن يدخلوا خبيراً مماثلاً لغزة لتدريب المقاومة على صناعة المتفجرات المتقدمة، ولكن المدهش في قصة هذا التنظيم أنه كان مكوناً من شباب من السلفيين وهو تيار مسالم لا يؤيد حمل السلاح ولا ارتكاب أعمال عنف، ولكنهم طبعاً حدث لهم تحول فكري ما دفعهم إلى تكوين هذا التنظيم، وهذا التحول هو ما سنحاول التعرف على أسبابه وطبيعته في السطور التالية لكن بعد استقراء بقية قصص التنظيمات المسلحة في هذه الفترة.

□ في يناير ٢٠٠٣ أعلنت اجهزة الأمن عن القبض على تنظيم جديد اسمه "جند الله" كان يخطط لنسف السفارتين الأمريكية والإسرائيلية وعدد من المصالح الأمريكية بالقاهرة، وكان أغلب أعضاء هذا التنظيم من ذوى اتجاهات إسلامية مسالمة كـ "السلفيين" و "التبليغ والدعوة" ونحوهما قبل الاشتراك في هذا التنظيم، وكان أغلبهم من الشباب الناجح في حياته العملية وكان بينهم عدد قليل من ضباط الجيش السابقين من ذوي الرتب الصغيرة وكان أحدهم ضابط مهندس وكان بينهم ضابط طيار، ولكنهم لسبب ما قرروا تكوين هذا التنظيم وفي البداية سعوا إلى السفر للقتال في الشيشان أو فلسطين لكنهم فشلوا واستقر رأيهم في النهاية على استهداف المصالح الإسرائيلية والأمريكية بمصر، واتخذوا عدة خطوات ناجحة بهدف إنشاء مصنع لمادة الـ "تي إن تي" شديدة الانفجار تحت ستار إنشاء مصنع صابون كي يوفروا لعملياتهم الكميات اللازمة من المتفجرات، لكنهم ألقي عليهم القبض قبل أن يتحركوا.

□ بعد غزو العراق في ٢٠٠٣م تم القبض على تنظيم يضم أكثر من مئة من الشباب أغلبهم من الأطباء والمهندسين المتميزين وطلبة الجامعات وأطلق عليه وقتها تنظيم الإنترنت، وكان يهدف إلى الجهاد في فلسطين والعراق، وقد قبض على البعض منهم بواسطة السلطة الوطنية الفلسطينية بعد نجاحهم في التسلل إلى غزة فعلاً وتم تسليمهم للسلطات المصرية، كما تم القبض على أحدهم في بنجلاديش بواسطة الـ "سى آى إيه" عندما كان يحاول الاتصال بأحد من أعضاء القاعدة له صلة بالعراق ليسهل له طريق لانتقال أعضاء التنظيم إلى العراق، والغريب في هذا التنظيم أن كل أعضائه كانوا أعضاء سابقين في جماعة "التبليغ والدعوة" وهي جماعة دعوية تحرم على أعضائها الكلام في السياسة أو في شؤون الحركات الإسلامية أو في الخلافات الفقهية وتلتزم التزاماً كاملاً بتعليمات أجهزة الأمن.

□ في أكتوبر من العام ٢٠٠٤ هزّ انفجار كبير فندق هيلتون في طابا أسفر عن قتلى وجرحى أغلبهم من السياح الإسرائيليين.

□ وفي يوليو من العام ٢٠٠٥ تم تفجير مرافق سياحية في شرم الشيخ أسفرت أيضاً عن قتلى وجرحى.

□ وفي أبريل من العام ٢٠٠٦ استهدفت منطقة دهب بانفجار مماثل.

وفي الحوادث الثلاثة تم اتهام "تنظيم التوحيد والجهاد" وهو تنظيم إسلامي سري كل أعضائه من أبناء سيناء، وكانوا قبل تأسيس هذا التنظيم لا يؤيدون العمل المسلح لكنهم تحولوا مع بداية انتفاضة الأقصى (سبتمبر ٢٠٠٠م) إلى فكر منظمة القاعدة الذي درسوه عبر الإنترنت، وأسسوا هذا التنظيم وسعوا إلى السفر للجهاد في الخارج (الشيشان وكوسوفو وفلسطين) لكنهم فشلوا في الوصول إلى أي من هذه الجبهات فقرروا مهاجمة أهداف داخل سيناء اعتبروها إسرائيلية وغربية فكانت هذه الحوادث الثلاثة.

□ في٧ أبريل ٢٠٠٥م فجر شاب نفسه في خان الخليلي بهدف قتل سياح، وفي ٣٠ أبريل ٢٠٠٥م فجر شاب آخر نفسه بنفس الغرض في ميدان عبد المنعم رياض، بينما في نفس الوقت أطلقت فتاتان النار على أتوبيس سياحي في ميدان السيدة عائشة ثم انتحرتا، وتبين من التحقيقات بعد ذلك أن الحوادث الثلاثة تتعلق بمجموعة جهادية واحدة، يقودها إيهاب يسري الذي فجر نفسه في ميدان عبد المنعم رياض، وأن هذه المجموعة بنت استراتيجيتها على مهاجمة الأوروبيين والأمريكيين استجابة للأفكار التي تدعو إليها القاعدة عبر شبكة الإنترنت، كما تبين من خلال التحقيقات مع نفس المجموعة أنه توجد مجموعة أخرى بقيادة **أشرف سعيد** كانت تختلف مع رأي استهداف الأجانب وكانت تتبنى رأي تنظيم الجهاد المصري من استهداف العدو القريب الذي هو السلطة وعدم استهداف العدو البعيد الذي هو أمريكا وإسرائيل، وقد مات **أشرف سعيد** هذا في السجن في أثناء التحقيقات وقيل إنه انتحر.

□ في ديسمبر ٢٠٠٨م أعلنت مصادر أمنية القبض على مجموعة جهادية من محافظتي الشرقية وكفر الشيخ، ويقال إن أعضاء هذه المجموعة كانوا ينتمون قبل ذلك إلى السلفيين وجماعة أنصار السنة ومن المعروف عن كلا الاتجاهين أنهما لا يؤيدان أية أعمال مسلحة أو أعمال العنف.

ولا شك أن هذه التنظيمات التي أشرنا إلى قصصها ليست هي كل التنظيمات التي تم كشفها في هذه الفترة بل بالعكس يمكن القول إن هذه مجرد عينة تمثل ١٠% فقط مما تم كشفه، لكن كل بقية التنظيمات التي لم نشر إليها كان كل ما فعلته أنها حاولت أن تساعد أعضاءها على السفر للقتال في العراق أو فلسطين وبعضها لم يحاول إنما فكر في ذلك فقط.

وهنا يأتي دور التساؤل حول سبب ميل هؤلاء الشباب إلى التخلي عن اتجاهاتهم الإسلامية السلمية والتحول إلى الاتجاه العنيف أو المسلح، وتأتي الإجابة السريعة والجاهزة التي يسهل على الكثيرين إطلاقها:

إنها القاعدة ....إنها مواقع النت التابعة للقاعدة....إنها شبكة الإنترنت التي توفر الحرية لإرهابيي القاعدة لنشر أفكارهم...

لكن هذه الإجابات هي إجابات سطحية ومتسرعة، لأن شبكة الإنترنت كما أنها تعطي الحرية للقاعدة لنشر آرائها فهي تعطي حرية أكبر منها لكل الاتجاهات الإسلامية وغير الإسلامية بل والإباحية لنشر أفكارها وتوجهاتها... فلماذا يختار بعض الشباب الإسلامي المسالم أفكار القاعدة التي تحمل العنف والعداء المسلح لإسرائيل وأوروبا وأمريكا ويتركون ما دون ذلك؟

هل يمكن القول إن القاعدة تفوقت إعلامياً على كل الاتجاهات الأخرى الإسلامية وغير الإسلامية في الترويج لمبادئها وأهدافها عبر الإنترنت بينما أخفق الآخرون؟

هذا القول روج له رسميون أمريكيون في مناسبات عدة.

لكن الدقة تتطلب منا أن نقول إن الولايات المتحدة وأوروبا وإسرائيل نجحوا في الاستحواذ على كراهية ملايين العرب والمسلمين في شتى أنحاء العالم بسبب مواقف القوى الثلاث في كل من فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان والبوسنة وكوسوفو والصومال وغيرها، كما نجحوا بظلمهم وإهانتهم للعرب والمسلمين أن يجذبوا اهتمام ملايين من الشباب ما كانوا ليهتموا بالشؤون السياسية لولا الظلم البين والمهانة البالغة التي توقعها القوى الثلاث على الأمة العربية والإسلامية بأسرها ليس فقط

بالاحتلال ولكن عبر دعم ومساندة الديكتاتوريات المستبدة وأجهزتها القمعية في العالم الإسلامي بأسره ضد الشعوب الإسلامية.

إن إعلام القاعدة إن كان قد نجح فهو قد نجح في أنه طرح هدفاً يمكن أن يجتذب عدداً غير قليل من الشباب وهو مقاومة الاحتلال في الجبهات المفتوحة (أفغانستان، الشيشان، العراق، فلسطين...إلخ) ثم يخطو بعدها خطوة أخرى بالشباب قائلاً لماذا لا توجهون ضرباتكم إلى مصالح هؤلاء المحتلين في بلادكم؟

كان وما زال تنظيم الجهاد المصري ومن على شاكلته في أي مكان يختلفون ويتجادلون مع الاتجاهات الإسلامية الأخرى حول ما إذا كان حكام بلاد المسلمين كفار أم مسلمين.

تنظيم الجهاد يحكم بكفرهم تارة لعدم الحكم بالشريعة وتارة لتبعيتهم لأمريكا، ولكن أغلب التيارات الإسلامية كالتبليغ والسلفيين ونحوهم يختلفون معهم في ذلك.

وأيضاً كان الجهاديون القدامى وما زالوا يختلفون ويتجادلون ويبذلون جهداً كبيراً في سوق الحجج على شرعية العمليات المسلحة ضد السلطة في أي بلد إسلامي.

جماعة التبليغ والدعوة وهي أشبه ما تكون بجماعة صوفية تهتم بالأخلاق والسلوكيات الشخصية فقط وتنغلق أمام كل ما سوى ذلك، من كان سيستطيع أن يقنع بعضاً من شباب مثل هذه الجماعة برفع السلاح والسعي إلى القتال سوى الممارسات الأمريكية والإسرائيلية في العالم الإسلامي؟

وجماعات السلفيين التي تغلق على نفسها كل الأبواب لتتفرغ للصلاة والأذكار ودراسة العلوم الشرعية وبث خطب الوعظ والإرشاد بعيداً عن أية رائحة للعمل السياسي، من كان سيبرهن لشبابها على حتمية القتال في الجبهات المختلفة سوى الصور الدامية للممارسات الغربية والإسرائيلية في العالم الإسلامي فضلاً عن مساندة الحكام المستبدين؟

نعم القاعدة نجحت ولكن نجاحها ليس في الدعوة والتجنيد بقدر ما هو نجاح في توظيف الواقع وتوجيهه وتقديم الدعم للنشطاء الجدد.

شباب التنظيمات الجديدة هذه أكيد أنهم غاضبون مثل كل العرب والمسلمين من الواقع المرير الذي تعيشه الأمة، لكنهم لم يكونوا ليقتنعوا بالسعي إلى قلب نظام الحكم على النحو الذي كانت تحاوله التنظيمات القديمة كالجهاد والجماعة الإسلامية، إما لصعوبة هذا المسلك وبعده عن مستوى خبراتهم أو مداركهم أو لعدم قناعتهم بجدواه، فضلاً عن أن بعضهم غير مقتنع بشرعيته من الناحية الفقهية أصلاً.

لكنهم يسهل عليهم جميعاً الاقتناع بالقتال في الجبهات المتعددة المفتوحة في عدة بقاع من العالم الإسلامي؛ ولا يختلف اثنان على شرعية مقاومة المحتل بما في ذلك العلماء الحكوميون.

كما أن بعضاً منهم يسهل عليه الاقتناع بتوجيه ضربات إلى ما يعتبره مصالح غربية في البلاد كالسياحة ونحوها لعجزه عن الوصول إلى الجبهات المشتعلة في فلسطين والعراق وأفغانستان والشيشان وغيرها.

ولكن هناك سؤال يطرح نفسه بشدة بشأن المستوى المتزايد من العمى والعبثية التي كثيراً ما يوصف بها العنف الذي تقوم به هذه الجماعات الجديدة؟

ويمكننا أن ندرك أبعاد هذه الطبيعة التي توصف بها أعمال الجماعات الجديدة إذا استحضرنا في أذهاننا الصورة النفسية والفكرية التي وصفناها في السطور السابقة للخلفية الفكرية والنفسية لأعضاء وقادة هذه التنظيمات، إذ كيف تتوقع سلوك شخص شبه منعزل عن كثير من خبرات الحياة ليست فقط السياسية بل والاجتماعية، شخص وقف نفسه أصلاً للدين والتدين في أبعاده الأخلاقية والتعبدية في جو من العزلة أو شبه العزلة الاجتماعية بجانب عزلة سياسية تامة، ثم شعر بالذل والمهانة مما يحيق بأمته واقتنع أن كل مواطن ينتمي إلى إسرائيل أو الغرب بصفة عامة هو مشارك في إذلال وإهانة واستعباد ونهب الأمة الإسلامية وأن من قتل من

المسلمين لوجوده عرضاً في مكان قتال الأعداء فإنه سيبعث على نيته ولا إثم عليه.

إن عبثية وعمى وعنف الجماعات الجديدة هو مجرد بروفة لما يمكن أن يكون عليه الوضع إذا ما قرر القطاع الواسع من الجماهير غير المسيسة أن يعبر عما يموج بداخله من مشاعر الغضب والحنق على واقع لا يرتضيه سواء كان هذا الواقع داخلياً أو خارجياً أو الاثنين معاً.

لقد عبأت إسرائيل والغرب فئات وشرائح اجتماعية لم تكن لتهتم بالسياسة أو تشتغل بها، ثم جاءت القاعدة فوجهتهم إلى الطريق ليس فقط بتحديد الأهداف ولكن بشرح الأساليب والطرق فمن يفتح أياً من مئات المواقع المنتسبة إلى القاعدة على شبكة الإنترنت يجد ملفات للتحميل تحمل العناوين التالية:

□ الإعداد البدني: ملف يحتوي على ٩ كتب حول الإعداد البدني والتمارين والكراتيه وغيرها.

□ موسوعة الأمن للمجاهدين: وتشمل ١٢ من دروس أمنية للمجاهدين وكيفية مواجهة المحققين وغيرها.

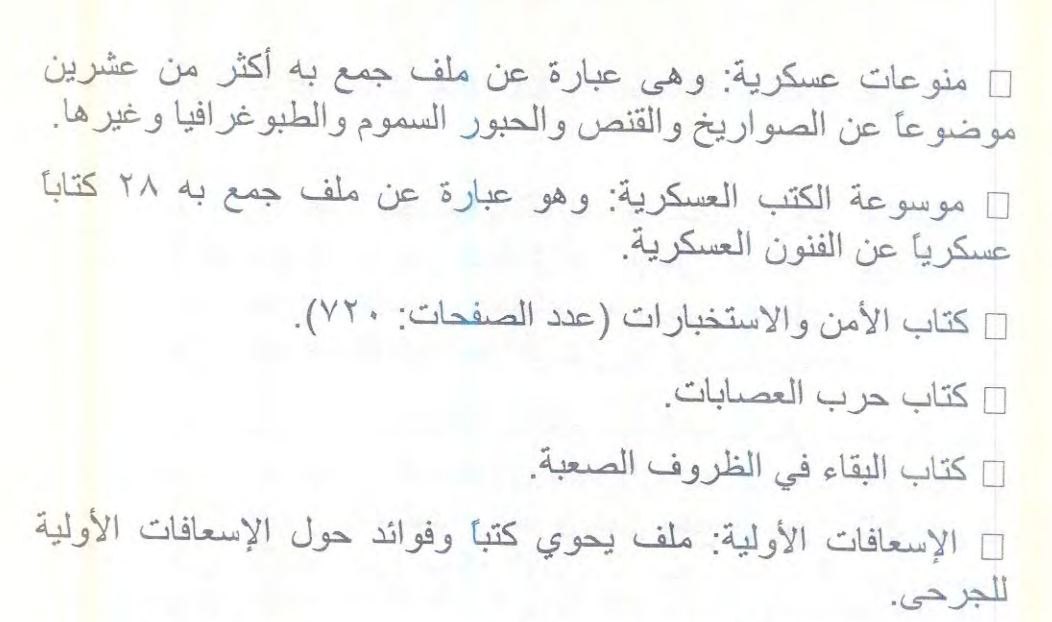
□ موسوعة العبوات الناسفة: وهي موسوعة مكونة من عدة ملفات عن صناعة العبوات الناسفة وكيفية توجيهها.

□ موسوعة دورة التنفيذ: وهي موسوعة من ١٥ كتاباً منوعاً عن مهارات التنفيذ والقتال.

□ موسوعة الأسلحة والذخائر: وهي موسوعة من ٢٩ ملفاً عن الأسلحة والتعامل معها والذخائر.

□ موسوعة المتفجرات: وهي موسوعة مكونة من ٥٣ كتاباً عن صناعة المتفجرات وكيفية استخدامها وغيرها.

□ موسوعة حرب العصابات: وهي موسوعة مكونة من ٥٨ كتاباً عن فنون حرب العصابات وكيفية قيادتها وغيرها.



□ منوعات عسكرية: وهى عبارة عن ملف جمع به أكثر من عشرين موضوعاً عن الصواريخ والقنص والحبور السموم والطبوغرافيا وغيرها.

□ موسوعة الكتب العسكرية: وهو عبارة عن ملف جمع به ٢٨ كتاباً عسكرياً عن الفنون العسكرية.

□ كتاب الأمن والاستخبارات (عدد الصفحات: ٧٢٠).

□ كتاب حرب العصابات.

□ كتاب البقاء في الظروف الصعبة.

□ الإسعافات الأولية: ملف يحوي كتباً وفوائد حول الإسعافات الأولية للجرحى.

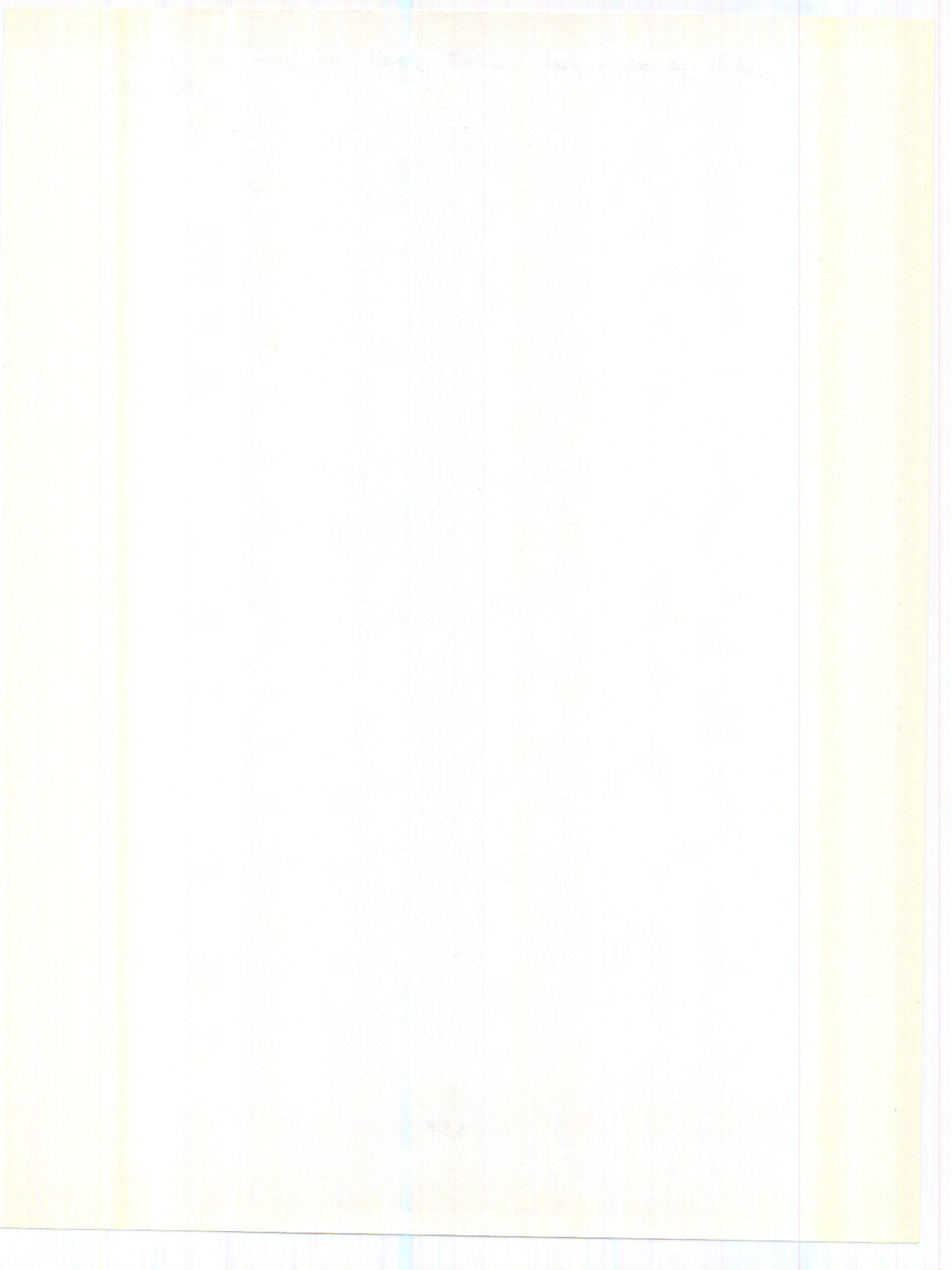
هذا على سبيل المثال لا الحصر، لأن هذه المواقع تحمل أيضاً الكثير من الموضوعات الفكرية والسياسية والفقهية والعقائدية.

فالقاعدة عبر مواقعها الكثيرة افتتحت ما يشبه الجامعة ليس فقط لفنون العمل المسلح وما يلزمه من أمن وتصنيع وطب ولكن للفكر والسياسة بما في ذلك ترجمة تقارير الصحف الأمريكية والبريطانية وغيرها بشكل يومي، فبمجرد ما يضع المتعاطفون الجدد قدمهم على أول درجة في سلم القاعدة إلا ويجدوا أنفسهم أمام منظومة متكاملة، نعم نختلف نحن معها في العديد من الجوانب لكن المتعاطفين الجدد يذوبون إلى حد كبير في محتواها لا سيما وأنهم قادمون من عالم منعزل عن الفكر والممارسة السياسية وأحياناً منعزل عن المجتمع بأسره.

ثم يأتي البعض اليوم محاولاً أن يستثمر هذا الوضع الغاضب لمصلحته فيقول بأن التضييق على الجماعات الإسلامية المعتدلة هو السبب، ولنا أن نوجه إلى أصحاب هذا الرأي سؤالاً واحداً هو:

لو فتحت الدولة حرية العمل للمعتدلين الإسلاميين بينما استمرت إسرائيل والغرب في طغيانهم إزاء العالم الإسلامي هل ستتوقف أمواج الغضب التي تلقي بآلاف الشباب في العالم الإسلامي إلى العنف العبثي؟

وهل لو استمر القمع والديكتاتورية يحكمان العالم الإسلامي فهل سيتوقف البعض عن الظن بأن انفجار الغضب العام وحده هو الكفيل بتداول السلطة؟



القسم الثاني

من أدبيات تيار الجهاد



عرض كتاب الفريضة الغائبة

منذ نشأة تنظيم الجهاد في مصر عام١٩٦٦م، فإن التنظيم لم يكتب تأصيلاً فكرياً وفقهياً وعقائدياً مفصلاً للاستراتيجية التى تبناها التيار وظل هكذا حتى عام ١٩٨٠م عندما كتب محمد عبد السلام فرج كتابه الفريضة الغائبة.

كان تيار الجهاد في مصر قبل كتاب محمد عبد السلام فرج يعتمد في تأصيل أفكاره على الكلام الشفهى الذى يتناقله أعضاء الجهاد بعضهم من بعض مع الاستعانة بأجزاء من كتب فقه وتفسير قرآن وغيرها، مثل فتوى ابن تيمية عن التتار ومثل تفسير ابن كثير لآية "أفحكم الجاهلية يبغون" وكلامه في كتابه البداية والنهاية عن التتار وحكمهم، وكذا تفسير سيد قطب لآيات الحكم والسياسة مثل تفسيره لقوله تعالى "إن الحكم إلا لله".

وكان أعضاء الجهاد يقومون من حين لآخر بتصوير أو طباعة كميات من هذه الأجزاء التى يحتاجونها من كتب ابن تيمية وابن كثير وسيد قطب وغيرهم للاستدلال على أفكارهم ثم يقومون بتوزيعها إلى أن جاء محمد عبد السلام فجمع كل أفكار الجهاد الشفهية وضم إليها كل أقوال العلماء التى يستدل بها الجهاديون وصاغها صياغة متكاملة نسبياً بمقاييس الفكر الجهادى في ذلك الوقت.

ورغم إعدام **محمد عبد السلام** عام ١٩٨٢م في قضية اغتيال السادات فإن كتابه ظل مؤثراً على تيار الجهاد حتى اليوم فهو منتشر على المواقع الجهادية على شبكة الإنترنت، كما جرى طبعه عدة طبعات ورقية منذ إعدام **محمد عبد السلام** وحتى اليوم، وكانت أول طبعة تمت بواسطة **محمد عبد السلام** نفسه في صيف١٩٨٠م قبيل اغتيال السادات مما جعل الكتاب الركيزة الفكرية الأساسية لاغتيال السادات وبالتالى اعتبر دليلاً هاماً ضد **محمد عبد السلام** في قضية اغتيال السادات أفضى إلى الحكم بإعدام مؤلف الفريضة الغائبة.

المطبعية التي تضمنتها الطبعات السابقة إلا أنه لم يزد فيه شيئاً لأن "الكلمات التي يخطها أصحابها بدمائهم بعد أن سطرها مدادهم أنفذ وأبلغ من أي تعديل أو زيادات .. ففيها الروح التي لا تدب إلا في كلمات مات أصحابها في سبيلها .. وقد سطرها الأخ محمد عبد السلام فرج .. لتكون نبراساً على طريق الحق لكل مسلم يعمل من أجل إعلاء كلمة الله بالجهاد." انتهى.

وكتاب الفريضة الغائبة يبدأ بمقدمة يذكر فيها مؤلفه أن علماء الإسلام فى العصر الحديث تجاهلوا الجهاد في سبيل الله رغم علمهم أنه الطريق الوحيد إلى إعادة ورفع صرح الإسلام لأن طواغيت الأرض لن تزول إلا بقوة السيف حسب رأيه، ويسوق حديثين نبويين ليدلل بهما على رأيه أحدهما قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم "بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم".

والثانى قوله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يخاطب طواغيت مكة وهو بها "استمعوا يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بالذبح".

ثم ينتقل المؤلف إلى مسألة أخرى وهى ما استعار لها عنوان أحد كتب سيد قطب "المستقبل لهذا الدين" ويورد تحت هذا العنوان أحاديث نبوية تشير إلى عودة دولة الخلافة الإسلامية الراشدة بعد فساد وهوان يصيب الأمة الإسلامية، ويرى محمد عبد السلام أن هذه الأحاديث المبشرة لابد أن تبث الأمل في قلوب المسلمين وتدفعهم إلى العمل من أجل إعادة حكم دولة الخلافة الإسلامية من جديد فضلاً عن أن العمل من أجل عودة هذه الدولة هو واجب شرعى حسب رأى محمد عبد السلام، وهنا يرد على من سماهم اليائسين الذين يستدلون بأحاديث على استمرار سوء أحوال الأمة الإسلامية فيشرح هذه الأحاديث بما يؤيد رأيه الجهادى.

بعد ذلك ينتقل إلى إثبات فرضية إقامة الدولة الإسلامية ويستدل عليها بأدلة كثيرة منها قوله تعالى "وأن احكم بينهم بما أنزل الله" وقوله تعالى "ومن

لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" كما يستدل على هذه المسألة بآيات وأحاديث عديدة.

ثم ينتقل إلى توصيف ما سماه الدار التى نعيش فيها، ومصطلح الدار ليس من اختراع **محمد عبد السلام** لكنه مصطلح فقهى أصيل، لكنه استعار المصطلح بكل أصالته وتعريف العلماء الثقات له خاصة توصيف الإمام أبى حنيفة للحالة التى تتحول بها دار الإسلام إلى دار كفر، ثم بعد ذلك بدأ يستخدمه ليؤصل من خلاله تكفير حكام العالم الإسلامى الحاليين ووصف نظم حكمهم بالكافرة التى ينطبق عليها حسب رأيه معايير دار الكفر التى حددها علماء الإسلام.

ثم ينطلق من هذه النقطة إلى نقطة أخرى مرتبطة بها وهى حكم الحاكم الذى يحكم بغير ما أنزل الله، فيرجح كفر من حكم بغير ما أنزل الله ويسوق عدداً من الآيات والأحاديث وأقوال العلماء التى يرى أنها تؤيد رأيه ثم يختم بكلمة لابن تيمية (الفتاوى: ٥٢٤/٢٨) تقول: "ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعة غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر وهو ككفر من آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض الكتاب كما قال تعالى "إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً".

ثم يورد رأيه في حكام العالم الإسلامى المعاصرين بأنهم مرتدون تربوا على موائد الاستعمار ولا يحملون من الإسلام سوى الأسماء حسب رأيه، ويتوسع في هذه النقطة بذكر كلام العلماء الذى يرى أنه يؤيد رأيه خاصة فتوى ابن تيمية وابن كثير بشأن التتار ويقارن بين كل صفة يذكرها ابن تيمية وابن كثير للتتار وبين صفات حكام اليوم ويخلص لأنها متطابقة حسب رأيه.

ثم يذكر فروعاً لهذه المسألة منها حرمة معاونة حكام اليوم، ومنها أن أموالهم تصير غنيمة للمسلمين عند النصر عليهم، ومنها وجوب قتالهم، ومنها أن قتالهم ليس قتال بغاة إنما قتال كفار، ومنها أن من انضم إلى

معسكرهم من المسلمين فهو تجرى عليه نفس أحكام التتار، ثم ينتقل إلى حكم من خرج معهم مكرهاً فيذكر رأى ابن تيمية المشهور بأنه يقتل مثلهم ويبعث على نيته وهى المسألة المشهورة في الفقه السياسى الإسلامى بمسألة التترس، وهذا الكلام هو الأساس الفكرى الذى تجرى وفقه عمليات التفجير التى يقوم بها الجهاديون في مختلف مدن العالم المكتظة بالسكان حتى اليوم.

بعد ذلك ينتقل المؤلف إلى أحد أهم فصول الكتاب تحت عنوان "آراء وأهواء" فيورد فيها طرق الإصلاح التى تتبناها التيارات الإسلامية غير الجهادية ويرد على كل منها على حدة، فيذكر آراء القائلين بالإصلاح عبر الجمعيات الخيرية الرسمية، والقائلين بأن الحل هو كثرة الذكر والدعاء والقيام بالعبادات وتربية المجتمع على هذا، ثم رأى القائلين بالتغلغل في المناصب والتخصصات الهامة في الدولة عبر الانتخابات وغيرها، ثم رأى القائلين بالتوسع في الدعوة الإسلامية وتكوين قاعدة عريضة من الإسلاميين، ثم رأى القائلين بالهجرة إلى الصحراء أو الجبال وتكوين مجتمع مسلم منعزل، ثم رأى القائلين بأن الإصلاح الإسلامى يتم عبر الانشغال بطلب العلم، وهو في ذلك كله يذكر الأراء حسبما يقولها أصحابها بأدلتهم ثم يرد عليها **محمد عبد السلام** مرجحاً رأيه الخاص بدليله.

ثم يبين أن أمة الإسلام بخلاف الأمم السابقة لابد أن تغير أحوالها بممارسة القتال لا أن تنتظر أن ينزل الله العذاب بأعدائها عبر الزلازل والخسف وغيرها من السنن الكونية مستدلاً بقوله تعالى: "قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين".

ثم يذكر وجوب الخروج على الحكام.

ثم يرد على من يقولون بأولوية تحرير القدس ومحاربة الصهاينة فيرجح وجوب قتال العدو القريب لأن حكام العالم الإسلامى في رأيه هم سبب وجود الاستعمار الصهيونى وغيره في بلاد المسلمين.

ثم يرد على من قال إن الجهاد في الإسلام هو للدفاع فقط.

لكنها كانت تنتصر بقوة الإيمان.

ثم يرد على من يعطلون الجهاد بدعوى أننا في مجتمع مكى، ويرجح أن القتال الآن فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ويذكر أن هناك مراتب للقتال وليس مراحل.

كما يرد بعد ذلك على من يقولون بعدم إقامة الدولة الإسلامية خشية سقوطها بعد إقامتها بيومين، ويرد على من يقولون بعدم وجود قيادة إسلامية يتوحد خلفها المجاهدون.

ثم يعرض لعدد من مسائل فقه الجهاد كالبيعة على الموت والتحريض على القتال والدعوة قبل القتال وتبييت الكفار وأساليب القتال وعدم قتل النساء والأطفال والرهبان وغيرها من المسائل العادية الموجودة في كتب الفقه ولم يختلف فيها **محمد عبد السلام** عن الأقوال السائدة لدى الفقهاء.

ثم يختتم الكتاب بالكلام عن وجوب إخلاص النية لله تعالى في الجهاد مشيراً إلى تساقط غير المخلصين وضعاف العزائم في أثناء طريق الجهاد مستدلاً بكلام العديد من العلماء كالشافعي وغيره لكنه يختم بكلام طويل في هذا الصدد **لسيد قطب** من كتابه في ظلال القرآن.

آخر شىء كتبه دكتور سيد إمام قبل القبض عليه بيوم واحد

كان آخر شىء كتبه **دكتور سيد** إمام (منظر الجهاديين في العالم) قبل القبض عليه بيوم واحد في اليمن يوم الخميس ١١ أكتوبر٢٠٠١م، هو عبارة عن مسودة لبحث كتبه لتلامذته ومريديه لكنه لم يكمله بسبب القبض عليه، وقد نشره تلامذته وأحباؤه بعد ذلك في ٣١ مارس ٢٠٠٤م على عدد من المواقع الجهادية منها المرصد الإسلامى لياسر السرى، وموقع أوزبكستان الإسلامية وغيرهما.

ونحن إذ ننشر نص هذه الوثيقة الهامة لا نعنى بذلك أننا نوافق على ما جاء فيها، فآراؤنا شىء وما ننشره من أجل تنوير الرأى العام بما يجرى فعلاً على أرض الواقع شىء ثان، ودورنا في توثيق الأحداث شىء ثالث.

ومن ناحية أخرى فإن كشفنا عن حقائق فكر ودور سيد إمام قبل مراجعاته الأخيرة لا يهدف أيضاً إلا إلى بيان الحقائق دون أدنى تحيز مع أو ضد سيد إمام أو مراجعاته التى لا شك أن لها أهميتها السياسية والتاريخية.

ويبدأ البيان الذى تضمن هذه الوثيقة التاريخية على النحو التالى:

"هذا البيان كان مسودة **للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام عبد العزيز الشريف)** ولم يكتمل بسبب أسره في يوم الخميس ١١/ أكتوبر/ ٢٠٠١م وتم إيداعه سجن الأمن السياسي في ظروف سيئة للغاية وحرم من القراءة والكتابة بالعاصمة صنعاء حتى تم تسليمه للسلطات المصرية في تاريخ ٢٨/ فبراير / ٢٠٠٤م هو وخمسة من إخوانه

وقد أحببنا أن يخرج هذا النور لتستضيء به أمة محمد صلى الله عليه وسلم في حربها ضد هبل العصر (أمريكا) وأعوانها من الحكام المرتدين،

ويوجد نهاية البيان تعريف مختصر بالشيخ **عبد القادر بن عبد العزيز**، وإليكم نص البيان:"

إلى هنا تنتهى مقدمة هذه الوثيقة ثم يتبعها نص الوثيقة.

وفيما يلى نعرض للوثيقة باختصار بسيط :

يقول سيد إمام في وثيقته:

قد اهتز العالم إثر التفجيرات المدمرة التي أوقعت آلاف القتلى بأمريكا يوم الثلاثاء ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ، وأصابت أمريكا بالإهانة والإذلال ومرغت سمعتها في التراب ، وأراد الأمريكيون غسل العار ، فلم يمض شهر على ذلك إلا وقد صبت أمريكا انتقامها على أفغانستان وذلك يوم الأحد ٧ أكتوبر ٢٠٠١م، متهمة إياها بإيواء المسؤولين عن هذه الهجمات، وقد طيّرت وسائل الإعلام المختلفة تصريحات كثيرة لرجال السياسية والدين والإعلام والعامة حول هذه الأحداث فيها كثير من المغالطات الشرعية، بل الضلالات والكفر المبين، التي أخشى أن تصير ديناً مقبولاً لدى الناس إذا سُكِتَ عنها خاصة مع شيوع الجهل بالدين والركون إلى التقليد، فلزم التنبيه عليها قياماً بما أوجبه الله تعالى على كل من أوتي من علم الدين شيئاً قال تعالى (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم)، وعلى هذا كان الصحابة يبايعون النبي صلى الله عليه وسلم أن يقولوا الحق ولا يخافون في الله لومة لائم.

وإنما جرى تبديل الديانات السابقة باختراع البدع والضلالات وسكوت الباقين عن إنكار المنكر، فصارت تلك الضلالات هي الدين المبدل المتبع إلى يومنا هذا عند اليهود والنصارى، حتى أنه عند بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على ظهر الأرض ممن يعرف الدين الحق إلا أفراد معدودون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب)، ولكن هذا التبديل والتحريف لا ينتهي إليه دين الإسلام أبداً، نعم قد ظهرت البدع والضلالات

على مر قرون أمة الإسلام ولكن الله تعالى قيض من يرد عليها ويكشف زيفها ويظهر الحق ليبقى الدين الصحيح قائماً ميسوراً لمن يطلب الحق، لتبقى حجة الله قائمة على خلقه إلى يوم القيامة إذ لا نبي بعد نبينا صلى الله عليه وسلم، وقد قال تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وأدعو الله جل شأنه أن يجعلنا من القائمين ببيان شيء من الحق في هذا المقام، إنه ولي ذلك.

فأقول وبالله التوفيق من الضلالات التي شاعت في الفترة السابقة:

أولاً : الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر:

وذلك لقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) فإرهاب الأعداء الكفار واجب شرعي بنص هذه الآية ومن أنكر ذلك فقد كفر لقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون)، فمن قال إن الإسلام بريء من الإرهاب أو أراد التفريق بينهما فقد كفر، فالإرهاب من الإسلام، وبهذا تعلم أن الذين يقولون إنهم يريدون أن يحاربوا الإرهاب إنما هم يريدون محاربة الإسلام على الحقيقة، وأن مكافحة الإرهاب تعني مكافحة الإسلام، وإنما هم يلبسون الحقائق على الجهلة.

ثانياً : أمريكا دولة كافرة عدوة لله ولرسوله وللمؤمنين :

قال تعالى (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ...إلى قوله .. لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وقال تعالى(قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرّم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون) وكُفر اليهود والنصارى - وهم أهل الكتاب - من المعلوم بالدين بالضرورة كما ذكره ابن تيمية وغيره، ومن أنكر ذلك فقد كفر.

وقال تعالى (إن الكافرين كانوا لكم عدواً مبيناً) وما دامت أمريكا كافرة عدوة فإرهابها واجب، فكيف وقد جمعت مع الكفر محاربة المسلمين

وإيذائهم والتضييق عليهم ونهب ثروات بلادهم ومساعدة كل من يحارب المسلمين من اليهود والحكام الكفرة وغيرهم.

إن أمريكا اليوم هي بلطجي العالم، وهي أشبه شيء بقوم عاد الذين وصفهم الله بقوله (وأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا، أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة)، إن أمريكا تتدخل في شؤون شتى دول العالم بمختلف الذرائع، مرة بدواعي حفظ السلام أو مكافحة الإرهاب أو بدوافع إنسانية، وهي دواعي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب، أي إنسانية عند هذه الدولة المجرمة التي أصلها مجموعة من القراصنة والمغامرين الأوربيين الذين هاجروا إلى تلك القارة وأبادوا سكانها الأصليين من الهنود الحمر ثم جلبوا العبيد من أفريقيا ليزرعوا لهم تلك القارة حتى استرقوا نصف سكان أفريقيا، فلما قضوا حاجتهم من هؤلاء العبيد أعادوا معظمهم إلى دولة ليبيريا التي أنشأوها حتى لا يشاركهم العبيد خيرات أمريكا، أية إنسانية عند هذه الدولة المجرمة التي كانت وما زالت أول وآخر دولة تستخدم الأسلحة الذرية في الحرب إلى يومنا هذا في هيروشيما ونجازاكي؟ أي إنسانية عند هذه الدولة المجرمة التي تعهد رئيسها الأسبق نيكسون بأن يعيد فيتنام إلى العصر الحجري؟ وهل كانت أمريكا إنسانية عندما استخدمت قنابل اليورانيوم المشع ضد العراقيين حتى أصيب أطفالهم بالتشوهات الخلقية العجيبة وارتفعت نسبة الإصابة بالسرطانات بين العراقيين؟

أية إنسانية عند هذه الدولة المجرمة التي هي الداعم الأساسي لليهود الذين يدمرون فلسطين وأهلها ويعيثون في الأرض فساداً؟

وأية إنسانية عند هذه الدولة المجرمة التي تخطف المسلمين المجاهدين من شتى بلدان العالم وتسلمهم لبلادهم حيث يتم قتلهم أو سجنهم؟

ثالثاً : خطأ القول بأن المدنيين أبرياء:

تقسيم الناس إلى مدني وعسكري تقسيم حديث مخترع ليس له أصل في شريعة المسلمين، وأما التقسيم الشرعي فهو تقسيم الناس إلى :

• المقاتلة : وهم الرجال البالغون خمسة عشر عاماً فما فوق، هؤلاء مقاتلون شرعاً وإن لم يباشروا القتال فعلاً.

• وغير المقاتلة : وهم الأطفال دون البلوغ والنساء والشيوخ الطاعنون في السن والمرضى أمراضاً مزمنة تقعدهم عن القتال من الرجال البالغين كالأعمى والأعرج والأصم ونحوهم، وكل من قاتل من هؤلاء بقوله أو بفعله فهو من المقاتلة.

وبهذا تعلم أن النساء في أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ونحوها من البلدان يعتبرن مقاتلات لأنهن يجرى تجنيدهن بجيوش هذه البلدان، ومن لم تكن بالخدمة العسكرية فهي من الاحتياط.

وهذا الذي ذكرته من أن غير المقاتلين إذا قاتلوا قُتلوا لا خلاف عليه بين الفقهاء. فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء، بل معظم الرجال والنساء منهم مقاتلة شرعاً، فكيف وقد أظهرت استطلاعات الرأي العام بعد تلك التفجيرات تأييد أغلبية الشعب الأمريكي لرئيسهم الصليبي جورج بوش الابن للقيام بعمليات انتقامية ضد أفغانستان؟ ولم يقتصر الأمر على الشعب الأمريكي بل تعداه إلى غيره من الشعوب الصليبية في كندا وبريطانيا وغيرهما.

أما الأبرياء فعلاً فهُم الأطفال منهم ومن خالطهم من المسلمين لغرض شرعي مباح من تجارة أو نحوها، فهؤلاء لا إثم في قتلهم وأمرهم يوم القيامة إلى علام الغيوب، ودليل ذلك بالنسبة إلى الأطفال فهو حديث الصعب ابن جثامة الذي رواه البخاري ومعناه أن حكمهم كحكم أوليائهم في الكفر، وأنه لا إثم في قتلهم إذا تعذر التمييز بينهم، وتفرع عن ذلك مسألة التترس، وجواز قتل الترس الكافر غير المقاتل إذا احتمى به الكافر المقاتل، وهو ما يسمونه في زماننا بالدروع البشرية.

وأما المسلم الذي يُقتل بين الكفار وهو معذور، فيبعثه الله على قدر عمله يوم القيامة، دلّ على ذلك حديث ابن عمر المتفق عليه (إذا أنزل الله بقوم عذاباً أصاب العذاب من كان فيهم ثم بُعثوا على أعمالهم) ولابن تيمية كلام

مفصل بفتوى التتار بالمجلد ٢٨ من مجموع فتاويه، وخلاصة المسألة أن اختلاط من لا يستحق القتل بمن يستحق القتل لا يمنع من قتل الجميع عند تعذر التمييز بينهم.

إذن، فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء، وماذا عن الأبرياء الذين دُفنوا بالآلاف في البوسنة؟، وماذا عن الأبرياء في العراق وفلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها؟! والإحصائيات تدل على أن أكثر من نصف اللاجئين في العالم اليوم هم من المسلمين، أم أن الدم المسلم رخيص والدم الكافر غالي؟! أم أن القتل والحزن قد كتب على المسلمين وحدهم؟

رابعاً : تحريم الحزن على ما وقع للأمريكيين وتحريم مواساتهم :

ما أن أنزل الله عذابه بالأمريكيين في هذه التفجيرات حتى سارع حكام دول العالم وقادة المنظمات وقادة بعض الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين والمنظمات الإسلامية بدول أمريكا وكندا وأوروبا إلى إعلان استنكارهم لذلك والتعبير عن حزنهم وأسفهم ومواساتهم للشعب الأمريكي، وهذا لا يجوز في دين المسلمين.

ودليله قول الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم (فلا تأس على القوم الكافرين)، ولما أنزل الله عذابه بأهل مدين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين قال نبيهم شعيب عليه السلام (فكيف آسى على قوم كافرين)، فهذا دين الأنبياء تحريم الأسف والحزن على ما ينزل بالكافرين من العذاب والمصائب والكوارث والزلازل ونحوها.

وكذلك فقد قال تعالى (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) فبين الله أن ما ينزل بالكفار من العذاب والخزي يشف صدور المؤمنين، فمن كان بعكس ذلك فتأسف على ما يقع بالكفار من العذاب فليس هو بمؤمن.

وليس هذا خاصاً بأمريكا بل كل من أعان الكفار (كمن أعان الحكام المرتدين) على محاربة المسلمين فهو كافر.

ودليله قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم - إلى قوله - يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه)، فبين سبحانه أن من يتولى الكافرين فإنه منهم أي كافر مثلهم، والنصرة موالاة، فكل من نصر الكفار على كفرهم أو على المسلمين فهو كافر، ويترتب على هذا كفر الحكام الذين يزعمون أنهم مسلمون، كحكام باكستان ودول الخليج وغيرها، وهي كلها دول كافرة من قبل لأنها تحكم بغير ما أنزل الله، وأما الدول الكافرة الأصلية فكفرها ظاهر، ولكنها ازدادات كفراً بمحاربة المسلمين.

وقد أجادت الدول الكافرة جرّ الذين يدّعون الإسلام إلى التحالف معها لضرب المسلمين بدعاوى مختلقة .

فمنذ نحو قرن من الزمان قاد الإنجليز العرب بزعامة الشريف حسين شريف مكة وأولاده إلى حرب العثمانيين بالشام تحت اسم الثورة العربية الكبرى، وهي الخيانة العربية الكبرى حتى استولوا على بلاد الشام في ١٩١٦ـ ١٩١٨م.

فما أضاع فلسطين إلا الخيانة العربية الكبرى التي كانت وما تزال قائمة مستمرة، وفي نفس ذلك الوقت أخذ الإنجليز العراق من الأتراك بجيش قوامه من مسلمي الهند دخلوه من جهة الخليج، وخاف مسلمو الهند وقتها من حرمة قتال العثمانيين حتى أفتاهم الشريف حسين وبطانته بجواز ذلك.

فما أخذ الإنجليز بلاد المسلمين إلا بالمسلمين.

وما دخلت فرنسا سوريا ولبنان عام ١٩٢٠م حسب اتفاقية (سايكس بيكو) إلا بجيش من مسلمي تونس والجزائر، وما حاربت فرنسا الجزائريين في حرب التحرير (١٩٥٤ـ١٩٦٢م) التي سقط فيها مليون شهيد ما حاربتهم

إلا بواسطة أعوانها من الجزائريين الذين يُطلق عليهم (الحركيون) وكان عددهم ربع مليون شخص.

وما دخل الأمريكان النصارى وتمكنوا من جزيرة العرب إلا بواسطة خائن الحرمين الشريفين وبفتاوى بطانته من علماء السوء الذين سموا جيوش النصارى الكافرة بالقوات الصديقة مخالفة للتوصيف الشرعي الصحيح تلبيساً على العامة والدهماء.

وما حاربت أمريكا العراق ودمرته إلا بجيوش مصر وسورية الذين يزعمون الإسلام، وما زالت أمريكا تضرب العراق بطائرتها التي تنطلق من الدول التي يسمونها إسلامية كالكويت والسعودية وتركيا.

وقديماً ما تمكن الصليبيون من ساحل الشام في الحروب الصليبية الأولى إلا بخيانة أمراء مدن الشام وتحالفهم مع النصارى، وما سقطت الأندلس في أيدي النصارى إلا بخيانة ملوك الطوائف وتحالفهم معهم.

وفي كل مرة يربح الكفار ويخسر المسلمون.

أما دول الخليج فتساعد أمريكا مساعدة العبد التابع للسيد، فأمريكا هي المسؤولة عن حماية عروشهم، فقد عاش حكام هذه الدول ملوكاً على شعوبهم عبيداً لأسيادهم الإنجليز بالأمس والأمريكان اليوم، وكان يجري تقرير مصيرهم بواسطة نائب ملك الإنجليز بالهند منذ قرن، واليوم في واشنطن .

والخلاصة أن كل من تحالف مع الكفار ـ كأمريكا وغيرها ـ لمحاربة المسلمين فهو كافر.

سادساً : خطأ تسمية الدول الغربية بالعالم المتحضر:

تسمى أمريكا والدول الأوروبية أنفسها بالعالم المتحضر، وغرّهم في ذلك تقدمهم في العلوم الدنيوية والتكنولوجيا، وقد اغتر بذلك الكفار في كل زمان كما قال تعالى (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة

الذين من قبلهم، كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض، فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون).

والصحيح أن هذه الدول الكافرة هم أهل الضلال والظلمات كما قال تعالى (والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات).

فتسميتهم أنفسهم بالعالم المتحضر هو من باب قلب الأسماء وعكسها، كما قال تعالى (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه) في حين وصفهم الله تعالى بالمغضوب عليهم والضالين، فليس صحيحاً أنهم العالم المتحضر بل هم أهل الضلال والظلمات والنجاسات وهم أولياء الشيطان ومملكة إبليس.

سابعاً : الشرعية الدولية طاغوت معبود من دون الله:

شاع لفظ الشرعية الدولية وردده الكفار وتبعهم المسلمون خاصة منذ غزو العراق للكويت عام ١٩٩٠م، وفي هذا الوقت كان الاتحاد السوفيتي قد انهار وانفردت أمريكا بزعامة العالم، وأصبحت الشرعية الدولية هي إرادة أمريكا وقرارها في الحقيقة، ولكنها لا تصدره من البيت الأبيض بواشنطن بل من مجلس الأمن بالأمم المتحدة بنيويورك، ذلك المجلس الذي يجمع الخمسة الأنجاس الكبار، وإذا أرادت أمريكا توسيع الدائرة في أمر من الأمور جمعت له تحالفاً أوسع كما في التحالف الثلاثيني على ضرب العراق، وكما تحزب الأحزاب اليوم لضرب أفغانستان، حتى لا تظهر أمام العالم أنها منفردة بالقرار بل إنه قرار أجمعت عليه دول العالم أو أغلبها ومن هنا تسميه الشرعية الدولية.

وهذه الشرعية الدولية إنما تطبق على الضعفاء فقط فتضرب بها العراق وأفغانستان وتحاصر بها ليبيا والسودان، أما الأقوياء والمقربون كإسرائيل فلا تطبق عليها قرارات الشرعية الدولية.

ولا يجوز لمسلم فرداً كان أو دولة أن يقر بهذه الشرعية أو يطالب بتطبيقها أو احترامها، إذ أن هذا كله كفر أكبر مُخرج من ملة الإسلام، فكيف وهذا الكلام يردده بعض المشايخ ويقلدهم العامة فيه متابعة لملوكهم أو رؤسائهم؟.

وبيان ذلك أن الشرعية الدولية هي في حقيقتها أحكام يضعها أناس كفرة بأهوائهم غير متقيدين في ذلك بشريعة الإسلام، ويفرضونها على العالم فهي بذلك طاغوت يحكم ويتحاكم إليه من دون الله، كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به) فهذا نص في أن كل ما يتحاكم إليه مما يخالف شرع الله فهو طاغوت، ومن تحاكم إليه فقد عبده وآمن به، ألا ترى إلى قوله تعالى (وقد أمروا أن يكفروا به) بما يعني أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به يناقض الكفر به، وكذلك فإن كل من تحاكم إلى شيء فقد عبده، ألا ترى إلى قوله تعالى (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) فبين أن إفراد الله بالحكم والتحاكم من عبادته المأمور بها، فلا يصح إسلام المرء إلا بالكفر بالطاغوت كما قال تعالى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

ويدخل في طاغوت الحكم : الشرعية الدولية المزعومة، والقوانين الوضعية، والدساتير الوضعية، وكل من وضعها أو حكم بها، فكل من تحاكم إلى هذه أو رضيها فهو كافر.

وكل من قاتل في سبيل الشرعية الدولية فهو كافر لقوله تعالى (والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت).

ثامناً: القوانين الوضعية دين جديد، من شرعها أو عمل بها فقد كفر:

الدين ـ في أحد معانيه ـ هو نظام حياة الناس وشرعهم حقاً كان أو باطلاً، ويدل عليه قوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) الى آخر السورة، فسمي ما هم عليه من الكفر ديناً، ويدل عليه أيضاً قوله تعالى (ومن يبتغِ غير

الإسلام ديناً فلن يقبل منه)، فبين أن غير الإسلام يُسمى ديناً ولكنه غير مقبول.

ولما كانت القوانين الوضعية هي نظام حياة الناس وشرعهم في البلاد المحكومة بها فهي دينهم، وهم بذلك كافرون لاتباعهم غير الإسلام ديناً، وإن زعموا أنهم مستمسكون من الإسلام بشيء، فهم مثل كفار العرب في الجاهلية كانوا مستمسكين من دين إبراهيم عليه السلام بشيء إذ كانوا يحجون البيت، وهؤلاء وأولئك من الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون)، يعبدون الله بالصلاة والصيام ويعبدون جستنيان ونابليون في الحكم والتشريع، وهم كفار بذلك: ويدل عليه قوله تعالى (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) فتحكيم القوانين إيمان بالطاغوت وعبادة له.

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى (ولا يشرك في حكمه أحداً)، وفيها نهى الله عن اتخاذ شريك له في الحكم، فمن تحاكم إلى غير شرعه فقد اتخذ شريكاً لله في الحكم.

ويدل عليه أيضاً قوله تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وهو نص صريح في كفر من ترك حكم الله وحكم بغيره كالحاكمين بالقوانين والدساتير الوضعية والشرعية الدولية، وقد نزلت هذه الآية في اليهود الذين يزعمون الإيمان ولكنهم لم يحكموا بما فرضه الله عليهم من الحق واخترعوا حكماً بديلاً عن ذلك، فحكم الله بكفرهم بذلك، ونص الآية من صيغ العموم يندرج تحته كل من فعل ذلك، والواقع اليوم ببلاد المسلمين هو نفس صورة سبب نزول هذه الآية: قوم يزعمون الإيمان والإسلام وتركوا أحكام الله وحكموا بشرع مخترع، فالذين يحكمون بغير ما أنزل الله اليوم هم كافرون قطعاً.

ولا تنخدع بمن يقول لك إنه كفر دون كفر أو كفر أصغر غير مخرج من الملة، فإن ما ينسب إلى ابن عباس رضي الله عنهما من ذلك إنما هو أثر ضعيف لكونه مما انفرد به هشام بن حجير، ولو صحّ ذلك عن ابن عباس

لكان مردوداً، لأنه عارضه غيره من الصحابة وقول الصحابة ليس بحجة إذا اختلفوا.

والكفر في الآية جاء معرفاً بال (الكافرون) فهو الكفر الأكبر، وكل هذه قواعد أصولية متفق عليها.

كما ولا تنخدع بمن يقول لك إن الكفر في هذه الآية هو الأكبر ولكنه في حق المستحل، فإن هذه من الأخطاء التي يتناقلها الناس في كتبهم بغير دليل وبغير تبصر، بل بمحض التقليد، فهذه من مقالات غلاة المرجئة تسربت إلى كتب الفقهاء، ويردها إجماع الصحابة على أن الذنوب المكفرة بذاتها يكفر فاعلها بمجرد فعلها بدون النظر في الجحد أو الاستحلال وذلك كترك الصلاة (كما نقله ابن القيم في كتابه [الصلاة])، أما الذنوب غير المكفرة بذاتها كشرب الخمر فلا يكفر فاعلها إلا إذا استحلها كما أجمع عليه الصحابة، والذنوب المكفرة بذاتها هي التي دل على كفر فاعلها النص الشرعي السالم من المعارضة ومنها الحكم بغير ما أنزل الله.

كما لا شك أن ما نحن فيه اليوم هو صريح الاستحلال، الذي هو النص على أن ما حرمه الله حلال وجائز، فهم يُجيزون الحكم بالقوانين الوضعية بل يوجبونه وهو محرم قطعاً.

وإذا كنت قد قلت إن القوانين الوضعية دين جديد فلا يعني هذا كفر جميع أهل البلاد المحكومة بها، بل الكافرون هم المشرعون لها والآمرون بالحكم بها والحاكمون بها ومن رضي بالتحاكم إليها.

ولا أعلم بلداً سلم من الحكم بالقوانين الوضعية لا السعودية ولا غيرها.

وخلاصة هذه المسألة أن تعلم أن البلاد التي تزعم أنها إسلامية وتريد أن تجرها أمريكا إلى التحالف لضرب أفغانستان دول غير إسلامية من قبل لحكمها بغير ما أنزل الله.

ويجب الخروج على حكامها وخلعهم ونصب حكام مسلمين فيها، فيجب على كل مسلم أن يسعى في ذلك، ومن قعد فعليه الوزر إلا أصحاب الأعذار الشرعية، ومن رضي بهم فهو منهم.

تاسعاً: الديمقراطية دين جديد ومن اتبعها أو دعا إليها فقد كفر:

اشتدت سطوة الملوك تؤيدهم الكنيسة على الشعوب في دول أوروبا في القرون الوسطى، فكفر الناس بالملوك وبالكنيسة وبرب الكنيسة حتى قال فيلسوفهم (اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس) وتخلص الناس من الكنيسة ودينها ، ووضعوا قوانينهم بأنفسهم حسب ما يروق لهم ويبدلون فيها وقت ما يشاءون."

إلى هنا انتهى عرضنا لمسودة آخر بحث كتبه **سيد إمام** ولم يتمه قبل القبض عليه كما هو متداول بين تلاميذه في سائر بقاع الأرض، وهو يعطى فكرة للقراء والباحثين عن فكر **سيد إمام** قبل مراجعاته الأخيرة التى دشنها في بحثه "وثيقة ترشيد العمل الجهادى في مصر والعالم"، ويلاحظ أننا لم نزد فيها أى شيء بما في ذلك العناوين الجانبية المرقمة من "أولاً" إلى "تاسعاً" فهى نص كلام **سيد إمام** كما وردنا.

عرض كتاب وثيقة ترشيد العمل الجهادى

لدكتور سيد إمام الشريف

كتاب "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" يمثل عصب مراجعات الجهاد التي أطلقها دكتور **سيد إمام الشريف** في صيف عام ٢٠٠٧م من سجن طرة بالقاهرة، لا سيما أن مؤلفه دكتور **سيد إمام الشريف** هو الشخصية الجهادية الأولى المتصدرة لهذه المبادرة في السجون المصرية، كما أن **سيد إمام** هو المنظر الأول للتيار الجهادى العالمى، كما أن معظم منظرى هذا التيار الحاليين كأمثال **أبى محمد المقدسى وأبى قتادة الفلسطينى** وغيرهما هم تلامذة له وحتى من لم يتتلمذ عليه شخصياً فإنه تتلمذ على كتبه خاصة كتابه "العمدة في إعداد العدة للجهاد في سبيل الله".

وهذا ملخص نسوقه في السطور التالية ليطلع القراء على مضمون هذا العمل ذى الأهمية السياسية البالغة:

في البداية يبدأ الكتاب بهذه العبارة: "نظراً إلى اتجاه كثير من الشباب هذه الأيام إلى الجهاد في سبيل الله وملاحظتنا لوقوعهم في بعض الأخطاء الشرعية فإننا كتبنا هذه النصيحة ترشيداً للعمل الجهادى وتنقية له من هذه الأخطاء".

ثم يستمر الكتاب الذى اختار عنوان "وثيقة ترشيد العمل الجهادى" اسماً له في سرد هذه الملاحظات على النحو التالى:

بند (١) بيان حقيقة دين الإسلام وإلزامه للبشرية كافة، وأن شريعته قد تضمنت كل ما يحتاجه الخلق لإصلاح دنياهم وآخرتهم إلى يوم القيامة.

بند (٢) بيان أن مناط التكليف بعد العقل هو العلم بوجوب الشيء والقدرة على فعله وأنه لا يجوز الإقدام على عمل إلا بعد معرفة حكمه الشرعي لقوله تعالى (ولا تقف ما ليس لك به علم) الإسراء ٣٦، خاصة في الجهاد الذي فيه إتلاف النفوس والأموال والتي الأصل فيها التحريم، فلا يجوز التكليف بما لا يطاق لقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) البقرة ٢٨٦، وما عجز المسلم عن فعله سقط عنه إثمه وقد يُحَصَّل أجره بالنية الصالحة .

بند (٣) في أن فاقد النفقة لا يجب عليه الجهاد وإن كان فرض عين، لأن الجهاد كان فرض عين في غزوة تبوك وعذر الله من تخلف عنها لعدم النفقة في قوله تعالى (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج) التوبة ٩١، وأخبر النبي (صلى الله عليه وسلم) - في الحديث المتفق عليه - أن الله قد كتب أجر هذه الغزوة لهؤلاء بصدق نيتهم. وأن فاقد النفقة يحرم عليه تحصيل المال بوسائل محرمة كالسطو على أموال المعصومين للاستعانة بها في الجهاد، فلا يجوز أن يفعل ما لا يحل لأداء ما لا يجب عليه لعجزه، وإن خالف في هذا فجهاده إن قام به مردود لأن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد قال (إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً) رواه مسلم .

بند (٤) لا يجوز الخروج إلى الجهاد إلا بأذن الوالدين وإذن الدائن، لأن بر الوالدين فرض عين ولهما حق في ابنهما فلا يخرج إلى الجهاد إلا بإذنهما، وقد صح الحديث في ذلك كما أن الشهادة لا يغفر الله بها للمجاهد ما عليه من ديون فلا يخرج إلا بإذن الدائن. وقد عمّت البلوى بذلك في هذا الزمان فنجد الوالدين لا يعلمان بذهاب ابنهما إلى الجهاد إلا بعد نشر صورته في الصحف قتيلاً أو أسيراً.

بند (٥) بيان أن الحفاظ على المسلمين من الهلاك من مقاصد الشريعة، ولهذا أجاز الله للمستضعف كتمان الإيمان والتخفي به، وأجاز الله سبحانه الهجرة، واعتبر سبحانه التكافؤ بين المسلمين وعدوهم في القوة ولم يوجب على المسلمين الثبات في القتال إذا زاد العدو على الضعف، كما أجاز الله سبحانه الصلح والهدنة مع الكفار على مال

وما دونه، كل هذا من أجل الحفاظ على المسلمين، بخلاف من يدفع بهم إلى المهالك.

بند (٦) في بيان عدم جواز الخروج على الحكام ببلدان المسلمين اليوم من أجل تطبيق الشريعة الإسلامية للعجز عن ذلك ولغلبة المفاسد على المصلحة، ولهذا الكلام توضيح بالتنبيه الثاني في آخر الوثيقة.

بند (٧) في تحريم إيذاء السياح القادمين إلى بلاد المسلمين، وإن كانوا مقطوعاً بكفرهم، فكيف وقد يكون فيهم مسلمون؟ وذكر لذلك ستة أسباب، ويجملها ما ذكره أبو عمر بن عبد البر في (الاستذكار) أن كل ما اعتبره الكافر أماناً إذا دخل إلينا فهو أمان عند عموم الفقهاء. وشرح الشافعي ذلك في (الأم) ج ٤ صـ ١٩٦ وقال ما حاصله إن الكافر لا يفرق بين من يجوز ممن لا يجوز أمانه منا. وعلى كل حال فإن الكافر إذا دخل إلينا بأمان فاسد فالواجب ليس قتله وإنما يجب إبلاغه مأمنه (أي إبعاده وترحيله إلى حيث يريد من المكان الذي يأمن فيه) كما قال تعالى (ثم أبلغه مأمنه) التوبة ٦.

بند (٨) النهي عن العمليات الحربية لمن دخل دار الحرب بأمان أهلها، فلا يحل له أن يخونهم في نفس أو عرض أو مال، باتفاق أهل العلم كما ذكره في كلامه عن «الغدر بالعدو» في أحداث ٢٠٠١/٩/١١، قال تعالى «يا أيها الذين أمنوا أوفوا بالعقود» المائدة١، وهذه واجبة مع المسلم والكافر، وقد قال النبي (صلى الله عليه وسلم) «إنا لا يصلح في ديننا الغدر».

بند (٩) النهي عن قتل المدنيين، لأن من عُلِمَ إسلامه منهم بظاهر حاله فحرمته مؤكدة لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه» رواه مسلم، ومن جهل حاله من الناس فلا يجوز التعرض إليه حتى في حال القتال إلا بعد تبين حقيقة حاله لقول الله تعالى «يأيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا» النساء ٩٤.

شرعي ليس بدعة، ومنه ما هو كفر أصلي أو كفر طارئ (ردة)، وأنه لا يحكم على مسلم بالكفر إذا عمل عملاً مكفراً إلا بعد النظر في عمله (قوله أو فعله) هل هو صريح أم محتمل، وكذلك النص المكفّر له هل هو صريح أم محتمل، ثم ينظر في الشروط والموانع في حق هذا المعيَّن بحسب قاعدة (يترتب الحكم على السبب إذا توافر الشرط وانتفى المانع). وبالتالي فهناك فارق بين التكفير المطلق (الحكم على السبب فقط) وبين التكفير المعيَّن (بعد النظر في الشروط والموانع) وأن مرجع هذا إلى القاضي المسلم، وأنه بعد ثبوت الردة فإن الاستتابة (أي عرض التوبة على المرتد) واجبة، وأنه لا يجب على آحاد الرعية إقامة شيء من الحدود إلا على عبيده ولا يجوز له ذلك في حق غيره من الأحرار وإلا صارت الأمور فوضى وقتل الناس بعضهم بعضاً بأدنى شبهة.

بند (١١) في عدم جواز التعرض للنصارى في بلادنا بأي أذى، مع بيان أنهم ليسوا أهل ذمة وإنما مواطنون، وأن الأصل معهم هو «المعاملة بالمثل»، وأن الإحسان إلى الجار من مسلم وغير مسلم واجب والإخلال به من الكبائر، وأنهم في جملتهم يجرى عليهم قول الله تعالى «لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم، إن الله يحب المقسطين» الممتحنة ٨، مع ذكر الوصية الخاصة من النبي (صلى الله عليه وسلم) بأقباط مصر لما لهم من الرحم والصهر.

بند (١٢) مسألة جهاد المنفرد المذكورة في قوله تعالى (فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك) النساء ٨٤، وبيان أن هذا لبيان جواز ذلك لا وجوبه ودليل ذلك أن الجواز مقيد بشروط من أهمها استئذان الأمير أو ولي الأمر إن وجد، ومنها ألا يضر غيره من المسلمين لقول النبي (صلى الله عليه وسلم) (ولا ضرر ولا ضرار) حديث حسن، ومنها ألا يرتكب ما نهى الله عنه من العدوان بقتل النفوس المعصومة من مسلم أو غير مسلم أو بإتلاف الأموال لقوله تعالى (ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) البقرة ١٩٠.

بند (١٣) نصيحة لعموم المسلمين، وفيها مسائل كثيرة كوجوب تعلم الدين وطلب الرزق الحلال والبعد عن المنكرات والمعاصي ونحو ذلك.

بند (١٤) نصيحة لولاة الأمور ببلاد المسلمين، وأهمها تطبيق الشريعة الإسلامية ففيها صلاح البلاد والعباد وفيها عز الدنيا والفلاح في الآخرة، ثم الاهتمام بتقليل الفساد والمظالم، ورفع مستوى التعليم الديني والعناية بأهله.

بند (١٥) وفيه البشارة ببقاء الإسلام وأهله وظهورهم إلى قرب قيام الساعة، وفيه أن الجهاد ماضٍ إلى قرب قيام الساعة، وأن الخلافة الإسلامية قادمة قبل ظهور المهدي رضي الله عنه وغير ذلك من المبشرات مع أدلتها.

وبعد البنود تأتي التنبيهات على النحو التالي :

التنبيه الأول: بشأن مؤلفات **سيد إمام** وأنها مجرد نقل علم إلى الناس لا فتاوى، وما فيها من أحكام فهي مطلقة لا تنزل على المعيّنين إلا من عالم مؤهل ولأن **سيد إمام** ليس عالماً مفتياً وأن أي شيء من مؤلفاته يخالف الدليل الشرعي الصحيح السالم من المعارض فهو راجع عنه.

التنبيه الثاني: في بيان الأسباب الشرعية والواقعية التي تبين عدم جواز الخروج على الحكام في مصر، فمن الشرعي عدم التكافؤ والعجز، ومن الواقعي عجز الحركات الشعبية عن تغيير النظام في مصر على مدى التاريخ و«العادة محكمة» وذكر عدة أمثلة.

التنبيه الثالث: في الرد على شبهة أن ما في هذه الوثيقة تخذيل للمجاهدين، وفيه أن تصحيح الأخطاء واجب وليس تخذيلاً، وإلا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد» متفق عليه، فهل كان النبي مخذلاً ؟ صلى الله عليه وسلم.

التنبيه الرابع: في الرد على شبهة «لا ولاية لأسير»

الظواهري يرد على مراجعات الجهاد المصري

..عرض كتاب "التبرئة"

أصدر **الظواهري** كتاباً بعنوان "التبرئة.. تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف" يرد فيه على كتاب "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" دكتور **سيد إمام**، ذلك الكتاب الذي يعتبر المرجع الأول لمراجعات تنظيم الجهاد المصري الفكرية.

يبدأ **أيمن الظواهري** كتابه بطرح رؤيته السياسية بشأن دوافع وأهداف وثيقة **سيد إمام** وعلاقة ذلك بالأوضاع السياسية الدولية والإقليمية والمحلية الراهنة كل ذلك في ضوء رؤيته السياسية لهذا الواقع والتي تمثل رؤية منظمة القاعدة بقيادة بن لادن.

وفي البداية ينقض الوثيقة نقضاً عاماً حول عدم تضمنها أية آلية لمقاومة الحكام الجائرين ولو عبر المقاومة السلمية فيقول إن الوثيقة تدعو إلى عدم الاعتراض على الظلم، وعدم الانشغال بالهم العام ولا بأمور المسلمين. الوثيقة تحل مشكلة أسير اكتفى بما قدم، أو ندم عليه، ويريد أن ينصرف إلى النظر في شأنه الخاص، وهذا هو موقف كاتبها من قرابة أربعة عشر عاماً، ولكنها لا تحل مشكلة مجتمع ولا شعب ولا أمة.

وحول دوافع وأهداف الوثيقة يرى أنها "خرجت في محاولة يائسة للتصدي للموجة العاتية من الصحوة الجهادية التي تهز كيان العالم الإسلامي هزاً بفضل الله، وتنذر أعداءه الصليبيين واليهود بما يكرهون وما يحذرون.

وواضح أن الهدف من الرسالة هو كف جهاد المسلمين ومقاومتهم للصليبيين واليهود وأجهزة الحكم العميلة في بلادنا، سواء باليد أو اللسان

أو حتى الاحتجاج السلمي كالتظاهر والإضراب والاعتصام والمؤتمرات والاجتماعات.

وذلك في وقت قررت أمريكا فيه أن تنصرف عن خطها السابق بالسماح الجزئي ببعض من الحرية لتيار المعارضة عبر الانتخابات، فواجهته بالمنع والتقييد كما حدث في انتخابات مجلس الشورى في مصر والمغرب والأردن، وكما حدث مع حكومة حماس من حصار، ومن اعتبارهم إياها حكومة غير شرعية، في هذا الوقت تظهر هذه المراجعات لتشجع بها أمريكا تياراً أكثر تماوتاً وانهزاماً من تيار المعارضة عبر الانتخابات".

ثم عن علاقة ذلك بالأوضاع المحلية والإقليمية والدولية يقول "المجاهدون هم الذين أفشلوا المخطط الأمريكي في المنطقة، وهم أيضاً من تنتقدهم تلك التراجعات.

وأمريكا تعرف خطورة التيار الجهادي والقاعدة عليها وعلى مستقبلها ومكانتها في العالم، فالقاعدة لا تطالب فقط بطرد المحتلين الصليبيين واليهود من بلاد المسلمين، بل تطالب أيضاً بأن يباع البترول بسعره الحقيقي، بكل ما تمثله هذه الدعوة من آثار مدمرة على السيطرة الأمريكية على العالم، التي انبنت بدرجة كبيرة على سرقتها لثروات المسلمين".

ويحصر **أيمن الظواهري** المستفيدين من هذه الوثيقة في "أمريكا"، ويدعو القارئ إلى البحث عما سماه "العامل الأمريكي في التراجعات".

ثم يحاول أن يقنع القارئ بأن الوثيقة هي لصالح حكام العالم الإسلامي وليس لصالح شعوب الأمة الإسلامية ضارباً المثل بمصر فيقول "أسأل الذين رحبوا بها واعتبروها في صالح مصر والعالم الإسلامي:

لو أخذنا مصر كنموذج لدول العالم العربي والإسلامي، فهل هناك أمل في التغيير السلمي في مصر؟ بل هل هناك أمل في مجرد التظاهر السلمي في مصر؟ والحكومة تعد قانوناً لتمريره في مجلس الشعب بمنع التظاهر في دور العبادة، وتقصد به منع التظاهر في الأزهر، وهو المكان الذي كان المصريون يحتجون فيه على الظلم لمئات السنين.

هل الوضع في مصر يتحسن أم يتدهور؟ فلنتأمل السياسة الخارجية، والفساد والاقتصاد والزراعة، وموقع ليس الشريعة والدين بل الأخلاق المتعارف عليها في الإعلام والسلوك العام، وحقوق الإنسان والفقر والمرض والتعليم. إلى أين تسير مصر؟ إلى قيادة وريادة العالم العربي والإسلامي أم إلى التبعية والدونية، وهل يدافع حاكمها عن حقوقها؟ أم أن جل ما يقدمه هو القيام بدور السمسار لأمريكا، أو النمام الذي يرفع لها التقارير عن غيره من الحكام".

ولا ينسى **الظواهري** أن يقدح في المواقف الشخصية **لسيد إمام** فيقول "أما كاتب هذه الوثيقة فقد أعلن عن تراجعه في كتابه (الجامع) منذ عام ١٩٩٤، وانصرف إلى حياته الخاصة باسمه الحقيقي في اليمن في تعايش غريب مع أجهزة أمنها، ثم بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ اعتقلته السلطات اليمنية بأوامر أمريكية، ورحل إلى مصر، وتصور الأمريكان أنه قد يكون مفيداً في حملتهم الصليبية الجديدة".

كما لا ينسى أن يقدح في مواقفه الفقهية الشخصية بقوله "ومثلاً يعتبر الكاتب أن كل من دخل البرلمان أو أدلى بصوته في الانتخابات كافر، ولا يشفع له حسن نيته في أنه أراد بذلك نصرة الإسلام، فهل لا زال على هذا الرأي؟"

ويشير إلى تناقضات **سيد إمام** مع مواقفه الفقهية السابقة التي ذكرها في كتابه "الجامع في طلب العلم الشريف" مثل اعتباره "أن حكام بلاد المسلمين معظمهم مرتدون خارجون عن الشريعة، وأن أعوانهم كالشرطة والجيش والأمن والقضاة والصحافيين الرسميين والعلماء الرسميين كفار على التعيين، بل يعتبر أن من لم يكفرهم فرداً فرداً كافر، لأنه خالف إجماع الصحابة القطعي في زعمه. فكفر حتى إخوانه المجاهدين المقاتلين لتلك الحكومات، إذ لم يلتزموا برأيه فيها.

ثم يتساءل **الظواهري**: "فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟"

ويحاول إحراج **سيد إمام** بشأن موقفه السابق من الجماعة الإسلامية والمتلخص في اعتبارهم "من غلاة المرجئة".

ثم يتساءل: "فهل لا زال الكاتب على هذا الرأي؟"

وقبل أن ينتقل إلى الرد التفصيلي على مفردات الوثيقة يخصص باباً لملاحظات عامة على مجمل الوثيقة ومنهجها فيوردها على النحو التالي:

الملاحظة الأولى: مخالفة عنوان الوثيقة لموضوعها، لكي يخفف من وقع العنوان على السامع، وكان عليه لكي يكون العنوان صادقاً ومعبراً عن موضوع الوثيقة أن يسميه إلغاء أو تعجيز أو إيقاف العمل الجهادي.
الملاحظة الثانية: الرسالة قفزت مباشرة إلى ما تزعمه من أخطاء في العمل الجهادي، دون أن تشرح الواقع الذي انطلق العمل الجهادي إلى تغييره.

ولهذا فإن منهج الرسالة غير متكامل ومبتسر.

الملاحظة الثالثة: أن الرسالة تركت الأهم، فتركت جرائم الصليبيين وعملائهم، وتركت تحريض الأمة على قتالهم والتصدي لهم، وانشغلت بما تزعمه أخطاء المجاهدين.

الملاحظة الرابعة: أنها تجاهلت وصف العلاج، فلم تقدم بديلاً معقولاً فالخيارات الستة التي قدمتها (١- الهجرة. ٢- العزلة. ٣- العفو. ٤- الإعراض. ٥- الصبر. ٦- كتمان الإيمان) - لا تقدم حلاً عملياً، فالحل الذي يطرحه الكاتب حل عاجز عن تغيير الواقع بل ويعسر تطبيقه، ثم في النهاية يبشر الكاتب الجميع باليأس من نجاح أي حل!

الملاحظة الخامسة: أنها ألقت باتهامات على المجاهدين دون دليل ولا برهان، ولم تذكر ما هي مصادرها فيما نسبته إلى المجاهدين، بل تجاهلت شهادات المجاهدين.

الملاحظة السادسة: أنها لم تلتزم المنهج العلمي ولا الأمانة العلمية في عرض الآراء الفقهية، ففي مسألة الأمان لم تنقل مثلاً قول الشوكاني، وفي التترس نقلت قول الغزالي وتركت قول الجمهور، وطبعاً كانت الطامة في عدم إسقاطه لشرط إذن الوالدين والدائن في الجهاد العيني.

الملاحظة السابعة: الرسالة غير متوازنة، ففي الوقت الذي ترمي المجاهدين بأخطاء دون دليل، تتغاضى تماماً وتتعامى عن الجرائم البشعة التي ارتكبها الصليبيون وعملاؤهم من الحكومات الخارجة عن الشريعة ضد الإسلام والمسلمين.

الملاحظة الثامنة: لم تلتزم الوثيقة بالأمانة في السرد التاريخي في سردها لعمليات جماعة الجهاد. وإنما قدمت الرواية الأمنية لما حدث.

الملاحظة التاسعة: الرسالة متناقضة، صاحبها يقول أنا لست عالماً ولا مفتياً، ولكنه ملأها بقوله إن هذا جائز وهذا غير جائز وهذا واجب وهذا حرام، وتقرير أحكام شرعية في نوازل عظيمة، قل أن يستقل بها أحدٌ من العلماء!

الملاحظة العاشرة: الرسالة امتلأت بالمسلمات غير المسلمة، التي انطلق منها الكاتب، ولم يكلف نفسه عبء إثباتها. مثل إن الصدام مع الحكومات أتى بضرر عظيم، ومثل إن حال الجماعات الإسلامية يدور بين العجز والاستضعاف.

الملاحظة الحادية عشرة: الكاتب تعمد إخفاء بعض الأحكام الشرعية والسكوت عنها، فعندما زعم عجز المسلمين والجماعات عن الجهاد. لم يذكر من البدائل التي يطرحها، الإعداد للجهاد، رغم أنه قد بينه في كتابه (العمدة)، وكذلك لم يذكر الصدع بالحق في وجه الظالم. مع أنها من واجبات الأنبياء وأتباعهم.

الملاحظة الثانية عشرة: أنه لا ينصف المستوى العلمي للمجاهدين فيصورهم كأنهم جهال.

الملاحظة الثالثة عشرة: أن الكاتب نزل في أسلوب كتابته إلى مستوى السب والشتم والتجريح الشخصي بالزور والافتراء.

الملاحظة الرابعة عشرة: يلاحظ من هذا الكتاب ومن كتاب (الجامع) من قبله أن الكاتب يعاني من تناقض شديد. وإن كان ذلك التناقض قد بدأ في كتاب الجامع، لكنه بلغ ذروته في هذه الوثيقة، فتجد الكاتب شديد الوطأة

على المجاهدين بينما تجده متسامحاً جداً مع المجرمين يدعو إلى التعامل معهم بالحسنى والصبر والعفو والتقية. وتجد الكاتب يحمل المجاهدين كل الأوزار ويعتبرهم سبب المصائب، بينما لا ينطق بكلمة عن أكابر المجرمين الذين يحيطون به.

الملاحظة الخامسة عشرة: وهي انفصال الكاتب عن الواقع، عندما يتكلم الكاتب عن المعاملة بالمثل مع الغرب. قال: "واليوم يوجد في بلاد الكفار الأصليين ملايين المسلمين يقيمون ويعملون بأمان". هل تناسى الكاتب ما يفعله الغرب بنا من قرون؟ من القوقاز حتى سبتة ومليلية.

أهذا عزلة عن الواقع؟ أم مكابرة في إثبات صحة الرأي؟ أم الأدهى؟ محاولة إرضاء آسريه بأية حجة، حتى ولو بدت متهافتة.

وفي الفصل التالي يعارض **الظواهري** آراء **سيد إمام** من خلال طرح آراء ورؤى التيار الجهادي في صورة أسئلة عن كل القضايا المثارة من قبل هذا التيار يواجه بها **سيد إمام** وذلك "لأن الكاتب أو الكاتبين لو كانوا حقاً مرشدين للمجاهدين، فلابد أن نناقش معهم واقع العالم الإسلامي بتفصيل، حتى نصل إلى نتيجة، أهو واقع واجب التغيير أم لا؟ وهل التغيير لابد أن يتم بالجهاد أم بطرق أخرى؟ وبالتالي نصل إلى ترشيد حقيقي للعمل الجهادي، وليس فقط ما ذكره الكاتب أو الكاتبون من رمي المجاهدين بالنقائص، والسكوت عن الجرائم العظمى التاريخية التي يمارسها الصليبيون وعملاؤهم ضد المسلمين.

ولذلك فإن لدي أسئلة في غاية الأهمية أطرحها على الكاتب، وأرى أن لزاماً عليه أن يجيب عنها إن كان يريد أن يرشد العمل الجهادي، فإن لم يجب الكاتب أو الكاتبون على تلك الأسئلة، فهم إما عاجزون بسبب الخوف والإكراه عن الإجابة، فكان أولى بهم ألا يتعرضوا إلى المجاهدين إذا كانوا غير قادرين على الحديث عن جرائم أكابر المجرمين، وإما أنهم يكتمون الحقائق، فأولئك نسأل الله أن يهديهم، وندعو الأمة إلى الحذر منهم" حسب تعبير الظواهري، وبعد ذلك يسترسل **الظواهري** في الأسئلة حول الحكم الشرعي لحكام المسلمين خاصة رئيس مصر وابنه ونيته توريثه الحكم وأجهزة حكام المسلمين الأمنية وأمريكا وإسرائيل وسفاراتهما ومكاتب

مخابراتهما وقواعدهما وتسهيلاتهما العسكرية في العالم الإسلامي وصواريخ حزب الله والقسام على إسرائيل والعمليات الاستشهادية هناك والجهاد في الشيشان وأفغانستان وكشمير والعراق إلى غير ذلك من القضايا المثارة على الساحة خاصة من قبل التيار الجهادي العالمي.

وفي الفصل التالي يرد **الظواهري** على رمي **سيد إمام** الجهاديين بالجهل فيورد أسماء عدد كبير من العلماء المعاصرين الذين أيدوا بفتواهم المعاصرة آراء التيار الجهادي أو جوانب منه أمثال **أحمد شاكر ومحمد ابن ابراهيم آل الشيخ وسيد قطب ومحمد خليل هراس وعبد الرزاق عفيفي وصلاح أبى اسماعيل وعبد الله عزام وأبى يوسف الموريتاني وحمود العقلا الشعيبي وعبد الله الرشود ويوسف العبيري وأبى عمر محمد بن عبد الله السيف** بالإضافة إلى عدد من كبار علماء أفغانستان وباكستان مثل **يونس خالص وجلال الدين حقاني** وغيرهما كما ذكر **سيد إمام** نفسه خاصة في كتابه العمدة وقال هذا دليل على أننا نتمسك بالحق وليس بالرجال كما ذكر **دكتور عمر عبد الرحمن** المحبوس في أمريكا **وأبا محمد المقدسي** وينقل عنه قوله " السجن بلاء: إما أن يُثمر أو يَكسر أو يُعكر" **وأبا قتادة** الفلسطيني المحبوس في بريطانيا **وناصر بن حمد الفهد** المحبوس في السعودية والعديد غيرهم الذين حرص **الظواهري** على ذكر نبذة عن حياة كل منهم ونقل مقتطفات طويلة من كلامهم في تأييد مواقف القاعدة من الناحية الشرعية.

ويختم هذا الفصل بالقول بأن الأسير لا تؤخذ شهادته إذا كان فيها نفع لآسريه لأنه في حالة إكراه، وأما عن استدلال **سيد إمام** بأن **ابن تيمية والسرخسي** وغيرهما كتبا في السجن ولم يقل أحد برد كلامهما فإن **الظواهري** يرد عليه بأن أحداً من هؤلاء لم يكتب شيئاً لصالح آسريه أصلاً.

وأما في الفصل التالي (وهوالرابع) فيرد على قول **سيد إمام** بسقوط الجهاد لعدم القدرة:

يقول **الظواهري** إن الذي يحدد القدرة من عدمها المجاهدون ذوو الخبرة وليس **سيد إمام** الذي اعترف بتركه الجهاد منذ أكثر من ١٥ عاماً.

ثم يطيل **الظواهري** في الرد على رأي **سيد إمام** في منع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب الضعف وخوف المفسدة ويذكر أقوال ومواقف كثيرة لعلماء السلف تؤيد الرأي القائل بوجوب ذلك خاصة تجاه الحكام الظالمين، ويلوم سيد على إهمال هذه الفريضة إزاء حاكم مصر وأعوانه، ويكرر كثيراً الإشارة إلى علاقة الحكومة المصرية بنظيرتها الأمريكية وما يصفه من تعاون عسكري وأمني بينهما ضد مصالح الأمة الإسلامية حسب وجهة نظره.

وفي هذا الفصل يؤكد **الظواهري** على التفريق بين جهاد الدفع وحضور الصف في عدم اشتراط عدم العذر وإذن الدائن والوالدين... إلخ وبين جهاد الطلب والاستنفار الذي يشترط فيه ذلك، كما يؤكد أن **سيد** خلط بين ذلك كله كي يجد لآرائه الخاطئة حجة.

كما ينتقد **الظواهري** إغفال سيد لفريضة الإعداد للجهاد في حالة عدم القدرة الحقيقية ويورد من الآيات وأقوال العلماء ما يؤيد رأيه.

وفي أثناء ذلك كله يدندن **الظواهري** من حين إلى آخر حول فكرة المؤامرة بشأن الوثيقة ومن ذلك قوله "سلطك الجلادون على ضحاياهم المعتقلين من سنين، بعد أن نكلوا بهم وعذبوهم واعتدوا على حرماتهم، فجاءوا بك لتوبخهم وتقرعهم، أنتم أخطأتم، أنتم انحرفتم أنتم ضللتم... ثم تبتسم في وجوه الجلادين، فيكافئونك بشيء من فتات الدنيا، حسبنا الله ونعم الوكيل".

ويأتي الفصل الخامس الذي يفرده الظواهري للتوسع في ذكر آراء علماء المذاهب الأربعة وأدلتهم في أن موانع الجهاد التي ساقها **سيد إمام** إنما تعتبر فقط عندما يكون الجهاد فرض كفاية أما عندما يكون فرض عين فلا اعتبار لهذه الموانع.

وفي الفصل السادس يرد **الظواهري** على شروط الجهاد والتغيير (خاصة في مصر) التي اشترطها سيد في وثيقة الترشيد وبعد أن يسرد النقول الشرعية التي يرد بها على هذه الآراء يقول "ولو اتبع المجاهدون في فلسطين مذهبه الفقهي المرضي عنه من قبل المباحث ومراكز مقاومة

الإرهاب الأمريكية، لألقوا سلاحهم من عقود، فهم محاصرون من الداخل والخارج، والطائرات والدبابات الأمريكية اليهودية تتصيدهم كل يوم.

وكذلك لو اتبع **صلاح الدين ومحمد علي وعبد الناصر** -الذين ذكرهم- شروطه ما انتصروا، ولكن كان لدى كل منهم حركة شعبية رافضة للوضع القائم بالإضافة إلى قوة أساسية في يده، لا تبلغ أبداً التكافؤ في العدد والعدة مع عدوه.

إن شروط الكاتب -بمنتهى الصراحة- ليست شروطاً للنصر، ولكنها شروط للنظر في خروجه من السجن.

ثم في كل هذه الأحوال -التي ذكرتها- كان هناك عنصر المغامرة واحتمال الخطر.

وهذا يذكرني بقول المتنبي في رثاء صديقه أبي شجاع فاتك:

لَولا المَشَقَّةُ سادَ الناسُ كُلُّهُمُ الجودُ يُفقِرُ وَالإِقدامُ قَتّالُ

والتعاطف الشعبي يحتاج إلى ثقة من الجماهير في الطليعة المجاهدة بأنها المخلصة لها من أعدائها، وذلك لن يتأتى إلا بأن تقدم الطليعة المجاهدة التضحيات بالإضافة إلى الانتصارات ضد أعداء الأمة، فحينئذ تثق الأمة بها، وأعداء الأمة اليوم هم أمريكا وإسرائيل، أما الحكام فلا تقتنع الأمة بعدائهم إلا إذا رأتهم يقتلون أبناءها دفاعاً عن أمريكا أو إسرائيل بالإضافة إلى فرنسا في المغرب العربي، وصاروا هم والعدوّ الخارجيّ شيئاً واحداً".

ويخصص **الظواهري** الفصل السابع للرد على صاحب الوثيقة بشأن تأشيرة الدخول ويؤكد **الظواهري** على رأيه بأنها ليست أماناً لا بالمفهوم الشرعي الإسلامي ولا بمفهوم القوانين والأعراف الغربية، ثم يقول إنها حتى لو كانت أماناً بالمفهوم الشرعي

"فإن الأمان ليس بعاصم لمن حرض على قتال المسلمين واعتدى عليهم وحارب الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم- وسب النبي صلى الله عليه وسلم"، ويورد أحاديث وأقوال علماء كثيرة ليدلل بها على ذلك.

وبعد ذلك ينتقل إلى الرد على مسألة حكم قتل الكفار الذين اختلط بهم من لا يحل قتله في الفصل الثامن وبعده الفصل التاسع ويتعرض فيه لأحكام القتال بما يعم تلفه والمسألتين متقاربتين وهي المسألة المشهورة بالتترس وهي التي يبرر بها الجهاديون مقتل مدنيين في أثناء هجماتهم على أهداف معادية لهم، وقد رد **الظواهري** على **سيد** هنا بأن **سيد** ذكر رأياً واحداً للعلماء بينما في المسألة ثلاثة آراء والرأيان اللذان تجاهلهما **سيد** هما رأي الأغلب حسبما ذكر **الظواهري**.

ثم يأتي الفصل العاشر وهو يؤصل فيه للمعاملة بالمثل مع الكفار وغيرهم وهو بذلك يوظف هذه الفصول الثلاثة ليقول:

وبعد ما استعرضناه بإيجاز من أدلة أفلا يجوز بطريق الأولى المماثلة في المعاملة واضطرار المسلمين إلى هذه الأساليب، لأنهم ليس لهم من وسائل أخرى يدفعون بها جرائم عدوهم. فلا يستطيع المسلمون في حالتهم الراهنة أن يواجهوا أمريكا وإسرائيل بحرب تقليدية بجيوش بها أساطيل وطائرات ومدرعات ومدفعيات، ولكنهم يستطيعون أن يكفوا شر كل تلك الأسلحة التي تسلط عليهم، بالعمليات الجهادية التي تستخدم الأساليب التي أباحتها الشريعة، وشرحناها في الفصلين الثامن والتاسع. وإذا كان الفقهاء قد قاسوا المدافع على المنجنيق الذي نصبه النبي -صلى الله عليه وسلم- على الطائف، وأجازوا استخدامه بلا مماثلة، أفلا يكون من الأولى أن نستخدمه من باب المماثلة، فنقصفهم كما يقصفوننا، ونفجر فيهم كما يفجرون فينا، وإن مات منهم بالتبع من لا يجوز قتله بالابتداء".

ثم يأتي الفصل الحادي عشر والذي لخص فيه الظواهري مقصده بقوله: "قبل أن أناقش الموانع الستة للتعرض للسياح أود أن أذكر القارئ بما ذكره الكاتب من قبل من المقومات الستة (١- دار الهجرة والنصرة أو القاعدة الآمنة. ٢- التكافؤ في العدد والعدة. ٣- تأمين النساء والعيال. ٤- توفير النفقة. ٥- الفئة التي يمكن التحيز لها. ٦- تميز الصفوف)، والمحظورات الستة (١- قتل معصومين بدعوى التترس. ٢- استحلال أموال بالسطو والخطف. ٣- الغدر ونقض العهد. ٤- العجز عن تأمين الذراري. ٥- العمالة والارتزاق من الخارج. ٦- الاضطرار إلى اللجوء

السياسي)، ثم هناك الخيارات الستة (١- الهجرة. ٢- العزلة. ٣- العفو. ٤- الإعراض. ٥- الصبر. ٦- كتمان الإيمان) ثم دروس التاريخ "فالحركات الشعبية ومنها الإسلامية لم تغير النظام في مصر على مدى التاريخ". فإذا خرجت من المقومات وقعت في المحظورات، وإذا نجوت من المحظورات تلقفتك الخيارات، وإذا أفلت من الخيارات منعتك الموانع، وإذا تخطيت الموانع فإلى هوة اليأس فلا أمل في التغيير، ثم لا تحدثني أيها القارئ الكريم بعد ذلك ليس عن الجهاد، بل عن أي عمل إسلامي أو شعبي. انتهى الأمر.

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

إذن ما المطلوب؟

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

حبكة مباحثية لا تترك لمن يريد الجهاد متنفساً. وكاتب الوثيقة بهذه الحبكة ليس مرشداً للعمل الجهادي بل هو خانق له، في خدمته عدد من حفاري القبور".

وفي الفصل الثاني عشر يفصل رده بشأن قتل وخطف أنواع من السياح الأجانب والذي قام به تنظيم القاعدة في عدد من الأماكن.

أما الفصل الثالث عشر يرد على مسألة العمليات في البلاد الغربية التي يقوم بها مسلموها فيقول: "هل من المروءة أن يرى المسلم إخوانه المسلمين يقتلون ويشردون ويعذبون وتسرق ثرواتهم، ويسلط على بلادهم الحكام الفاسدون، وهو يتودد إلى المجرمين المعتدين لأنهم اشتروا رضاه بفتات من الدنيا".

وفي الفصل الرابع عشر يتعرض لمسألتين وهما:

الأولى: الرد على سيد بشأن عدم جواز تطبيق الشريعة والحدود من قبل آحاد الرعية فيقول **الظواهري** إن هذا في ظل وجود إمام للمسلمين أما في انعدام خليفة للمسلمين فإنه يجب على المسلمين هذا التطبيق كما قال العلماء حسب تعبير **الظواهري**.

الثانية: تعرض فيها لمسألة علاقة الحركة الجهادية بالمسيحيين خاصة في مصر ووجه عدة رسائل بهذا الصدد.

أما الفصل الخامس عشر الذي يكاد يكون أطول الفصول ففيه يرد على زعم الوثيقة أن **أسامة بن لادن** نكث ببيعته **للملا محمد عمر**، ويأتي رده هذا في صورة تفصيلات كثيرة جداً عن النشاط الأمريكي المعادي **لبن لادن** شخصياً وكذا للإمارة الإسلامية في أفغانستان (طالبان) ليس قبل أحداث سبتمبر ٢٠٠١م فقط بل قبل إنشاء الجبهة الدولية لجهاد اليهود والصليبيين، كما يورد في ثنايا هذا تصريحات كثيرة من قادة طالبان بشأن حبهم وتمسكهم بمقاتلي القاعدة.

وفي الفصل التالي يذكر مقولة الوثيقة أنه مما يجوز شرعاً أن من التزم وتعهد بعدم الصدام مع السلطات الحاكمة وقواتها في بلده وجب عليه الوفاء بذلك، ولا ينبغي أن يعتبر تعهده من باب "الحرب خدعة"

ثم يرد عليها قائلاً: "هذا الكلام لا يلزم، لأن الأسير مكره، ولأن جهادهم فرض عين، أرأيت إن عاهدوه على ترك فرض عين كالصلاة أو الصيام؟"

وبينما اهتم الفصل التالي بأمر ثانوي فإن الفصل الذي يليه وهو الثامن عشر مهم جداً لأنه يتكلم تفصيلاً عن عمليات جماعة الجهاد المصرية وأبعادها المختلفة وما شابها من خطأ أو صواب وإنجازات وإخفاقات حسب رأي **الظواهري**.

وينهي **الظواهري** كتابه بالفصل التاسع عشر حيث يفجر مفاجأة غريبة بقوله: "ذكر كاتب الوثيقة قصة سيدنا عبد الله بن حذافة السهمي -رضي الله عنه- مع ملك الروم وأنه قبل رأسه، فأطلقه الملك بهذه القبلة مع ثمانين من أسرى المسلمين. فهل يريد كاتب الوثيقة من إيراده لهذه القصة أن يرسل رسالة ما؟ هل يريد أن يقول إني لا أعبر عن حقيقة ما في قلبي؟ وإن كل همي هو تخليص أكبر عدد من الأسرى، حتى وإن ظهر مني تعظيم لأكابر المجرمين واحترام لهم، وإرضاؤهم ببعض ما يريدون. وبالتالي فلا تأخذوا كل ما في وثيقتي على محمل الجد!

هل يمكن أن يكون هذا التفسير صحيحاً أم هو ضرب من الخيال المحض؟"

لكن **الظواهري** مع هذا يستمر في جدل إلى آخر الفصل ليثبت أن ما فعله السهمي مختلف عما فعله **سيد إمام**.

وفي الخاتمة يوجه **الظواهري** أربع رسائل، واحدة للأمة الإسلامية يقول فيها إن ما تقدمه (وثيقة الترشيد) هو الإسلام الذي تريده أمريكا والغرب، والأمة المسلمة التي تصورها تلك الوثيقة هي الأمة التي تريدها أمريكا والغرب ويرضون عنها، أمة عاجزة مستكينة خائفة هاربة منزوية منسحبة منشغلة بتحصيل الرزق ورعاية العيال، ولذلك اعتبر الوثيقة إهانة للأمة التي أنجبت **حسن البنا وسيد قطب وخالد الإسلامبولي وأحمد ياسين والرنتيسي وشامل باساييف** وغيرهم ممن ذكرهم كثير.

ورسالة لمباحث أمن الدولة يقول لهم إن هذه التمثيلية التي تسمونها وثيقة الترشيد إخراجها ضعيف.

والثالثة للمعتقلين الرافضين للوثيقة وسماهم الصامدين على الحق ويصبرهم ويبشرهم.

وأما الرسالة الرابعة فهي للمعتقلين الذين وافقوا على الوثيقة يحذرهم فيها من أنهم سيدفعون دفعاً إلى مزيد من التنازلات.

كتاب طارق الزمر "مراجعات لا تراجعات"

شارك **عبود الزمر وطارق الزمر** في مبادرة وقف العنف التى أطلقتها الجماعة الإسلامية بمصر عام ١٩٩٧م ومنذ ٢٠٠٢م وحتى الآن فإن أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية قد نشروا أكثر من عشرة كتب تشرح وتبرر هذه المبادرة، ومع ذلك فلم يظهر اسم عبود الزمر أو طارق الزمر على أى من هذه الكتب، لا سيما وأن مواقفهما قد تباعدت كثيراً عن موقف قادة الجماعة الإسلامية، ورغم التصريحات والمقالات العديدة التى صدرت عن كل من عبود وطارق إلا أن كتاب **دكتور طارق الزمر** "مراجعات لا تراجعات" هو أول محاولة متكاملة للإعلان عن الموقف المتكامل من هذه المبادرة، ومن هنا يأتي أحد أهم جوانب الأهمية لهذا الكتاب.

ولا يغض من قيمة هذه الأهمية تلك المبالغة التى بدأ بها **طارق** في مقدمة كتابه عندما أشار إلى أن المبادرة فتحت الباب لأكبر عملية نقد ذاتى في تاريخ الحركة الإسلامية بما في ذلك مناقشة أشياء كانت من المسلمات غير القابلة للنقاش، ونعتبر هذا الطرح مبالغة لأن الإخوان المسلمين قاموا بعمليات نقد ذاتى واسعة المجال وعميقة الأثر من عشرات السنين لكن في صمت وتؤدة.

....نعم لو كان يقصد الحركة الإسلامية الجهادية فقط فإنه يقترب من الحقيقة.

ومع ذلك فإن أبرز ما يلحظه القارئ لكتاب **دكتور طارق الزمر** "مراجعات لا تراجعات" هو التناقض منذ بداية الكتاب، فطارق منذ صفحات الكتاب الأولى يربط نفسه بمبادرة الجماعة الإسلامية لوقف العنف التى أطلقتها فى عام ١٩٩٧م وينسبها إلى نفسه مع آخرين لم يسمهم (طبعاً يقصد مجلس شورى الجماعة الإسلامية) ثم لا يدع مناسبة بعد ذلك فى سائر الكتاب إلا عبر فيها عن ذلك بل ويبنى كتابه أصلاً على فكرة شرح

وتبرير هذه المبادرة ومع ذلك نجد أن الموقف الذى يتخذه **طارق الزمر** بشأن ما سماه المراجعات هو موقف مختلف تماماً عن موقف الجماعة الإسلامية في مراجعاتها المشهورة.

فطارق ينطلق من كون هذه المراجعات مجرد مراجعات أى إعادة تقييم في ظل المتغيرات الدولية والاقليمية والمحلية والخبرات التاريخية للحركة الإسلامية وليست تراجعات عن ثوابت العمل الإسلامى وأهدافه العليا.

فالمراجعات عند **طارق الزمر** هي "تغيير فى الأساليب والوسائل التى ثبت عدم جدواها والتى تبين عدم ملاءمتها من خلال التجربة العملية" وذلك مع ثبات المواقف الشرعية من قضايا مثل وجوب الحكم بالشريعة بما يتضمنه ذلك من إقامة العدل والقضاء على الفساد المستشرى في جميع المجالات السياسية والإدارية والإقتصادية وغيرها، وبذا فالمراجعات عند طارق الزمر جديرة أن تسمى "تطوير وتجديد" حسب تعبيره.

ومن هنا يأتى التناقض الأكبر والأهم ليس في كتاب **طارق الزمر** فقط بل في مواقف طارق الزمر وأستاذه عبود الزمر بصفة عامة، فهما ربطا نفسيهما بالجماعة الإسلامية منذ سنوات طويلة رغم اختلاف مواقفهما السياسية والفقهية الأساسية مع الجماعة الإسلامية، ويتجلى هذا التناقض في أوضح صوره في موضوع المراجعات حيث نجد أن موقف الجماعة الإسلامية يؤيد الحكومة وواقعها تأييداً كاملاً بل ربما يؤيد جميع الحكومات في العالم بما في ذلك تأييد موقف الحكومات بعدم تطبيق الشريعة الإسلامية في الحكم، بينما ما زال **عبود الزمر وطارق الزمر** معارضين للحكومة ومتمسكين بثوابت العمل الإسلامى كما أعلنا في كل تصريحاتهما المنشورة ومنها كتاب "مراجعات لا تراجعات" **لطارق الزمر** الذى نتكلم عنه.

وبعد ذلك يعرض **طارق** في كتابه للأدلة الشرعية التى تؤيد تصوره للمراجعات، ونجد أن هذه الأدلة تتوافق مع بعض ما ساقه **د. سيد إمام** في وثيقة "ترشيد العمل الإسلامى" لكنه مجرد توافق أفكار لأن طارق الزمر لم ينقلها من الوثيقة لسبب بسيط هو أن **طارق** كتب هذا الكتاب عام ٢٠٠٦م أي قبل تأليف الوثيقة كما أن **سيد إمام** لم ينقل من **طارق الزمر**

لأن هذا الكتاب لم يجد فرصة النشر إلا في عام ٢٠٠٨م ولم يطلع عليه سيد إمام بل ربما لم يصله حتى بعد نشره بسبب ظروف السجن، وهذا يثبت أن للمراجعات بهذه الصورة أصلاً فقهياً في مراجع الفقه الأصلية استقى منها كلا الرجلين.

وبعد الاستدلال الفقهى على صحة وأهمية المراجعات يسوق **طارق** تحليله السياسي الذى يحتم ذلك من وجهة نظره والذى نجده يضعه تحت عنوان "تحولات فرضها الواقع الجديد" وأول ما يمكن ملاحظته في هذا الموضوع أنه ركز على متغيرات كلها دولية وإقليمية وهى الأحادية القطبية المتمثلة في "الانفراد الأمريكى بقيادة النظام الأمريكى" ثم "الحرب الدولية على الإرهاب والتطرف" ثم "العولمة" ثم "تطورات الصراع العربى الإسرائيلى" كل ذلك حسب نص كلامه.

ونلاحظ تداخلاً كبيراً بين العناصر الأربعة بسبب ترابطها في الفكر السياسى لدى طارق الزمر بل هو يكاد يدمج بين العنصرين الأولين بحيث يصعب على القارئ التفريق بينهما، وفي رأينا فإن هذا ناتج عن أحد الأفكار الشائعة في الفكر السياسى للحركات الإسلامية المعاصرة وهو أن العالم غير الإسلامي كله متحد في مواقفه كلها ضد المسلمين وقضاياهم.

ثم وهو بصدد اقتراح المحاور الاستراتيجية للعمل الإسلامي المعاصر نلاحظ التعميم والبعد عن تقديم برنامج تفصيلى مع ملاحظة أن التعميم رغم أهميته وتقديرنا له فهو سهل لا سيما أن سوق الأفكار العربية والإسلامية مليئة بهذا النمط من الأفكار أما تقديم برنامج عملى وتفصيلى فهو أحد أهم جوانب العجز لدى العديد من المفكرين الإسلاميين ومحاولة سد العجز في هذا المجال هو المجال الذى أحجم الكاتب عن اقتحامه.

وفي الفصل الثانى تحت عنوان "دراسة ظاهرة العولمة من خلال مفهوم الاستكبار... إشارات من سورة غافر" نلاحظ أن نظرة **د.طارق الزمر** تجاه العولمة نظرة سلبية خالصة سواء عندما أشار إليها في الفصل الأول أو عندما أصل للموقف الشرعى منها في هذا الفصل حيث لم يدع مجالاً للقارئ ليشعر أن في العولمة فرصاً بقدر ما فيها من مخاطر بل بالعكس هو يجعلها شراً خالصاً ويطابق بينها وبين أساليب المستكبرين عبر

التاريخ والذين ذمهم القرآن خاصة في سورة غافر وأبرز مثال على هؤلاء في التاريخ وفي هذه السورة أيضاً هو فرعون مع موسى (عليه السلام).

وهنا نلمح ملمحاً آخر من ملامح التناقض في الفكر السياسى عند د.طارق الزمر وهو أنه كان قد أشار في الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان "الاستجابات على مستوى التطبيق" لحتمية "الاستفادة من ثورة الاتصالات الكبرى في إطار تبليغ القول ومكافحة الإلحاد والفساد والرذيلة" حسب نص كلامه ولا يخفى على القارئ أن وسائل الاتصالات هذه هى إحدى أهم مكونات العولمة ليس فقط حسب الفهم العالمى السائد للعولمة ولكن أيضاً بحسب تعريف طارق الزمر نفسه للعولمة في كتابه هذا.

"في عام ١٩٧٥م ظهر فيلم (الأحد الأسود) حيث يقوم فيه إرهابيون عرب بالتآمر على قتل المتفرجين على مباراة لكرة القدم، ومن بينهم الرئيس الأمريكى، ولكن يحبط المؤامرة ضابط إسرائيلي، وفي عام ١٩٨٢م ظهر فيلم (الخطأ هو الصحيح) يقوم فيه ملك عربى بتسليم قنبلتين نوويتين لتفجيرهما في إسرائيل ونيويورك إذا لم يستقل الرئيس الأمريكى، وفي عام ١٩٨٥م و١٩٨٨م ظهر فيلم النسر الحديدى على جزأين وهو.... إلخ"

بهذه الطريقة السابقة لم يكتف طارق الزمر بإثبات رأيه بشأن الحملة الأمريكية على ما يسمى بالإرهاب عبر التحليل السياسى التقليدى والمعتاد في مثل هذه البحوث لكنه أضاف للتحليل السياسي التقليدي قائمة كبيرة من الأفلام الأمريكية التي تؤيد تحليله السياسى بكون هذه الحملة الأمريكية العالمية ضد الحركات الإسلامية ليست وليدة اليوم وليست بسبب أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م ولكنها اتجاه قديم موجود لدى الولايات المتحدة والغرب يهدف إلى القضاء على الإسلام أو على الأقل تطويعه ليصير ديناً يتبنى كل القيم والمعايير الغربية وتحديداً الأمريكية ليصير "إسلاماً أمريكياً" (حسب تعبير **طارق الزمر**) ينقاد ويذعن لكل ما هو أمريكى أو غربي، وذلك عبر سلسلة كبيرة من التصورات الاستراتيجية في مجالات الإعلام والتعليم والمجتمع والأمن والسياسة مع تغيير المفاهيم الإسلامية الأصيلة وإذكاء الصراعات الطائفية الإسلامية - الإسلامية وتحجيم دور

المسجد ونحو ذلك، وهذا كله هو موضوع الفصل الثالث الذى حمل عنوان "الحملة الأمريكية على ما سمى بالإرهاب والتطرف".

أما في الفصل الرابع فإن طارق الزمر يعود فيناقض نفسه بسبب الواقعية التى يحتمها الدخول الجدى في التفصيلات السياسية والاستراتيجية فنجده يخرج عن جموده السابق على العموميات التى تحافظ عليها معظم أدبيات الفكر الإسلامى المعاصر، فيدخل في تفصيلات عديدة وإن كانت محدودة، فيراهن على الاختلافات بين الحزبين الجمهورى والديمقراطى في أمريكا بل نلمح أحياناً أنه يراهن على الخلافات بين المحافظين أنفسهم ما بين المحافظين العاديين والمحافظين الجدد وذلك كله في إطار وضعه لتصوراته لإفشال المشروع الأمريكى في العالم الإسلامي، كما أنه يشير إلى أهمية التعامل مع الشعوب عبر الاهتمام بالرأى العام العالمى عامة والأمريكى خاصة، كما يدعو إلى مد الجسور مع القوى الدولية المناهضة أو المتضررة من الهيمنة الأمريكية، بل إن طارق الزمر فى هذا الفصل يخطو خطوات جريئة في التحليل السياسي البعيد عن الأكلشيهات المعتادة لدى كثير من الحركات الإسلامية في التحليل السياسي، فهو يطرح أهمية عدم قيام الجهاديين بعمليات مسلحة داخل الولايات المتحدة كى يتمكن الحزب الديمقراطى من التغلب على الحزب الجمهورى في الانتخابات الأمريكية لأن طارق يعتبر أن الديمقراطيين سيتخلون عن مشروع الهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامى الذى يكرسه ويدعو إليه بوش والمحافظون الجدد[1].

كما يطرح **طارق الزمر** طرحاً جريئاً آخر عندما يقلل من قدرة اللوبى الصهيونى في الولايات المتحدة على دفع الإدارة الأمريكية إلى الاستمرار في مشروع المحافظين الجدد، وهذا الطرح مخالف في جوهره لما هو سائد لدى أغلب الإسلاميين من اعتقادهم بأن اللوبى الصهيونى مسيطر تماماً على الإدارة الأمريكية سواء كانت جمهورية أو ديموقراطية.

وفي الفصل الخامس يقدم طارق الزمر من وجهة نظره تحليلاً شاملاً لكنه قصير جداً لخريطة القوى الدولية وأهدافها وسياساتها الدولية لا سيما ما

---

[1] صدر كتاب طارق الزمر قبل انتخاب أوباما رئيساً لأمريكا عن الحزب الديمقراطى.

وفي الفصل السادس يخطو **طارق الزمر** خطوات أخرى بعيداً عن فكره الجهادى القديم عندما يدعو إلى تبرير عمليات المقاومة الإسلامية في المناطق الإسلامية المحتلة بالقانون الدولى ومواثيق وقرارات الأمم المتحدة، كما يدعو في نفس الفصل إلى القبول بعملية حوار الحضارات لأنها في مصلحة المسلمين.

وعندما نصل إلى الفصل السابع والأخير نجد **طارق الزمر** يقدم تقريراً عن الأطوار التى مرت بها الحركة الإسلامية من وجهة نظره وهو جزء تقريرى في بدايته ولا يقدم جديداً ذا بال، لكنه يتبعه بتقييمه الخاص بشأن إخفاقات وإنجازات الحركة الإسلامية وهنا نلحظ الرجوع إلى التعميمات والإنشائية والتبرير التى تحمل في طياتها كثيراً من وجهات نظره التى سبق وساقها في الفصول السابقة كمهادنة الحكومة أو التعايش معها لتحقيق المصالح العليا للأمة ومواجهة المخططات الخارجية الأمريكية والصهيونية وإيجاد صيغة لتعاون الحركات الإسلامية وبناء استراتيجية جديدة ومناسبة للعمل الإسلامى.

وكما بدأ طارق الكتاب ملتصقاً بالجماعة الإسلامية ينهى الكتاب ملتصقاً ومشيداً بها.

لكن برغم كل التناقضات السابقة التى وقع فيها **طارق الزمر** في كتابه فهناك تناقضان بارزان وجوهريان وقع فيهما لابد أن يجد لهما طارق حلاً حقيقياً:

الأول: التهادن مع الحكومات والصراع مع العلمانيين: إذ حافظ طارق طوال الكتاب على تمسكه بفكرة التخلى عن الدخول في صراع مع الحكومات لأن الصراع معها ليس في مصلحة التصدى للتحدي الأمريكى والصهيونى، ومع ذلك هاجم بشدة العلمانيين ووصفهم بأبواق الاستعمار و... إلخ، والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو ما الفرق بين الحكومات العلمانية والمفكرين العلمانيين؟؟ أليس كلاهما علمانى؟؟ وأليس كلاهما

وثيق الصلة بالقوى الدولية الغربية، المفكرون وثيقو الصلة فكرياً، والحكومات وثيقو الصلة فكرياً وعضوياً؟؟

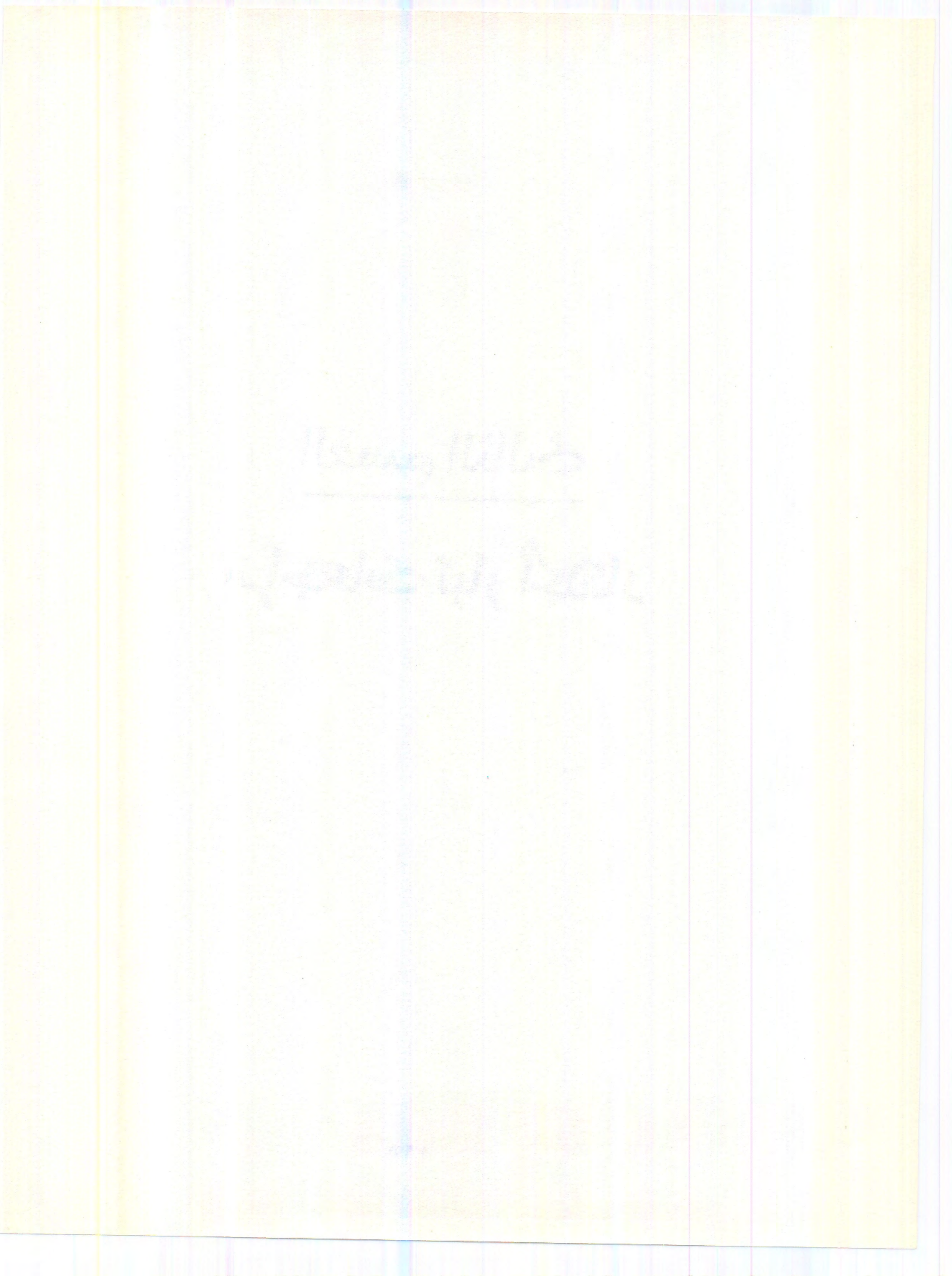
وإذا كان طارق بحث ودعا إلى إيجاد صيغة للتعايش مع الحكومات العلمانية لدوافع معينة فما المانع من بحث نفس الموضوع بشأن المفكرين العلمانيين بسبب نفس الدوافع؟؟

التناقض الثانى: الجهاد الخارجي مع الهدنة الداخلية ومع مطالبته بعدم القيام بعمليات في داخل أمريكا أو المدن الأوروبية، والسؤال هنا هو ما دام **طارق** قد رجح الصراع السلمى وسعى إلى التأثير في القرار الأمريكى والأوروبى عبر كسب الرأى العام هناك فلماذا يصر على الصدام المسلح في المناطق التى سماها مناطق الاحتكاك؟ وكيف سيوفق بين هذا وذاك؟؟؟

وعلى كل حال فرغم الاستثناءات العديدة التى ذكرناها **فدكتور طارق الزمر** بهذا الكتاب لا يختلف في مجمل أفكاره عن كثير من الاتجاهات السائدة في الفكر السياسي للحركات الإسلامية المعاصرة، لكنه ربما تميز بصيغة عرض مشوقة لتنوع حججه بين ما هو سياسى وتاريخى وما هو فنى وثقافى وما هو شرعى إسلامى، بالإضافة إلى خوضه في الجوانب السياسية التفصيلية في بعض فصول الكتاب وهو ما قد يميزه عن فريق المفكرين الإسلاميين المعروفين ويضمه إلى فريق الباحثين السياسيين الإسلاميين الذين يخوضون في تفصيلات الشؤون السياسية الإسلامية وهم قلة، وهو ما قد يعلن عن ميلاد مفكر إسلامي جديد، يتميز بتفكير منظم وأسلوب عرض جذاب مع تخصص واضح في الشؤون السياسية بغض النظر عن مساحات الاتفاق والخلاف بيننا وبينه.

القسم الثالث

مراجعات تيار الجهاد



المناظرة بين الظواهري وسيد إمام

كتب **سيد إمام** "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" في إطار العملية التي عرفت إعلامياً بمراجعات الجهاد، ورغم أهمية هذه الوثيقة البالغة من حيث تأثيرها المتوقع على التيار الجهادي في العالم كله ورغم أنها نشرت على نطاق واسع جداً فإن الكثير ممن قرأها وجد صعوبة في فهم الكثير من تفاصيلها الفقهية، كما أن آخرين ممن قرأوها وجدوا مللاً من كثرة التفاصيل وإن فهموها، وجاء نشر كتاب التبرئة الذي ألفه أيمن الظواهري للرد على وثيقة **سيد إمام** ووجد قراؤه نفس المشكلات في قراءته بل أكثر لأنه أطول ولأنه أغرق في تفصيلات فقهية متخصصة أكثر من الوثيقة، فضلاً عن عدم توفره لدى الكثيرين لأنه لم ينتشر بالقدر الكافي بسبب العقبات الأمنية، ونظراً إلى ذلك كله فقد قررنا تبسيط واختصار السجال الفكري بين **سيد إمام وأيمن الظواهري** في شكل مناظرة بحيث تقارع الحجة بالحجة بشكل مباشر ومتقابل ليسهل على القارئ متابعة هذا السجال الفكري الهام الذي سيترك بصمته على مستقبل تيار القاعدة والجهاد في العالم بأسره:

دوافع إصدار الوثيقة

يقول **سيد إمام**: لجأت بعض الجماعات الإسلامية إلى الصدام مع

السلطات الحاكمة في بلادها أو مع الدول العظمى ورعاياها

باسم الجهاد في سبيل الله تعالى من أجل رفعة شأن الإسلام.

وانتشرت الصدامات في العالم كله، وقد خالطت هذه الصدامات كثير من المخالفات الشرعية.

والموقعون على هذه الوثيقة إذ يعلنون رفضهم لهذه المخالفات الشرعية وما أدت إليه من مفاسد، فإنهم يذكرون أنفسهم وعموم المسلمين ببعض

الضوابط الشرعية المتصلة بفقه الجهاد، ويعلنون التزامهم بهذه الضوابط الواردة بهذه الوثيقة، ويدعون غيرهم من المسلمين إلى الالتزام بها وألا يقعوا فيما وقع فيه غيرهم من مخالفات شرعية عن جهل بالدين أو عن تعمد، فلا هم أقاموا الدين ولا أبقوا على الدنيا.

ونصوغ هذه الضوابط الشرعية لترشيد العمل الجهادي في بنود نعلن التزامنا بها وندعو عموم المسلمين خاصة الجماعات الجهادية في مختلف أنحاء العالم إلى الالتزام بها، وهذا كله مع إقرارنا بأن الإخوة المجاهدين في كل مكان هم في الجملة أصحاب قضية نبيلة وحملة رسالة سامية، وليس صحيحًا أنهم طلاب منافع دنيوية بل إن كثيرًا منهم يضحون بالنفس والنفيس من أجل إعزاز الإسلام والمسلمين.

ويرد عليه **أيمن الظواهري** قائلاً: واضح أن الهدف من هذه الوثيقة هو كف جهاد المسلمين ومقاومتهم للصليبيين واليهود وأجهزة الحكم العميلة في بلادنا، سواء باليد أو اللسان أو حتى الاحتجاج السلمي كالتظاهر والإضراب والاعتصام والمؤتمرات والاجتماعات.

وذلك في وقت قررت أمريكا فيه أن تنصرف عن خطها السابق بالسماح الجزئي ببعض من الحرية لتيار المعارضة عبر الانتخابات، فواجهته بالمنع والتقييد كما حدث في انتخابات مجلس الشورى في مصر والمغرب والأردن، وكما حدث مع حكومة حماس من حصار، واعتبارها حكومة غير شرعية، في هذا الوقت تظهر هذه المراجعات لتشجع بها أمريكا تياراً أكثر تماوتاً وانهزاماً من تيار المعارضة عبر الانتخابات".

ويحصر **أيمن الظواهري** المستفيدين من هذه الوثيقة في "أمريكا"، ويدعو القارئ إلى البحث عما سماه "العامل الأمريكي في التراجعات" ويقول: المجاهدون هم الذين أفشلوا المخطط الأمريكي في المنطقة، وهم أيضاً من تنتقدهم تلك التراجعات.

فالوثيقة (والقول **للظواهري**) هي لصالح حكام العالم الإسلامي وليس لصالح شعوب الأمة الإسلامية ويضرب المثل بمصر فيقول "أسأل الذين رحبوا بها واعتبروها في صالح مصر والعالم الإسلامي:

لو أخذنا مصر كنموذج لدول العالم العربي والإسلامي، فهل هناك أمل في التغيير السلمي في مصر؟ بل هل هناك أمل في مجرد التظاهر السلمي في مصر؟

هل الوضع في مصر يتحسن أم يتدهور؟ إلى أين تسير مصر؟

أما بشأن ما يقال عن كتابة الوثيقة تحت إكراه السجن فيقول **سيد إمام**:

إن العبرة بدليل الكتابة لا بمكانها من سجن أو حرية، فإنه ليس صحيحاً أن كل ما يخرج من السجن فهو باطل، بل يجب النظر في دليل الكلام قبل النظر في مكانه، وقد وعظ نبي الله يوسف - عليه السلام - وهو في السجن، فهل كان سجنه حجة لرفض ما قاله من الحق؟ لا يقول بهذا مسلم ولا عاقل، كما أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قد كتب كثيرًا من مؤلفاته وهو مسجون في قلعة دمشق، وشمس الأئمة السرخسي كتب كتابه (المبسوط) في فقه الأحناف وهو مسجون في (أوز جند)، فهل كان السجن مدعاة إلى رفض ما كتبوه رحمهم الله؟ لا يقول مسلم بذلك، والأمثلة كثيرة، ولذلك فأي شيء في كتاباتي يخالف الدليل الشرعي الصحيح السالم من المعارض فأنا راجع عنه وأقول بما دل عليه الدليل.

ويرد عليه **أيمن الظواهري** فيقول: هذه التراجعات كتبت بإشراف وتوجيه الحملة الصليبية اليهودية، ولو كانوا لا يحققون بها مصالحهم لما سمحوا لصاحبها أن ينطق أصلاً.

وتزعم الحكومة المصرية أن هذه التراجعات كتبت بإرادة واختيار أصحابها، فأسألهم:

(١) لو كانت هذه التراجعات حرة وتلقائية فلماذا لم نسمع عنها إلا بعد أن وقع أصحابها في الأسر؟ بل إن منهم من كان رافضاً لها في الأسر ثم استسلم أخيراً.

(٢) ولماذا تديرها أجهزة الأمن؟ وهي الممارسة للقهر والتعذيب والتزوير. وهل يصلح من هذه مواصفاته ليدير حواراً حراً.

(٣) وأين أصوات المعارضين لها؟ وهم الأكثرية المكممة الأفواه، والمقهورة، والمعاقبة على ثباتها.

(٤) ولماذا لا نسمع من أصحاب المراجعات إلا نقداً للمجاهدين فقط وللقاعدة على الخصوص، مثلما حدث مع متراجعي الجماعة الإسلامية بعد عام ٢٠٠١م، بينما لا ينقدون الحكومات وكلها ظالمة، كما لم نسمع رأيهم مثلاً في توريث الحكم لجمال مبارك.

(٥) ثم لماذا لا يكون مسار هذه التراجعات ووقائعها شفافاً وواضحاً؟ ولماذا تكون أسراراً وطلاسم؟ نفاجأ بعد فترات طويلة من الصمت بمن يطل علينا فجأة، وسط تهليل الإعلام وتصفيقه الحاد المفاجئ، ليعلن التراجع والتنازل والانهزام.

(٦) لماذا لا يطلعون الناس عمن أشرف على تلك التراجعات من أجهزة الأمن وما أسماؤهم وما دورهم؟ ومن شاركهم من المحامين والعلماء الرسميين وغير الرسميين؟ والكتاب والصحافيين والسياسيين؟ وما هي العروض التي قدمت في مقابل التراجعات؟ وما هي الميزات التي حصل عليها المتراجعون؟ وفي المقابل ما هو التنكيل والعقاب والتضييق الذي مورس على الرافضين للتراجع والتنازل؟

لماذا لا يكون الأمر شفافاً وواضحاً، حتى يمكن إدراك حقيقة أبعاده وإخضاعه للدراسة والفحص المحايدين.

لا سيما أن الأسير شهادته في صالح ظالمه وسجانه ومعذبه والمتحكم فيه مجروحة، لأنه مكره في قبضته، فلا تقبل شهادته لصالح سجانه، ولكن تقبل ضده، ولذلك لا تقبل شهادة كاتب الوثيقة.

وقياس حال كاتب الوثيقة على حال نبي الله يوسف -عليه السلام- **وابن تيمية والسرخسي** قياس مع الفارق. فهم لم يشهدوا بما يجلب نفعاً لآسريهم ضد خصومهم، فهم غيرُ متهمين في شهادة أو فتوى أو تبليغ، بينما فعل كاتب الوثيقة ذلك، ولذلك يقبل كلام نبي الله يوسف -عليه السلام- وابن تيمية والسرخسي، ولا تقبل شهادات كاتب الوثيقة.

وهذه الوثيقة كتبت بروح وزارة الداخلية ولصالحها، وكاتبها دعا المسلمين فيها إلى عدم القيام بأي عمل مخالف للحكومة، ولا حتى احتجاج أو اعتصام أو اجتماع أو مظاهرة؟ فكيف يمكن أن تقبل هذه الشهادة؟

فليخرجوا سيد إمام إلى مكان يأمن فيه على نفسه وأهله، وحينئذ يستطيع أن يعبر عما يدور في ذهنه.

ويقول سيد إمام: الجهاد كغيره من أمور الدين القدرة عليه من شروط وجوبه، إلا أن القدرة في الجهاد لا تنحصر في ذات المسلم كالقدرة البدنية والمالية وإنما تتعداه إلى واقع الظروف المحيطة به من الموافقين والمخالفين، ولهذا فقد أثنى الله سبحانه على المجاهدين في سبيله، كما أثنى على أصحاب الكهف لما اعتزلوا قومهم، وكذلك أثنى على مؤمن آل فرعون الذي كتم إيمانه، وبالرغم من أن هؤلاء الثلاثة قد واجهوا نفس الواقع (وهو حشد من المخالفين في الدين) فإن ردود أفعالهم التي واجهوا بها هذا الواقع قد اختلفت: فهذا جاهد وهذا اعتزل وهذا تخفى بدينه، ومع ذلك فالكل محمود، لأن كلاً منهم قد عمل بما وجب عليه شرعًا في وقته ومكانه وفي حدود استطاعته، وهكذا يجب على كل مسلم أن يتفقه في دينه كي يختار الواجب الشرعي المناسب لواقعه وقدرته.

وقد اشتملت الرسالة الخاتمة رسالة الإسلام على كل الخيارات الشرعية الواجبة على المسلمين نحو المخالفين في الدين، وقام بمعظمها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم في عصر النبوة، وعصر الخلافة الراشدة: من التخفي وكتمان الإيمان، إلى الاعتزال والهجرة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، إلى العفو والصفح والإعراض عن المشركين، إلى احتمال أذى المشركين بالقول والفعل والصبر على ذلك، إلى جهاد الكفار من المشركين والمرتدين وأهل الكتاب بالنفس والمال واللسان، إلى عقد الصلح والمعاهدات، وهذا كله ثابت بالكتاب والسنة، وقد تدرج الله سبحانه بهم في التشريع بحسب التدرج في قدرتهم من غاية الاستضعاف إلى غاية التمكن، كما أشار إلى ذلك ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد".

والتمكين هو أن تكون للمسلمين دار لهم الكلمة العليا فيها ويتمكنون من حمايتها والاحتفاظ بها كما كانوا في المدينة بعد الهجرة، وكل من لم تكن له منعة تحميه فهو مستضعف لا يجب عليه تغيير المنكر باليد لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يفعله بمكة لا قبل الهجرة ولا بعدها (في عمرة القضاء عام ٧هـ، طاف والأصنام حول الكعبة) حتى فتح مكة عام ٨هـ، فأزال الأصنام من حول الكعبة بعد التمكين.

وكذلك المستضعف والعاجز لا يجب عليهما الجهاد، ولم يفرضه الله على المسلمين وهم مستضعفون بمكة قبل الهجرة، وإنما فرضه بعدما تهيأت لهم أسباب الجهاد بوجود دار الهجرة والنصرة في المدينة، وهذا الحكم غير منسوخ وإنما هو من الخيارات أمام المستضعفين، ودليل بقاء هذا الحكم (وهو سقوط وجوب الجهاد عن المستضعف والعاجز) أنه بعد تشريع الجهاد بعد الهجرة لم يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم من بقي بمكة من المستضعفين عاجزًا عن الهجرة ولم يوجبه الله عليهم بل عذرهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله لهم في قنوته.

وهذا الحكم باقٍ إلى آخر الزمان؛ لأن الله سبحانه سوف ينهى المسيح عليه السلام بعد نزوله من السماء عن قتال يأجوج ومأجوج بسبب العجز عن القدرة، بالرغم من أن المسيح سيكون معه في ذلك الوقت خيرة المؤمنين في الدنيا وقد انتصروا على الدجال من قبل.

ويرد **أيمن الظواهري** على ذلك فيقول: أنا أتساءل؛ من الذي يقدر الاستطاعة والقدرة من عدمهما؟ المجاهدون وأهلُ العلم الصالحون الأثباتُ الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر الصادعون بالحق؟ أم الأسرى والمكرهون والتاركون للجهاد؟

وهل يوثق بتقدير المكره الأسير الذي يكرهه سجانوه على قول ما يريدون؟ أو يحرص هو على إرضائهم ليتخلص من شرهم؟ لا ريب أن من هذه حاله لا يوثق بتقديره.

ثم كاتب الوثيقة يقر على نفسه بأنه قد ترك الجهاد منذ خمس عشرة سنة، ومنذ ست سنوات وهو في الأسر.

فكيف يقبل كلامه في الاستطاعة والقدرة وتقدير الظروف؟

بل الجهاد يعتبر فيه برأي أهل الدين الصحيح الذين لهم خبرة بأحوال الدنيا.

ثم نحن لم ندعُ الناس إلى الجهاد العشوائي، بل ندعو إلى تنظيم وحشد إمكانيات الجهاد، وألا يتوانوا عن ذلك حتى وإن ضعفوا عن الجهاد باليد في وقت من الأوقات، فليعدوا العدة لعل الله يقوّيهم ويفتح عليهم، أو يأتي مِن بعدهم مَن يستثمرها، فإن تحصيلَ القوة والقدرة على الجهاد واجبٌ مأمورٌ به شرعاً. ولكن لا يقعدوا ولا يتوانوا ولا ينشغلوا بتحصيل معاشهم والتكالب على فتات الدنيا بينما الجهاد مفروض عينياً عليهم، ومفروض عليهم الإعداد له، لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

أما هذا الذي يُدعَى إليه في هذه الوثيقة فهو ليس ترشيد العمل الجهادي بل هو تركيع وتقييد العمل الجهادي لصالح مباحث أمن الدولة والسي آي إيه.

تأتي هذه الفتوى أو الدعوى أو الشبهة لتقول للمسلمين أنتم عجزة ضعفاء مشلولون مكسَّحون فلا تتصدوا لحكامكم ولا تأمروا بالمعروف ولا تنهوا عن المنكر.

يا قـوم لا تتكلمـوا   إن الكـلام محـرَّم

ناموا ولا تستيقظـوا   ما فـاز إلا النُـوَّم

وتأخّروا عن كل ما   يَقضي بأن تتقدّموا

ودَعُوا التفهُّم جانباً   فالخير ألا تَفهموا

فما أسعد الأمريكان واليهود بتلك الفتاوى، ينفردون بنا بلداً بعد بلد، ونحن نترك قواعدهم لا نتعرض لها، لأننا لو تعرضنا لها فسنتعرض لقوات حكامنا عملائهم ولأجهزة أمنهم التي تسهر على حمايتهم. ثم إذا انتهوا من بلد استداروا إلى الآخر، ونحن نشاهد جرائمهم مستسلمين بفضل سموم تلك الفتاوى والدعاوى والشبه.

ويورد **الظواهري** طائفة من أقوال العلماء ثم يقول وهكذا نرى أنهم لم يشترطوا إلا القدرة على إزالة المنكر فقط، وليس فيها ما اشترطه الكاتب من شرط زائد من وجوب أن تكون للمسلمين دار لهم الكلمة العليا فيها ويتمكنون من حمايتها والاحتفاظ بها كما كانوا في المدينة بعد الهجرة!

ثم يقول **سيد إمام**: وبالنظر إلى الواقع فإن أحوال الجماعات الإسلامية الساعية إلى تطبيق الشريعة والنهي عن المنكر في معظم بلدان المسلمين أحوالها تتراوح بين العجز والاستضعاف، والتجارب المريرة التي خاضتها هذه الجماعات خير شاهد على ذلك، ومن الغرور أن يرى الإنسان في نفسه ما ليس فيها، ومن الغرور أن يلتزم المسلم بدينه اليوم ويصير في بضع سنين مفتيًا لإخوانه وخبيرًا عسكريًا يقودهم من مهلكة إلى مهلكة.

وبناء على ما سبق في هذا البند نرى عدم جواز تغيير المنكرات باليد إلا لذي سلطان في سلطانه كالأب في أهل بيته أو لإنقاذ مسلم من مهلكة لا تتدارك، كما نرى عدم جواز الصدام مع السلطات الحاكمة في بلدان المسلمين من أجل تطبيق الشريعة باسم الجهاد، فالتغيير باليد والصدام كلاهما ليسا من الخيارات الشرعية الميسورة فلا تجب، وإنما تجب الدعوة بالحسنى، فإن عجز عنها المسلم ففي الصبر خيار وأجر.

ويرد **الظواهري** على هذه النقطة قائلاً: إن هناك حكماً خطيراً سكت عنه **سيد إمام** مع الحاجة الماسة إلى ذكره، وهو أنه يجوز للمسلم أن يجهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإن قتل في سبيل ذلك، وهذه من أعلى درجات الشهداء. وهي مسألة في غاية الأهمية لا أدري لماذا سكت عنها، إلا لأنها لا تعجب حضرات الضباط في مباحث أمن الدولة وأسيادهم، فعن ابن عباس عن النبي أنه قال: "أفضل الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ورجل تكلم بكلمة حق عند سلطان جائر فقتله"، وروى أبو سعيد الخدري عن النبي أنه قال: "أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وعن جابر رضي الله عنه عن النبي قال: "سيد الشهداء حمزة ابن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله" كان يمكن أن

يقبل منه أن يقول مثلاً: نرى عدم وجوب تغيير المنكر باليد لغير القادر، ولكن من قوي إيمانه فله ذلك وإن قتل فهو في أعلى درجات الشهداء.

بعد ذلك يثير **سيد إمام** قضية أخرى وهي: ومما يؤسف له أن نرى في هذا الزمان بعض المسلمين يخرج للجهاد ويسافر من بلده إلى غيره للمشاركة في الجهاد أو القيام بعملية استشهادية بدون إذن والديه وبدون علمهما، وأحيانًا بدون إذن دائنيه، وأحيانًا بدون أن يترك نفقة لمن يعولهم وكل هذه ذنوب يجب أن يتنزه المسلم عنها، وقد يموت أو يقتل في جهاده هذا فيموت بذنوب لا يدري أيغفرها الله له أم لا؟ وهذه المخالفات الشرعية ننهى عنها جميع المسلمين.

والفقهاء رحمهم الله وإن كانوا قد اتفقوا على أن إذن الوالدين إنما يشترط في الجهاد إذا كان فرض كفاية، إلا أن بعض الفقهاء قد قال باشتراطه أيضاً عندما يكون الجهاد فرض عين.

ويرد عليه **الظواهري** قائلاً:

فهذه السقطة العلمية تستدعي وقفة، للتساؤل عن الحالة التي يمر بها الكاتب، ومدى الضغط والتدخل فيما يكتب، اللذين أديا به إلى أن يسمح أن يسجل على نفسه هذه المخالفة. وكم أنا متألم، وأنا أجد نفسي مضطراً إلى أن أذكره بأبجديات الفقه رغم أنه كان يفيد بعلمه الصغير والكبير، وهو أمر يبين أنه لو كان في غير ظروفه لما كتب ما كتب، ولا يعلم الغيب إلا الله.

وأنا أقول بإيجاز أن علماء المذاهب الأربعة رحمهم الله في هذه المسألة يقررون بلا خلاف عدم وجوب إذن الوالدين ولا إذن الدائن في الجهاد إذا صار فرض عين.

ويفجر **سيد إمام** قنبلته التي أثارت زوابع الجهاديين في العالم كله فيقول: قد وقعت في صدر الإسلام حوادث خروج على السلطان بسبب المظالم، وقد نجم عن الخروج مفاسد كثيرة، والذين خرجوا كأهل المدينة في الحرة (٦١هـ) والحسين بن علي رضي الله عنهما (٦٤هـ) وابن الأشعث (٨١هـ)

(من رأى منكم منكرًا فليغيره...) وحديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن...)، وهذا خطأ لأنه إذا جاز تغيير المنكر باليد عند القدرة بين الرعية فإنه لا يجوز مع السلطان للنهي الخاص الوارد في ذلك وهو مقدم على الأمر العام الوارد في الأحاديث السابقة.

ومن النهي الخاص الوارد في المنع من الخروج على السلطان قول النبي صلى الله عليه وسلم: (من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر، فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية) متفق عليه عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج إلا إذا كفر السلطان لحديث عبادة بن الصامت مرفوعًا، وفيه (وأن لا ننازع الأمر أهله، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من الله فيه برهان) متفق عليه.

لكن إذا كفر السلطان فقد ذكر ابن حجر: (إنما تجب مجاهدته على من قدر، ومن تحقق العجز لم يجب عليه القيام في ذلك) أ.هـ. فهناك فرق بين العلم بكفر السلطان وبين وجوب الخروج عليه، فلا يجب عند العجز أو إذا غلبت المفسدة في الخروج. خصوصاً إذا كانت المفاسد جسيمة وخارجة عن المألوف في الجهاد.

وقد تكررت حوادث الخروج على الحكام في بلاد المسلمين خلال العقود الماضية باسم الجهاد في سبيل الله من أجل تحكيم شريعة الإسلام في تلك البلاد، وقد أدت هذه الحوادث إلى مفاسد عظيمة على مستوى الجماعات الإسلامية وعلى مستوى البلاد التي وقعت بها هذه الأحداث والقاعدة الفقهية أن (الضرر لا يُزال بمثله) ومن باب أولى (لا يُزال بأشد منه).

والجهاد ليس هو الخيار الشرعي الوحيد لمواجهة الواقع غير الشرعي وإنما هناك خيارات أخرى كالدعوة والهجرة والعزلة والعفو والصفح والإعراض والصبر على الأذى وكتمان الإيمان، والفقيه هو من يختار الخيار المناسب من هذه لواقع معين، وقد عمل بها كلها رسول الله صلى

الله عليه وسلم وكثير من أصحابه رضي الله عنهم بحسب الاستطاعة وظروف الواقع، وقد قيل: ليس الفقيه من يميز بين الخير والشر فهذا يدركه كثير من الناس، وإنما الفقيه من يختار أهون الشرين وأخف الضررين.

وسواء كان ترك الحكم بالشريعة كفرًا أو كفرًا دون كفر أو معصية،.. فإننا لا نرى أن الصدام مع السلطات الحاكمة في بلاد المسلمين باسم الجهاد هو الخيار المناسب للسعي إلى تطبيق الشريعة، فالجهاد لابد له من مقدمات ومقومات تعتبر من شروط وجوبه فإذا انعدمت سقط الوجوب، ومنها دار الهجرة والنصرة (كالمدينة) أو دار الأمن (كالحبشة بالنسبة إلى الصحابة) أو القاعدة الآمنة (كأبي بصير)، والنفقة اللازمة للجهاد، وتأمين ذراري المسلمين (نسائهم وعيالهم) والتكافؤ في العدد والعدة بين طرفي الصدام، والفئة التي يمكن التحيز إليها، وتميز الصفوف حتى لا تنتهك دماء المعصومين وحرمتهم، كل هذه المقومات مفقودة بما يجعل الجهاد لا يؤدي إلى النتيجة المرجوة من إظهار الدين وتحكيم الشريعة، وهذا هو الواقع فعلاً في معظم البلدان، فلم تفلح في ذلك معظم الجماعات الإسلامية رغم التضحيات الجسيمة التي قدمتها.

وهنا يرد الظواهري فيقول: فأول سؤال يُوجَّه إليك: مَن سبقك بهذه الشروط من أهل العلم المعتَبَرين أهل الاجتهاد والفتوى؟

ثم أود أن أذكر القارئ أن لدى **سيد إمام** المقومات الستة (١- دار الهجرة والنصرة أو القاعدة الآمنة. ٢- التكافؤ في العدد والعدة. ٣- تأمين النساء والعيال. ٤- توفير النفقة. ٥- الفئة التي يمكن التحيز لها. ٦- تميز الصفوف)، والمحظورات الستة (١- قتل معصومين بدعوى التترس. ٢- استحلال أموال بالسطو والخطف. ٣- الغدر ونقض العهد. ٤- العجز عن تأمين الذراري. ٥- العمالة والارتزاق من الخارج. ٦- الاضطرار إلى اللجوء السياسي)، ثم هناك الخيارات الستة (١- الهجرة. ٢- العزلة. ٣- العفو. ٤- الإعراض. ٥- الصبر. ٦- كتمان الإيمان) ثم دروس التاريخ "فالحركات الشعبية ومنها الإسلامية لم تغير النظام في مصر على مدى التاريخ". فإذا خرجت من المقومات وقعت في المحظورات، وإذا نجوت

من المحظورات تلقفتك الخيارات، وإذا أفلت من الخيارات منعتك الموانع، وإذا تخطيت الموانع فإلى هوة اليأس فلا أمل في التغيير، ثم لا تحدثني أيها القارئ الكريم بعد ذلك ليس عن الجهاد، بل عن أي عمل إسلامي أو شعبي. انتهى الأمر.

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

إذن ما المطلوب؟

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

حبكة مباحثية لا تترك لمن يريد الجهاد متنفساً. وكاتب الوثيقة بهذه الحبكة ليس مرشداً للعمل الجهادي بل هو خانق له، في خدمته عدد من حفاري القبور.

نقد كتاب الظواهري حول

مراجعات الجهاد المصري

أصدر **الظواهري** كتاباً بعنوان "التبرئة..تبرئة أمة القلم والسيف من منقصة تهمة الخور والضعف" يرد فيه على كتاب "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" لدكتور **سيد إمام**.

ويمكننا ملاحظة أن كتاب **أيمن الظواهري** قد كتب بعناية وتضمن تعميقا فقهياً لردوده على وثيقة **سيد إمام** وأخذ جهداً بحثياً منظماً، وقد يستغرب البعض هذا من رجل هارب يهيم في الجبال لكن هذا يشير إلى صدق ما أفادته المصادر من أن **الظواهري** يعيش في هروبه عيشة أقرب ما تكون إلى الاستقرار وليس فيها عناء الهروب الذي يظنه الكثيرون حتى أنه تزوج بعد مقتل زوجته الأولى في إحدى الغارات كما زوج بناته.

ولكن حتى لو كان الأمر هكذا فهل يملك **الظواهري** القدرة البحثية التي تؤهله لكتابة بحث فيه مثل هذه الكثافة من المادة العلمية، وتوثيق هذه المادة من مصادرها الأصلية بشكل أكاديمي منظم؟؟

الماضي يشير إلى أن **الظواهري** يجيد مثل هذا الأسلوب البحثي لا سيما وأن القضايا التي تعرض للكلام عليها هى قضايا تمس لب الفكر الذي ظل **أيمن الظواهري** يتعلمه ويعلمه منذ أكثر من أربعين عاماً فالمفترض أن كل هذه السنوات تجعله حافظاً لهذه القضايا عن ظهر قلب، كما أن أقوال العلماء المتعلقة بها لا شك أنه قرأها وردد النظر فيها مئات المرات طوال هذه السنوات، وإن كان هذا لا يمنع أن تكون لجنة البحوث الشرعية بالقاعدة قد ساعدته بجمع المادة العلمية أو ترتيبها لكن لا شك عندي أن هذا الأسلوب الذي كتب به الكتاب هو أسلوب **الظواهري** الشخصي.

أما من حيث أفكار الكتاب فالكتاب لم يأت بجديد بشأن الفكر الجهادي. فهو قد أشار في عدة مواضع لعدم وجود مانع من مراجعة الفكر الجهادي وترشيده ولكن بصدق وليس بدوافع من المخابرات الأمريكية ومباحث أمن الدولة المصرية، لكنه مع هذا لم يراجع فكر الجهاد ولم ينقده في شيء بل برر كل شيء حتى دون أن يقيد بعض الإطلاقات في المفردات التي أصبحت تقليدية وجامدة في هذا الفكر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر **فالظواهري** رغم تأكيده على دور الجماهير المسلمة في تغيير الأنظمة الحاكمة ورغم جعل هذه الفكرة أحد المبررات السياسية الأساسية لاستهداف إسرائيل وأمريكا إلا أنه مع ذلك ظل مصراً على ترجيح الرأي الذي يبرر قتل المسلمين وغيرهم من الأبرياء فى أثناء العمليات المسلحة ما دام هذا القتل جاء عرضاً أو لضرورة العملية الجهادية، وهنا يبرز التناقض الفكري عند الجهاديين عامة إذ كيف تهدف إلى كسب تأييد الجماهير وأنت تقتلهم كل يوم في الشارع بلا مبرر؟؟.

وهكذا لا نلاحظ أي إبداع أو تفكير جديد أو تطوير في الفكر الفقهي والسياسي عند **الظواهري** رمز القاعدة ورمز كل الجهاديين في العالم في كتابه الأخير فهو مجرد دفاع عن قلاعهم الفكرية التقليدية.

وفي الواقع فإن الجمود ليس هو الحل لا للقاعدة ولا أي تيار جهادي لأن الأحداث تتسارع ضدهم وتفرض عليهم استحقاقات سياسية وفقهية عديدة تتطلب اجتهاداً وتفاعلاً مرناً كي يتم الوفاء بها.

ومن هذه الاستحقاقات قضية أسراهم الذين تعج بهم سجون العالم خاصة أمريكا فهم لم يقوموا بأي عمل ولم يقدموا أي تصور متكامل بشأن حل هذه المشكلة لا على مستوى إطلاقهم من السجون ولا على مستوى تحسين أوضاعهم فيها ورفع التعذيب عنهم أو رعاية أسرهم اقتصادياً واجتماعياً ولا على مستوى مساندتهم قانونياً وحقوقياً، هذا رغم أن الظواهري خصص لهم قدراً لا بأس به من صفحات كتابه أبرز فيه معاناة المعتقلين المتعددة هم وأسرهم.

وأيضاً قضية علاقة القاعدة بالجماهير ما زالت من أكبر الاستحقاقات التي لم تلتفت إليها القاعدة ومعظم الجهاديين في العالم وتجاربهم في أفغانستان والعراق والجزائر تنطق بإخفاقهم القاتل ليس فقط في كسب ولاء وتعاطف الجماهير بل أيضاً في مجرد التعامل معهم تعاملاً يتناسب مع حجم حاجة الجهاديين للجماهير، ولم يقدم الظواهري أو أي من قادة الجهاديين أية مراجعة أو تقييم لسلوك المنظمات والأفراد التابعين لهم إزاء الجماهير كما لم يطرحوا حلاً لمشكلة النفور الجماهيري المتزايد تجاه القاعدة في العديد من الأقطار التي كانت معقلاً من معاقل الجهاديين كمصر والسعودية والجزائر والعراق وغيرها.

وفي سياق آخر متصل نلاحظ عدم استجابة الظواهري في كتابه لتحدي هام جداً تواجهه القاعدة وهو موقفها المتشدد والمتناقض من الحركات الإسلامية الأخرى، ونلاحظ التشدد في هجومها المستمر على حماس والإخوان المسلمين وكل من يسعى إلى إحداث التغيير الإسلامي عبر الأساليب السلمية رغم أنه لا دليل شرعي ولا تفكير سياسي سليم يدعو إلى مثل هذا الهجوم أو التشدد أو نفي هذا الأسلوب السلمي في العمل الإسلامي، أما التناقض فنلاحظه في هذا الكتاب عندما نلحظ تعاطفه مع كتائب القسام وهجومه على سيد إمام بسبب تكفيره لمن يدخلون الانتخابات أو ينتخبون من أبناء الحركات الإسلامية، ويعلق على ذلك بقوله "ويتجاهل نيتهم الحسنة" وهنا لا نقول للظواهري اعمل بما تطالب به **سيد إمام** ولا تتجاهل النية الحسنة للإخوان وحماس ولكن لابد أن يعي إن كان في حرب شرسة حقيقية مع أعداء الإسلام كما يقول هو إن أية حرب تحتاج إلى الائتلاف والتماسك لا التفرق والتناحر.

ورغم أن **الظواهري** يفصل كثيراً بشأن واقع مشكلات الأمة الإسلامية إلا إنه عند الحديث عن كيفية التعامل مع هذه المشكلات نجده يتكلم كلاماً مجملاً لا تفصيل فيه، فضلاً عما به من تبسيط مثل القول بأن قتال الأمريكيين واليهود سيؤدي إلى الإطاحة بالأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي.

وفي كتاب **الظواهري** الأخير نلاحظ استمرار النغمة السائدة لدى القاعدة وهي التباهي بالانتصارات وعدم الإشارة إلى أي من أخطاء القاعدة أو إخفاقاتها، فضلاً عن أن يقيمها تقييماً سليماً ومتوازناً.

فإلى متى يتكلم **الظواهري** في السياسة دون أن يمارسها؟؟

أمير تنظيم الجهاد في السجن

يرد على تصريحات سيد إمام لصحيفة الحياة

أرسل **أحمد سلامة مبروك** أمير تنظيم الجهاد المصرى بالسجن رسالة إلى الصحف يرد فيها على تصريحات **دكتور سيد إمام** التى وردت في حواره مع صحيفة الحياة اللندنية في ست حلقات، وكان سيد إمام قد صرح في هذه الحلقات أن أحمد سلامة موافق على المراجعات لكن لا يريد أن يعلن عن هذه الموافقة كما ذكر **سيد إمام** أن كل من **مهندس محمد الظواهرى ومحاسب مجدى كمال (أبى حذيفة)** لهما نفس الموقف "الموافقة السرية".

وأحمد سلامة هو أحد قادة تنظيم الجهاد منذ عام ١٩٧٨م أيام كان مسؤولاً عن عدة مجموعات في التنظيم من بينها المجموعة التى كانت تضم **مصطفى حمزة** (من بنى سويف) المتهم والمخطط الأول لمحاولة اغتيال الرئيس مبارك في أديس أبابا والذى كان قد أصبح أميراً للجناح العسكرى للجماعة الإسلامية بعد انشقاقه عن أحمد سلامة وتنظيم الجهاد، كما قضى **أحمد سلامة** سبع سنوات سجن في قضية تنظيم الجهاد عام ١٩٨١م، وخرج بعدها ليصبح عضو مجلس شورى جماعة الجهاد المصرى ومسؤول التنظيم المدنى بها ثم أصبح مسؤول العلاقات الخارجية بجماعة الجهاد إلى أن خطفته المخابرات الأمريكية من أذربيجان وسلمته إلى مصر في سبتمبر١٩٩٨م بعد تفجير السفارتين الأمريكيتين في كينيا وتنزانيا حيث حكمت عليه المحكمة العسكرية العليا في مصر بالسجن المؤبد في القضية التى اشتهرت إعلامياً باسم العائدين من ألبانيا وهى نفس القضية التى حكم فيها بالمؤبد على **سيد إمام** والإعدام على **محمد الظواهرى** وضمت كل قادة الجهاد داخل وخارج مصر.

ويعتبر أعضاء الجهاد الرافضين للمراجعات **أحمد سلامة** أميراً لهم في السجن، وهو عرف شائع أن يكون أبرز القادة المسجونين أميراً لسائر القادة والأعضاء ويتكلم باسمهم.

وفيما يلى نص الرسالة كما وردت حفاظاً منا على حق أى إنسان في التعبير عن رأيه حتى لو كنا نختلف معه في هذا الرأى:

" رد **أحمد سلامة مبروك** على **سيد إمام**:

من منطلق حق الرد وإظهار الحقائق يعلن **أحمد سلامة مبروك (أبو الفرج المصري)** أن ما قيل عنه على لسان **سيد إمام** من أنه موافق على مبادرته في السر أو ما يسمي الوثيقة هو محض كذب وافتراء.

وأنه **أبو الفرج المصري** ثابت صابر محتسب لا يخون الأمانة ولا يخون دماء المجاهدين التي أريقت وما زالت تراق إلي الآن، وليعلم الجميع أن أحمد سلامة مبروك ممنوع من الزيارة والعلاج هو والذين معه في سجن المرج العمومي وأيضاً سجن ليمان أبي زعبل وأبو زعبل شديد الحراسة ووادي النطرون ١ والوادي الجديد.

وللعلم أيضاً فإن **الشيخ محمد الظواهري والشيخ مجدي كمال (أبا حذيفة)** أيضاً رافضان لما يقوله المدعو **سيد إمام** من كلام في الوثيقة أو ما يسمى بترشيد العمل الجهادي والمشهورة بالمبادرة وذلك لأنها غير شرعية وغير منطقية ومن هذا المنطلق يعلن **أحمد سلامة مبروك** هو والذين معه على درب الجهاد أنهم لن يتنازلوا عن دينهم حتى ولو قتلوا أو ظلوا عمرهم كله في السجون لأن الرجال يعرفون بمواقفهم.

فعندكم مثلاً هذا المدعو "هيس" ظل خمسة وأربعين عاماً في السجن ولم يغير أفكاره ومبادءه ، وهذا كافر فأولي لنا التمسك بديننا لأن السجن جهاده هو الثبات على الحق لا يبدل ولا تنكسر له إرادة.

وقد أصدر **أحمد سلامة مبروك** قراراً لجميع أعضاء التنظيم يعلنهم فيه بأنه من سيوافق على الوثيقة أو المراجعات أو المبادرة أو أي شكل من أشكالها أو مسمياتها فهو مفصول من التنظيم بدون تحقيق.

ويؤكد أنه ثابت بإذن الله وبعونه حتى ولو جره ذلك إلى حبل المشنقة فلن يتراجع أو يوافق علي أية مراجعات.

وكذلك لإظهار الحق وللعلم فإن **سيد إمام** انقطعت صلته تماماً بجماعة الجهاد منذ أواخر عام ٩٣ ولم يطلب منه أحد التحدث باسم جماعة الجهاد.

فلماذا يتدخل فيما لا يعنيه !؟

وليكن المدعو **سيد إمام** واضحاً أمام نفسه، لماذا أظهر هذه المراجعات عندما دخل السجن ولماذا لم يظهرها للعالم قبل القبض عليه طالما أنه كما يدعي يريد إظهار الحق!؟

"اللهم لا تجعلنا صفقة في يد الصليبيين وعملائهم."

ملاحظة هامة : من حقي أنا أحمد سلامة مبروك نشر هذه الرسالة على صفحات صحيفة الحياة لأرد علي ما تم نسبته إلي، وإن لم يتم النشر سأقاضي الصحيفة لأنها شهرت بسمعتي. "

انتهت الرسالة.

ويلاحظ في هذه الرسالة أنها ردت فقط على كلام **سيد إمام** بشأن مواقف قادة الجهاد الذين في السجن، مثل **محمد الظواهرى** عضو مجلس شورى الجهاد ومسؤول الجناح العسكرى فيه **وأبى حذيفة (مجدى كمال)** عضو اللجنة الشرعية، لكن الرسالة لم ترد على الحجج والأفكار التى ساقها **سيد إمام** في "وثيقة ترشيد العمل الجهادى" هل لأن الرسالة تم تسريبها بصعوبة من السجن بسبب الإجراءات الأمنية أم أن الرافضين للمراجعات لم تصل إليهم الوثيقة ولم يطلعوا عليها، أم أنهم ليس لديهم القدرة العلمية للرد عليها؟؟؟

الأرجح هو عدم قدرتهم على تسريب ردودهم العلمية على الوثيقة بسبب قوة الإجراءات الأمنية بالسجن أو أنهم لم يطلعوا على الوثيقة أصلاً لسبب أو لآخر.

خاصة أن أسلوب الرد ركيك لا يتناسب مع مستوى أحمد سلامة اللغوى ويرجح أنه تم تسريب معناه من السجن شفاهة ثم قام شخص ما بصياغتها وإرسالها إلى الصحف.

الجهاد المصري يهاجم المعتقلين الإسلاميين

في خطوة غير مسبوقة هاجم ما يسمى "مجلس شورى الجهاد المصرى بالخارج" جميع المعتقلين الإسلاميين سواء من ما زال منهم في السجن أو من خرج من السجن ووصفهم بيان صادر من هذا المجلس بأنهم "إما مكره تتراءى أمامه ذكريات التعذيب والجلد والتعليق والصعق، وإما منهارٌ يائس يبحث عن مخرج من السجن وبقيةٍ من راحة، وكلاهما لا يُؤخذ منه قول ولا يُوثق منه برأي"، كما هاجم البيان **دكتور سيد إمام الشريف** بسبب مراجعاته في "وثيقة ترشيد العمل الجهادى" وبسبب تصريحاته الصحافية التى تضمنت تنصلاً من أخطاء وإخفاقات جماعة الجهاد الإسلامى المصرية، وقال البيان إنه كان (أى **سيد إمام**) صاحب الكلمة الأولى والأخيرة في كل قرارات الجهاد على مدى ربع قرن بصفته الأمير العام الذى لم يكن يقبل الأخذ بمشورة مجلس الشورى، وتحدوه أن يذكر قراراً واحداً لتنظيم الجهاد صدر عن أحد غيره.

وبشأن دعوة **سيد إمام** إلى الرد على حججه الشرعية قالوا إنها شبهات قديمة سبق الرد عليها وليست حجج.

وفيما يلى نص البيان الذى أثار نطاقاً واسعاً من النقاش والجدل على شبكة الإنترنت ليس على المواقع الجهادية فقط ولكن أيضاً على مواقع محايدة وعادية:

"بيان: رداً على اتهامات الشيخ سيد إمام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وصحبه ومن والاه وبعد:

لقد اطلعنا على ما جاء في "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" للشيخ سيد إمام (فك الله أسره) وأصابتنا الحسرة والألم مما احتوته من اتهامات باطلة وفرية عظيمة، وبالرغم من أننا قد توقعنا شيئاً من هذا الأمر إلا أننا لم يدر

بخلدنا أن الشيخ (غفر الله له) سيصبح في يوم ما معول هدم ومثبطاً للجهاد والمجاهدين بهذه الصورة المفضوحة، لكن يبدو أن ابتزاز الأسرى المعذبين المُنكل بهم وبعد أن طبختهم حكومات عبيد أمريكا في مراجل أمريكا طبخاً، وأخرجتهم إلى الملأ مسخاً مشوهاً وركاماً مُدمَّراً وقد سُلخوا من أفكارهم سلخاً ونُزعت منهم قناعاتهم نزعاً ليعلنون ندمهم وأسفهم وتراجعهم، وتهلل أمريكا للطبخة القذرة وتصفق لانتصار الاعتدال والتسامح والتفاهم على التشدد والأصولية والتطرف وتطالب بتكرار التجربة.

إننا نحذر شباب أمتنا المجاهد في كل مكان من الإصغاء إلى أقوال وتراجعات خريجي السجون ونزلائها في مصر وسائر بلاد الإسلام، **فهُم إما مكره تتراءى أمامه ذكريات التعذيب والجلد والتعليق والصعق، ومنهارٌ يائس يبحث عن مخرج من السجن وبقيةٍ من راحة، وكلاهما لا يُؤخذ منه قول ولا يُوثق منه برأي،** وحتى إن خرج من السجن الصغير إلى السجن الكبير الذي لا يكف فيه الزبانية عن زيارة منزله ومراقبة سكناته وحركاته وتوجيه أقواله وأفعاله واختبار نواياه

لقد ساق المتراجعون بعض الشبهات فقالوا إن كثيراً من الأئمة كابن تيمية قد ألفوا في السجن ونبي الله يوسف عليه السلام دعا إلى التوحيد في السجن، نعم صحيح، ولكنهم لم ينقلبوا من الضد إلى الضد في السجن!! كما هو حالكم، فنبي الله يوسف عليه السلام دخل السجن مظلوماً ودعا إلى التوحيد فيه ورفض الخروج حتى يُقر من ظلمه بخطئه. **وابن تيمية** دخل السجن بسبب جهره بالحق ولم يتزعزع بالسجن حتى مات مسجوناً في قلعة دمشق رحمه الله، وشمس الأئمة **السرخسي** دخل السجن بسبب نصيحته للخاقان ولم ينقلب في السجن ليخرج منه، وأما قولكم لا تنظروا إلى الظروف التي خرج منها كلامنا ولكن انظروا إلى أدلته وردوا عليه، فنقول لهم إننا وجميع المجاهدين منذ عقود نرد على هذه الشبهات قولاً وكتابة وعملاً فشبهتكم هذه قديمة، بل إن اتهاماتكم التي سودتم بها وثيقتكم خيرُ ردٍّ عليكم، ولكن ليس هذا ما نركز عليه فإننا لا نركز على كلام انتزع بالقهر ولكننا نريد أن نوضح للجميع اللعبة القذرة التي تمارسها أمريكا وعملاؤها في مصر، ولذا فإننا نقول لهؤلاء الأعداء إن هذه ليست

معركة شريفة أن تنفردوا بأسير معزول ثم تعصروه عصراً جسدياً ونفسياً حتى يوافقكم ثم تُهللوا لذلك، لو كنتم رجالاً نازلوه بأنفسكم في ميدان الفكر والدعوة والإعلام وهي الميادين التي اعترفتم بأنفسكم بهزيمتكم فيها، ونقول لهم: أنتم الآن تمارسون ما كنتم تهاجمونه من وسائل غسيل الدماغ الشيوعية، فكفوا عن أكاذيبكم حول الحرية وحقوق الإنسان.

وفي ختام بياننا هذا نريد أن نبين للجميع أن ما ذكره **الشيخ سيد** في وثيقته من اتهامات لقيادات المجاهدين وتشكيكاً في نياتهم فإن الحقيقة تقتضي مسؤوليته الأولى عن كل ما حدث من أخطاء كيف لا وقد كان الأمير الأول في الجماعة فلم يكن لمجلس الشورى حق في اتخاذ أي قرار دون الرجوع إليه، ذلك لأن الشورى كانت معلمة غير ملزمة وكانت له الطاعة الكاملة، ونحن اليوم نتحداه أن يذكر لنا قراراً واحداً اتخذناه دون الرجوع إليه.
ونسأله: إن كان ما ذكرته من اتهامات حقاً فلم قبلتم قيادة المجموعة ثم الجماعة طوال هذه الفترة التي تقدر بربع قرن من الزمن؟؟

نقول **للشيخ سيد** إن كانت بيننا وبينك خصومة قديمة فما ذنب شباب الأمة أن تثبطهم بهذه الأقاويل التي تعلم أنها وليدة وسوسة شياطين أمن الدولة ومن خلفهم مكتب الإف بي آي بالقاهرة؟.

نسأل الله تعالى أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعة وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مجلس شورى جماعة الجهاد المصرية في الخارج".

إلى هنا انتهى نص البيان، ولكنه يثير العديد من التساؤلات أولها من هم مجلس شورى الجهاد هذا بعدما اندمج الجزء الأكبر من الجهاد في القاعدة مع أيمن الظواهرى بينما الذين بقوا متمسكين باستراتيجية الجهاد المصرى ولديهم الرغبة في إكمال المشوار قد لقى معظمهم حتفه في معارك كابل وقندهار وتورابورا في بداية الغزو الأمريكى لأفغانستان، أما بقيتهم فهم مسجونون الآن في إيران بعدما تسللوا إليها هرباً من القصف الأمريكي

لأفغانستان عام ٢٠٠١م، لكن بعض المصادر ترى أن هناك بعض بقايا مجلس شورى الجهاد المصرى مشتتين في أقطار العالم ربما أثارتهم تصريحات سيد إمام فدفعتهم إلى التحدث بعد طول كمون، وتشير مصادر مطلعة بأن رئيس مجلس شورى الجهاد المصرى كان أحمد بسيونى دويدار الذى قتل مؤخراً في اليمن أما الأمير فهو ثروت صلاح شحاته المسجون في إيران والمحكوم عليه بالإعدام غيابياً في مصر.

منع الزيارة عن المعتقلين الإسلاميين

بسجن الواحات

قامت إدارة السجون بكل من سجنى أبى زعبل شديد الحراسة والواحات (الوادى الجديد) بعملية تفتيش نتج عنها ضبط عدد من الهواتف المحمولة وقامت في إثره إدارة السجون بمنع الزيارة في كلا السجنين، وقد أعيد السماح بالزيارة في سجن أبي زعبل بعد فترة من المنع لكن سجن الواحات (الوادى الجديد) ما زالت الزيارة فيه مغلقة، كما لم يسمح للطلبة من معتقلي سجن الواحات بأداء امتحانات الترم الأول بحسب هذه المصادر التى لم تتأكد بعد.

وفي نفس السياق وصلت رسالة إلى عدد من الصحف المصرية منسوبة إلى المعتقلين الإسلاميين بسجن الواحات تشكو من سوء المعاملة ومنع الزيارة والمنع من الخروج من الزنازين للتريض في فناء السجن، وذكرت الرسالة أن ذلك كله الهدف منه إرغام المعتقلين على الموافقة على مراجعات الجهاد التى أطلقها دكتور سيد إمام منظر الجهاديين في مصر والعالم، وفيما يلى نص الرسالة مع اختصار بسيط:

"يعلن المعتقلون السياسيون بسجن الواحات (الوادى الجديد) رفضهم التام لمبادرة **سيد إمام** المعروفة باسم مبادرة الجهاد وذلك لما فيها من انحراف وحيدة عن صميم الإسلام والتلاعب بالكتاب والسنة ووضع الأحاديث والآيات في غير مواضعها الصحيحة وهى طريقة المنافقين قديماً وحديثاً، وكذلك يعلن المعتقلون بسجن الواحات رفضهم لإمامة سيد إمام وزعامته.

وبسبب رفضهم هذا فقد قامت مباحث أمن الدولة بالتنسيق مع مصلحة السجون بحملة همجية على المعتقلين السياسيين داخل السجن سلبت فيها كل أسباب الحياة من داخل الزنازين من مأكل وملبس وفرش وأغطية وكتب وأوان وأدوات حيث تركت الزنازين على الأرض والحوائط فقط

ولم يتركوا لأى معتقل سوى ملابسه التى عليه، ثم قاموا بغلق الزنازين تماماً فلا تفتح نهائياً.

كما أغلقوا التعامل مع كانتين السجن رغم رداءة ما يقدمه من سلع.

وكذلك قاموا بتقليل كمية الطعام المصروف للمعتقلين مع تعمدهم لإساءة طهى هذا الطعام لئلا يتمكن أى إنسان من تناوله.

كما قاموا بمنع الزيارة نهائياً فطردوا الأهالى الذين أتوا للزيارة دون علم بمنعها رغم أنهم قطعوا أكثر من ألف كيلو متر حتى يروا أبناءهم.

والهدف من ذلك كله الضغط علينا لتأييد مبادرة سيد إمام وهذا طلبه صراحة ضابط أمن الدولة بالسجن المقدم (.......) وصرح أن هذا هو سبب الضغط الذى يجرى علينا.

وبسبب إمعان إدارة السجن في هذه الضغوط فقد قام عدد من المعتقلين بالإضراب عن الطعام حتى شارف بعضهم على الهلاك ومع ذلك لم تقم إدارة السجن بإبلاغ النيابة كما يقضى القانون، وقد تولى كل هذه الإجراءات القمعية ضابط أمن الدولة المقدم (......) ومدير مباحث منطقة جنوب الصعيد (.......) ومأمور السجن العميد (.......) الذى يطمع أن يصبح لواء على أشلائنا ويصرح بذلك رئيس مباحث السجن الرائد (.....) ومعاون المباحث النقيب (......) وغيرهما حتى النقيب طبيب (.......) الذى يقوم بالمشاركة في الضغوط على المعتقلين إما بمنع الدواء عن المرضى أو باتهامهم بالتمارض كما يقوم بإعطاء تقارير طبية غير صحيحة بشأن المضربين.

وبذا تحول سجن الواحات (الوادى الجديد) إلى إحدى سلخانات أمن الدولة بسبب بعده عن القاهرة وبالتالى عن وسائل الإعلام وعن منظمات حقوق الإنسان وعن أسر المعتقلين وعن المحامين، وصار هذا السجن بعبعاً يخوفون به جميع المعتقلين.

وإذا كان الحال هكذا فهل يحق **لسيد إمام** أن يزعم أن مبادرته بدافع شخصى منه وأنها لوجه الله وأن أمن الدولة لا دخل له بمراجعاته؟؟؟

وهل يجدى يا **سيد إمام** القهر والإذلال والتجبر في تغيير الأفكار؟؟؟

وهل كنت تحتاج إلى معاونة أمن الدولة بوسائلها المعتادة من القهر ليقنعوا المسلمين بأفكارك لو كانت لك حجة صحيحة أو دليل قوى؟؟؟؟"

وإلى هنا ينتهى ما استطعنا نقله من الرسالة الطويلة المنسوبة إلى المعتقلين بسجن الواحات (الوادى الجديد) ولا يمكن نشر الباقى لما فيه من السب والقذف لدكتور **سيد إمام** وتحميله كل ما يحدث لهم من قمع وسوء معاملة.

ومن ناحية أخرى فقد نشرت صحيفة الدستور المصرية أن عدداً غير قليل من المعتقلين الرافضين لمراجعات **سيد إمام** قد تم الإفراج عنهم في الفترة الأخيرة من سجنى النطرون (١) وأبى زعبل شديد الحراسة.

مراجعات أم إجبار على التراجع؟*

التسلسل المنطقي للعمل المسلح عند من ناضل قبلنا من أهل اليمين واليسار من الذين أنشأوا الحركات التحررية وبنوا الدول الحديثة عدلاً أو ظلماً، تطلب أولاً وجود رؤية فكرية وفلسفية تعطى التعاريف للإنسان والكون والحياة.

ومنها انبثق الخطاب السياسي الذي بشرت به سلمياً جماعةٌ حركية، اضطرت لأسباب ذاتية وموضوعية إلى الانتقال إلى مرحلة النضال المسلح في مهاجر آوتها.

هذه هي القاعدة التي سار عليها كل مُتبَنٍ للعمل المسلح في التاريخ! فهل خالفت الجماعات الجهادية هذه القاعدة وهي تنطبق تماماً على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم؟!

لنسأل بعد تداول أجوبة شافية تأتينا من مناخ حرية الاعتقاد والتعبير، عن المراجعات التي يراد لها الترويج لزعزعة الثوابت، وقبول التدين في قوالب معولمة لها الهيمنة الفرعونية وهي المسلحة بأسلحتها الذرية التي لا ترتدع من استخدامها لفرض أيديولوجيتها الشيطانية.

تَدَيُّنٌ غريب يأتينا مع غرائب القيم، تدينٌ فرداني نفعي، مليء بسلوكيات منحرفة.. كما ملئت برؤى سوفسطائية عبثية، المتبحر فيها خارج بالجهل نفسه الذي دخلها به من قبل!

بديهي لدى المسلم أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم خطاب إلهي عرَّف الخالق بالمخلوق، وأعطى المخلوق عِبر خياره الرؤية الواقعية التي تنسجم مع فطرته عن الإنسان والكون والحياة.. فاصطدمت دعوتهم هذه بمن خالفهم في الرؤية الفلسفية (كما هو اليوم كذلك).

---

* بقلم: فاتح كريكار مؤسس حركة أنصار الإسلام الكردية، وهى حركة جهادية معروفة بدورها الجهادي البارز في شمال العراق وأن لها علاقة حسنة بمنظمة القاعدة. (نقلاً عن موقع "الجزيرة" بتاريخ ٢٧ / ١٢/ ٢٠٠٧)

وهو أمر طبيعي لأن حياة المخلوقين صراع منذ آدم وإبليس. وحتى لو لم يظهر منك وأنت الصالح المسلم ما يهدد حياة أحد، تتعرض لتهديد من يرى في صلاحك فساده، وهذه إحدى العبر في قصة ابني آدم يوم لم يكن أمامهما من أسباب الاختلاف شيء إلا رفض الآخر!

هذا الصراع بهذه الصورة المبسطة هو نفسه بصوره المعقدة عند داروين وفرويد ودوركايم وماركس وصولاً إلى هنتيغتون ومن حوله!! فالكل يعطي تفسيراً من خلال رؤيته الفلسفية لصراع الحياة، فما المانع من إعطاء المسلم فرصة التعبير للتعريف؟!

ويتبنى المسلم البسيط خطاباً دعوياً تربوياً هو من مكملات الرؤية الفطرية حيث يدعو إلى تهذيب النفس البشرية على نموذج الصفوة المختارة عليهم السلام، ويفعل ذلك غيره بحرية، فهل المراد أن نقتدي جبراً بروبسبير وميرابو أو بجورج واشنطن ونيكسون أم بلينين وماوتسي تونغ!! حيث لكل أسوته!! فما المانع من إعطاء المسلم البسيط كذلك فرصة ذكر أنبيائه كما عرفهم هو!

صنف المسلم البسيط هذا أفراد مجتمعه إلى كافرين بدعوته ومؤمنين وبينهما منافقون لا يعرفهم إلا بسلوكهم ولا يحكم عليهم بشيء، هذا ما يفعله غيره الذي صنف الناس وهو يحكم إلى بروليتاريين وبورجوازيين ورجعيين مصلحيين يتأرجحون كالمنافقين بين بين.

وآخر صنف الناس وهو يحكم كذلك حسب إيمانهم بما هو عليه إلى أخيار وأشرار، وحدد لكل منهما محاور، واعتبر من ليس معه فهو ضده، ولِمَ لا يعطى المسلم البسيط المحكوم المحروم فرصة لتصنيف من حوله، والناس حوله يصنفونه إلى إرهابي وأصولي وظلامي ورجعي ومتحجر!

ما المانع في أن تعطى فرصة للناس ليروا أهل المساجد ويقارنوهم أحراراً بغيرهم، ما جُرمهم إن اختاروهم من دون غيرهم في الجزائر وماليزيا وفلسطين وتركيا؟!

يرى هذا المسلم البسيط تزكية من استجاب إلى دعوته على ما هو بنظر أنبيائه سلوكاً مستقيماً، فيقول لهم لا تكذبوا حتى في الأول من أبريل، لا

تسرقوا ولو من أموال الكافرين، وعيشوا كمن يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (فقر)، وقولوا للناس حسناً، وأوفوا الكيل والميزان.

وغيره يمتهن الكذب جهاراً نهاراً لأن الغاية عنده تبرر الوسيلة، فما كان من الكذب لصالح الحكام والمترفين من ورثة فرعون وهامان وقارون سماه الكذبة البيضاء!! وما كان من صالح المستضعفين سماه خيانة وتدليساً وإخفاء للحقيقة!

هذا المسلم البسيط حوّل سلوكه اليومي النابع من رؤيته الدينية إلى قيم اجتماعية، فصار الصالح والمصلح بين مجتمعه، أو هكذا يراه الشعب أو البسطاء من أمثالنا الذين لم يتعمقوا في السياسة، ممن لا يقرأون بين أسطر الدبلوماسية الدولية أو ممن لا يفهمون أن السياسة لا دين فيها ولا سياسة في الدين كما يقول السيد الرئيس وحاشيته الذين لم ينجب مثلهم رحم الأمة منذ قرون! وهم يحكمون منذ ربع قرن وقد جددت لهم البيعة أبد الدهر ثم لنُطفهم وهي ما زالت في ظهورهم!!

آمن هذا المسلم البسيط بأن الذين آمنوا هم عصبته، فهم إخوته في الله، وحق المسلم على المسلم ستة، لابد من ترجمته عملياً بينهم، وغيره قال يا عمال العالم اتحدوا والبروليتاري لا وطن له، وآخرون قالوا: لابد للمجتمع الدولي من تحمل مسؤوليته في نشر الديمقراطية في أفغانستان والعراق!

ومن قبل طالت دعوة لنشر الحضارة ٢٠٠ عام فما المانع أن يصبح للمسلمين البسطاء جماعة علنية يخرجون من المسجد ليجمعوا التبرعات لمن قتل الحاكم أباه، أو لمن هو في عداد المليارات الثلاثة الذين لا يحصلون على دولارين في اليوم!!

لم لا يُعطى المسلم البسيط حقَ إنشاء جماعة ممن آمن بمثل ما آمن هو به، ولغيره جماعات سياسية لا تؤمن بالله أصلاً وهو في بلد الألف مئذنة، أو تنكر النبوة وهو على بعد أمتار من الحرمين، أو يؤمن بحق ولي الأمر حتى في بناء المرافق الصحية!

فما الجرم إن لم يجد هذا المسلم البسيط وإخوانه حرية في المسجد أو في الزقاق، أو لقمة بكرامة أو أماناً من صولجان أن يهاجر إلى قرية، آمن

أهلها بما آمن به البسيط هذا؟! وشكل مع إخوانه من أهل القرية الذين آووا ونصروا مجتمعاً من البسطاء؟!

ما مكمن التعجب في تسلح أهل قرية من المهاجرين والأنصار بوجه المخاطر، خصوصاً ممن يفترسون في الظلام أو يتسللون لسرقة الخيرات أو يأتون متغطرسين في النهار لنهب البترول علناً لأنهم لم يحصلوا على بديل الطاقة بعد؟!

فهو لم يُبِدْ أهل القرية ليحل محلهم.. ولا أوقع حروباً أهلية فيها، فهي قرية أفغانية أهلها مسلمون مثله، رغم أنهم لا يفهمون لغة بعضهم، ما الجرم في ذلك وقد مات ماجلان في مندناو ومات كريستوفر كولومبس في أميركا، وكم مات في أستراليا ممن أباد الهنود الحمر؟!

وما الجرم في هجرة المسلم من مصر إلى قرية بوسنية دافع عن حرماتهم حتى قتل، كما هاجر تشي جيفارا إلى بوليفيا حتى قتل، أو هاجر تروتسكي قبلهما إلى المكسيك وعاش مناضلاً لفكره حتى قتل!

وما الجرم في دفاعهم عن أنفسهم في مهجرهم بوجه من يريد قتالهم لتغيير بطاقته الخضراء إلى الجنسية الأميركية!! والدفاع هذا غريزي في كل ذي روح، فلمَ دفاع المسلم عن روحه إرهاب وعدوان يستحقان الحروب الاستباقية؟!

لو أراد هؤلاء البسطاء من أهل القرية من المهاجرين والأنصار انتخاب مختار لهم يرأسهم، وحاكم يدير شؤونهم، ومدير شرطة يوفر لهم الأمان ويوفر للقانون قوة التنفيذ، وناطق يتكلم باسمهم، ووفد يتفاوض عنهم عندما يريد المقابل استرجاع المهاجرين البسطاء أذلاء إلى الجلادين في بلادهم أو مكبلين إلى غوانتانامو أو مختطفين إلى سجون طائرة أو إلى جزر الواق واق.

فلو امتنع المهاجرون والأنصار فصار قتالاً، فاجتمعت الأمة من الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا، والذين آووا ونصروا، هل في ذلك جريمة وقد اجتمع قبلهم الكادحون على مانيفيست ماركس وإنجلز ثم على ثورة لينين،

وصهاينة الآفاق على دعوة هرتزل وهاغانا وشتيرن إسحاق شامير؟! ولم تجرمهم محكمة؟!

مم نتراجع؟! أمن رؤيتنا الفلسفية عن الإنسان والكون والحياة؟ أم من دعوتنا إلى تغير مجتمعاتنا من الجاهلية التي هم فيها إلى إسلام الراشدين..؟ أنتراجع من تصنيف الله الناس إلى كافرين ومؤمنين إلى مواطنين وأجانب؟! أنتراجع عن قيماً رسخها الإسلام فينا لألف وأربعمئة عام؟! وترفّعنا بها عن الجاهلية وقيمها، أم عن شعورنا بجسدية الأمة الواحدة والبنيان المرصوص؟

نعم لمراجعات من خلال فكر هادئ ناضج عميق نابع من عقيدة سليمة وعقلية متفتحة تستوعب ما بالأمة من أمراض، نعم لمراجعات العلماء الأحرار وحملة الدعوة في الأجواء الصحية، وألف لا لمراجعات في السجون

أنتراجع عن آصرة الإيمان والهجرة والجهاد والإيواء والنصرة، وأركان تنشئتنا الاجتماعية، إلى أوحال "البلد أولاً"، وقد أيقنا أن الجاهلية لا أطعمتنا من جوع ولا آمنتنا من خوف، فلمَ العودة بالناس إلى عبادة الأصنام وشرعة أبي لهب؟!

مم نتراجع؟ وكل الأحرار في العالم يؤمنون أن بين الناس والحاكم عقداً اجتماعياً، تنازلوا باختيارهم عن بعض حقوقهم لتتحول بيده سلطة تحمي الجميع، وكل ذلك طبق دستور مدون اقتنعت به الرعية بعد المداولة والمدارسة، واختار الناس بمحض إرادتهم مجلس شعب يشرّع حسب قواعد الدستور الثابتة واختاروا حكومة تنفذ القوانين بينهم دون محاباة أو محسوبية.

مم نتراجع؟ عن الثوابت ومنها الجهاد الذي أيقن البر والفاجر أن لولاه بعد الله تعالى لحمل المغاربة الأناجيل الأربعة وتحدثوا كأميركا الجنوبية بالإسبانية أو الفرنسية بدلاً من العربية. وهل مدافعة الروس والشيشان ببعيد؟!

نعم للمراجعة إلى مزيد من التأصيل الشرعي، إلى الرؤية القرآنية في الفكر والممارسة، مع الفهم الواقعي لمناط التكليف زماناً وواقعاً، زماناً نفهم فيه استضعافنا لنخطط لاستراتيجية تعطينا الوضوح الرباني لرؤية الصراع، وواقعاً نتفهم فيه معركة الوعي بالذات.

نعم لمراجعات من خلال فكر هادئ ناضج عميق نابع من عقيدة سليمة وعقلية متفتحة تستوعب ما بالأمة من أمراض.

نعم لمراجعة الأخطاء، فالتوبة لغة وشرعاً: توقف وإقلال وندم وتراجع عن خطأ حصل نتيجة الشبهات أو الشهوات!! ولكن هل تغير نظرة هابيل تجاهنا وهو ما زال يمقت قبول الله قرباننا؟! وهل تغير الوصف الذي أخذناه من صفة القوم؟! ألم يتغير الوضع إلى الأسوأ؟

نعم لمراجعات العلماء الأحرار وحملة الدعوة في الأجواء الصحية، وألف لا لمراجعات في السجون.

بين التبرئة والتعرية...

الخلاف الشخصي بين الظواهري وفضل

بعد كتابة هذا الكتاب وإعداده للنشر أصدر دكتور **سيد امام الشريف (الشهير بدكتور فضل)** كتاباً جديداً صدر على عدة حلقات في الصحف وسماه "التعرية" وقد كتبت المقال التالي تعليقاً عليه:

لدي من المعلومات عن دكتور سيد إمام **(دكتور فضل)** أكثر مما قد يتخيله أحد وذلك لأنني انتهزت كل الفرص الكثيرة التي اتيحت لي لجمع أكبر قدر من المعلومات عن قادة الحركات الإسلامية خاصة الجهادية منها كي أعمق معرفتي بهم وبحال الحركات الإسلامية التي يقودونها أو يؤثرون فيها، ومن هنا كانت معرفتي الوثيقة **بسيد إمام** وإن لم ألقه، ومع ذلك فشيء واحد لم أعرفه عنه رغم أنه هام جداً عرفته فقط عندما قرأت حواراته مع صحيفة الحياة منذ نحو عام، هذا الشيء يتلخص في أن **سيد إمام** رغم علمه وذكائه إلا أنه تسيطر عليه عواطفه ووجدانه أكثر من عقله وعلمه وتأكد ذلك عندما قرأت رده المسمى "مذكرة التعرية لكتاب التبرئة" الذي رد به على كتاب **الظواهري** الذي نشره في مارس ٢٠٠٨م باسم "تبرئة أمة القلم والسيف من تهمة الخور والضعف."

وكتاب التعرية هذا نشرت حلقاته تباعاً جريدة الشرق الأوسط السعودية التي تصدر في لندن بعد شرائه بمبلغ كبير من **سيد إمام**.

والذي قرأ ما نشر من كتاب التعرية يدرك حجم نزعات البغض والكراهية والغضب التي تحرك قلم دكتور **سيد إمام** في رده على دكتور **أيمن الظواهري** ونفس الشيء تدركه بسهولة عندما تقرأ ما قاله **سيد إمام** في حواراته مع صحيفة الحياة عام ٢٠٠٧م، بغض وكراهية للجهاديين رفاقه وتلامذته السابقين... لماذا كل هذا البغض والغضب؟؟

هل لأنهم تركوه يقع في الأسر؟

أم لأنهم ردوا عليه آراءه ولم ينصاعوا له رغم أنه يسعى إلى ما فيه الخير للحركة الجهادية حسب تقديره للموقف؟؟

أم لأنه يشعر بأنهم حققوا شهرة فاقت شهرته ومع ذلك لم يلق القبض عليهم حتى الآن؟؟

أم مزيج من هذا جميعاً؟؟ ....

على كل حال فعنوان كتاب **سيد إمام** الذي صيغ سجعاً "التعرية لكتاب التبرئة" لا يعكس فقط روح الكراهية والبغض والرغبة في عمل فضيحة **لأيمن الظواهري** كأنه يعريه من كل ما يستره أمام العالم كله، لكنه أيضاً يكشف طبيعة وحقيقة العقلية التي يفكر بها الشيخ دكتور **سيد إمام** وهي عقلية أقرب إلى عقول القرون الوسطى الإسلامية عندما كان السجع البارد (كما يطلق عليه الأدباء) هو سيد الموقف في الكتابة عامة وفي عناوين الكتب خاصة، ربما يظن البعض أن هذا نقد شكلى لكتاب **سيد إمام** ولكنه في الحقيقة نقد جوهري ليس للكتاب وإنما لعقلية **سيد إمام** التي ما زالت تتعلق بأهداب الجانب السيئ من تراث القرون الوسطى الإسلامية، ونفس الشيء ينطبق على تسمية كتاب **أيمن الظواهري** "تبرئة أمة القلم والسيف من تهمة الخور والضعف".

فهؤلاء يسعون إلى حل مشكلات الأمة الإسلامية المعاصرة ورغم ذلك ما زال جزء كبير من عقولهم وقلوبهم معلقاً بأجواء ونماذج سيئة من تراث العصور الوسطى، وليتهم تعلقوا بالصحابة والتابعين لكانت الحال أفضل والنتيجة أنجح.

إن **أيمن الظواهري** مخطئ بالضبط كما أن **سيد إمام** مخطئ، إن **سيد إمام** مشغول بتعرية صديقه القديم وغريمه المزمن **أيمن الظواهري** عن الاهتمام بما يجري للأمة في الصومال والسودان وفلسطين وما يجري هناك لا علاقة له بالقاعدة ولا **بأيمن الظواهري**، وبدل ما يستخدم **سيد إمام** ذكاءه وعلمه (الذي لا يمكن أن ينكره أي منصف) للتفكير للأمة في حلول لهذه المصائب التي تغمرها حتى آذانها بدلاً من ذلك يسخر **سيد إمام**

قلمه وعلمه لإشغال الأمة **بأيمن الظواهري** وبتيار ربما في طريقه إلى الانزواء في دياجير النسيان ولو إلى حين.

لم يهتم **سيد إمام** بتعرية الاستبداد والديكتاتورية التي تعصف بالأمة الإسلامية عصفاً فضلاً عن أن يهتم باقتراح حلول تخرج بها الأمة من أزمة الاستبداد هذه، إنما اهتم بفضح غريمه بفضائح لو ثبتت صحتها لكانت فضيحة أكبر **لسيد إمام** نفسه، فعلى سبيل المثال فإن علاقة الظواهري بالترابي والحكومة السودانية بدأت مبكراً أيام كان تنظيم الجهاد في باكستان وكان ممثل تنظيم الجهاد لدى الحكومة السودانية في الخرطوم دكتور **أحمد عجيزة** قبل أن ينشق عن التنظيم فيما بعد وفي ذلك الوقت كان **سيد إمام** هو أمير تنظيم الجهاد وحتى عندما ترك **سيد إمام** إمارة الجهاد **لأيمن الظواهري** واستقر قادة الجهاد في السودان كان **سيد إمام** أمير لجنة الفتوى والبحوث الشرعية في التنظيم وبالتالي فهو عضو مجلس شورى التنظيم لأن مجلس الشورى في تنظيم الجهاد يتكون عادة من رؤساء اللجان، فهو بين قائد لأيمن في العمالة التي يتهم **أيمن** بها، ومشارك **لأيمن** فيها.

وهذا مجرد مثال على عدم عقلانية الفضائح التي يفضحها سيد لأيمن... فهو يفضح نفسه في نفس الوقت الذي يفضح فيه أيمن.

ثم ماذا عن القضايا الفقهية التي يريد **سيد إمام وأيمن الظواهري** أن يشغلونا بها؟؟

هل ينتهك الاستبداد إرادتنا ونخوتنا تارة وينتهك المحتل أرضنا وعرضنا تارة أخرى ونحن نتغاضى عن ذلك لننشغل مع السيدين **سيد إمام وأيمن الظواهري** حول شرعية التترس وهل تأشيرة الدخول عهد أمان أم لا؟؟.... وغير ذلك من القضايا الأبعد عن الأولويات.

إن هؤلاء مثلهم كمن دهم اللصوص بيته وأخذوا يسرقون أمواله ويغتصبون زوجته وبناته بينما استيقظ هو على صوت اللصوص فأخذ يجادل نفسه هل هو نام على وضوء أم لا وانشغل بذلك عن استباحة اللصوص لماله وعرضه.

احنا في ايه ولا ايه يا شيخ التعرية ويا شيخ التبرئة؟

لقد خطى **سيد إمام** خطوة جيدة بكتابه "وثيقة ترشيد العمل الجهادي" كان لابد أن تتبعها خطوات في نفس الاتجاه لتقديم فقه سياسة شرعية تقدم حلولاً لمشاكلات الأمة المتعددة ويتدارك فيها الأشياء التي انتقدت عليه بحق من قبل متخصصين غير جهاديين بل ومن قبل علمانيين، لكنه لم يقم بهذه الخطوة حتى الآن، وشغل نفسه بالتعرية.

أما **أيمن الظواهري** الذي ورط الأمة فيما ورطها فيه فما زال لا يراوح مكانه الفكري إلا بالكاد ورغم أنه قال في رده على أسئلة الجماهير إنه راجع ويراجع نفسه دائماً إلا أننا لم نر أثر هذه المراجعة حتى الآن، وما زال **الظواهري** سادراً في أخطائه لا يتزعزع عنها.

أما كتابه التبرئة فلم يأت فيه بجديد في مجال الفكر الجهادي. فهو قد أشار في عدة مواضع إلى عدم وجود مانع من مراجعة الفكر الجهادي وترشيده ولكن بصدق وليس بدوافع من المخابرات الأمريكية ومباحث أمن الدولة المصرية، لكنه مع هذا لم يراجع فكر الجهاد ولم ينقده في شيء بل برر كل شيء حتى دون أن يقيد بعض الإطلاقات في المفردات التي أصبحت تقليدية وجامدة في هذا الفكر.

وعلى سبيل المثال لا الحصر **فالظواهري** رغم تأكيده على دور الجماهير المسلمة في تغيير الأنظمة الحاكمة ورغم جعل هذه الفكرة هي التبرير السياسي الوحيد لاستهداف إسرائيل وأمريكا إلا أنه مع ذلك ظل مصراً على ترجيح الرأي الذي يبرر قتل المسلمين وغيرهم من الأبرياء في أثناء العمليات المسلحة ما دام هذا القتل جاء عرضاً أو لضرورة العملية الجهادية، وهنا يبرز التناقض الفكري عند الجهاديين عامة إذ كيف تهدف إلى كسب تأييد الجماهير وأنت تقتلهم كل يوم في الشارع بلا مبرر مقنع؟؟.

وهكذا لا نلاحظ أي إبداع أو تفكير جديد أو تطوير في الفكر الفقهي والسياسي عند **الظواهري** رمز القاعدة ورمز كل الجهاديين في العالم في كتابه الأخير فهو مجرد دفاع عن قلاعهم الفكرية التقليدية.

والجمود ليس هو الحل لا للقاعدة ولا لأي تيار جهادي لأن الأحداث تتسارع ضدهم وتفرض عليهم استحقاقات سياسية وفقهية عديدة تتطلب اجتهاداً وتفاعلاً مرناً كي يتم الوفاء بها.

ومن هذه الاستحقاقات علاقة القاعدة بالجماهير، إذ لم يقدم **الظواهري** أو أي من قادة الجهاديين أية مراجعة أو تقييم لسلوك المنظمات والأفراد التابعين لهم إزاء الجماهير كما لم يطرحوا حلاً لمشكلة النفور الجماهيري المتزايد تجاه القاعدة في العديد من الأقطار التي كانت معقلاً من معاقلهم.

وفي سياق آخر متصل نلاحظ عدم استجابة الظواهري في كتابه لتحدي هام جداً تواجهه القاعدة وهو موقفها المتشدد والمتناقض من الحركات الإسلامية الأخرى، ونلاحظ التشدد في هجومها المستمر على حماس والإخوان المسلمين وكل من يسعى إلى إحداث التغيير الإسلامي عبر الأساليب السلمية رغم أنه لا دليل شرعي ولا تفكير سياسي إسلامي سليم ينفي هذا الأسلوب السلمي في العمل الإسلامي، أما التناقض فنلاحظه في كتاب التبرئة عندما نلحظ تعاطفه مع كتائب القسام وهجومه على سيد إمام بسبب تكفيره لمن يدخلون الانتخابات أو ينتخبون من أبناء الحركات الإسلامية، ويعلق على ذلك بقوله "ويتجاهل نيتهم الحسنة" وهنا يقال للظواهري اعمل بما تطالب به سيد إمام ولا تتجاهل النية الحسنة للإخوان وحماس كما لابد له أن يعي إن كان في حرب شرسة حقيقية مع أعداء الإسلام كما يقول فإن أية حرب تحتاج الائتلاف لا التفرق والتناحر.

ورغم أن الظواهري يفصل كثيراً بشأن مشكلات الأمة الإسلامية إلا إنه عند الحديث عن كيفية التعامل مع هذه المشكلات نجده يتكلم كلاماً مجملاً لا تفصيل فيه، فضلاً عما به من تبسيط وسطحية مثل قوله بأن قتال الأمريكيين واليهود سيؤدي إلى الإطاحة بالأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي.

وفي كتاب التبرئة نلاحظ استمرار النغمة السائدة لدى القاعدة وهي التباهي بالانتصارات وعدم الإشارة إلى أي من أخطاء القاعدة أو إخفاقاتها، فضلاً عن أن يقيمها تقييماً سليماً ومتوازناً.

القسم الرابع

مستقبل تيار الجهاد في مصر

مستقبل تيار الجهاد بعد المراجعات

جددت مراجعات جماعة الجهاد في مصر الجدل بشأن مستقبل هذا التيار في مصر وهل ستؤدى هذه المراجعات إلى تراجعات على المستوى الحركى والتنظيمى أم أن لهذه المراجعات أثرها المحدود في الواقع العملى؟؟

وربما تجرنا هذه الأسئلة إلى أسئلة أخرى شديدة الارتباط بها بحيث لا يمكن الإجابة عنها إلا بالإجابة عن هذه الأسئلة المرتبطة بها، وأهم هذه الأسئلة المرتبطة بما ذكرناه من أسئلة، سؤالان هامان هما: ما هي العوامل التي أدت إلى نشأة تيار الجهاد في مصر؟؟ وما هي العوامل التي تؤدى إلى نجاحه في القيام بأنشطة بارزة أو مؤثرة في الواقع السياسي المحلى؟؟

أولاً: عوامل النشأة

لم ينشأ تيار الجهاد أصلاً إلا من منطلق تبنى فكرة تغيير نظام الحكم بالقوة على أنها الوسيلة الوحيدة التي لا بديل عنها لإحداث التغيير الإسلامي المنشود الذي دفع إلى تبني هذه الفكرة كوسيلة تغيير وحيدة كون حكام العالم الإسلامي حازوا الحكم بالقوة عبر الانقلابات العسكرية ثم تزوير الانتخابات بالقوة المسلحة وليس بالانتخاب الحر النزيه كما مارسوا التحكم في العملية السياسية والعملية الاجتماعية والدينية والاقتصادية بالقوة وليس باختيار الشعب كل هذا حسب رأي مفكري تيار الجهاد الذين أسسوا لهذا الفكر.

صحيح أنه نشأ اتجاه قوي لدى مفكري الجهاد فيما بعد يؤصل لتحريم الانتخابات وتحريم المشاركة في أية حكومة علمانية ولكن هذه الاتجاهات جاءت لاحقة على نشأة التيار وفكرته الأساسية وخطه الاستراتيجي، والأدلة على ذلك كثيرة منها الجدل الذي عصف بتنظيم الجهاد (تنظيم إسماعيل طنطاوي) بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م وكان حول شرعية مقاتلة دولة إسرائيل تحت قيادة علمانية وحكم شهادة من قتل في هذه الحرب من

أعضاء الجماعة من ضباط الجيش، فهنا نلاحظ أن تنظيم الجهاد نشأ عام ١٩٦٦م وهذا النقاش نشأ بعدها بعشر سنوات، وكذلك نجد أن دكتور **صالح سرية** (قائد تنظيم الجهاد الآخر) تكلم في كلمته المشهورة أمام المحكمة العسكرية بالقاهرة (١٩٧٤م) عن جواز المشاركة في الحكومات الكافرة واستدل على ذلك بفعل نبي الله يوسف عليه السلام وكذلك فعل النجاشي المسلم الذي كان معاصراً للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأقره النبي وصلى الله عليه وسلم وبعد موته صلى عليه صلاة الجنازة على الغائب، وصرح **صالح سرية** في خطبته هذه أنه بهذا الكلام يريد أن يوضح هذه المسألة للإخوة ويقصد بذلك طبعاً أعضاء تنظيمه لأنهم هم الذين يعتبرونه مرجعيتهم الشرعية الأساسية.

وبهذا يتضح أن الفكرة الأساسية التي قام عليها تنظيم الجهاد هي فكرة تحقيق هدفهم التغييري بالقوة المسلحة لعدم جدوى أى أسلوب آخر حسب رأيهم، وبالتالي فإن كل الفروق الفكرية الأخرى هي من قبيل التكميلات الفكرية التي نشأت بفعل عوامل كثيرة وبشكل لاحق على الدافع الأصلي والحقيقي لنشأة هذا التيار.

وأيضاً كان من أهم دوافع نشأة هذا التيار فشل حركات التغيير الإسلامي السلمية في تحقيق هدفها الاستراتيجي وهو إقامة الدولة الإسلامية لأن سبب ذلك هو التضييق على الحركة الإسلامية وقمعها ومنعها والبطش بها من قبل الحكام باستخدام القوة العسكرية الحكومية، وحسب رأى مفكري تيار الجهاد فإنه ما دامت هذه الحكومات استخدمت القوة لفرض وجودها وتوجهاتها فإن الحركة الإسلامية يلزمها الرد على هذه القوة بمثلها، ومن ثم مثل هذا دافعاً أساسياً لنشأة هذا التيار ومبرراً قوياً لهذه النشأة والمتفحص لتاريخ هذا التيار يجد مصداق هذا بسهولة في أحداث هذا التاريخ وإن كان معظم هذا التاريخ حتى الآن مجرد روايات شفهية فإن أدبياتهم السياسية تشهد على ذلك بوضوح ولعل أبلغ مثال على ذلك كتاب الفريضة الغائبة لمحمد عبد السلام هذا الكتاب الذى يعد أول دستور فكري مكتوب لتيار الجهاد بكل تنظيماته.

وفي نفس الوقت نلاحظ أن من أهم دوافع نشأة تيار الجهاد شدة وطأة الامبريالية والهجمة الغربية على العالم الإسلامي إما بمساندة الديكتاتوريات الوطنية الحاكمة في العالم الإسلامي وإما بالتدخل المباشر عسكرياً أو سياسياً واقتصادياً وهذه التدخلات بكل أنواعها صحبها دائماً وفقاً لرأي الجهاد غزواً ثقافياً، وهذه الآراء كلها ملحوظة في أدبياتهم السياسية العامة والخاصة مثل رسالة الإيمان من تأليف **صالح سرية** وكذلك الفريضة الغائبة من تأليف **محمد عبد السلام فرج**.

ثانياً: العوامل التي تؤدى بتيار الجهاد إلى القيام بعمل كبير

توفر قيادة لديها صفات معينة:

نلاحظ أن أي تنظيم جهادي مصري لم يقم بعمل بارز إلا إذا توفرت له قيادة ذات سمات معينة وأبرز هذه السمات في رأينا الاندفاع والتسرع بجانب وجود قيادة عسكرية محترفة، لأن وجود التسرع والاندفاع بدون قيادة عسكرية محترفة يؤدي إلى أعمال صدامية صغيرة كمهاجمة عنصر أمن ومحاولة الاستيلاء على سلاحه ونحو ذلك.

وهذه الأحداث الصغيرة حدثت كثيراً كما في عملية قتل حراس قنصلية أجنبية والاستيلاء على سلاحهم بالإسكندرية عام ١٩٧٧م وقام بها عناصر منشقة من تنظيم الجهاد.

أما نموذج القيام بعملية كبيرة بسبب وجود قيادة عسكرية محترفة مع وجود قيادة مندفعة ومتسرعة فهو متمثل في حالتين واضحتين:

الأولى: المحاولة الانقلابية الفاشلة التي عرفت إعلامياً باسم عملية الكلية الفنية العسكرية، وكانت القيادة العسكرية المحترفة متمثلة في دكتور **صالح سرية**، أما القيادة المندفعة فتمثلت في **كارم الأناضولي** رغم أن **كارم** كان أيضاً طالباً بالسنة النهائية من الكلية الفنية العسكرية.

الثانية: عملية اغتيال رئيس مصر السابق **أنور السادات** وما تلاها من عمليات، وقد تمثلت القيادة العسكرية المحترفة في **عبود الزمر** كما تمثلت

القيادة المندفعة في **محمد عبد السلام** وقيادات الصعيد (الذين عرفوا فيما بعد بمجلس شورى الجماعة الإسلامية).

وقد رأى دكتور **رفعت سيد أحمد** في بعض كتبه أنه كلما حوى تنظيم الجهاد عناصر من الجيش كلما قام بعمليات عنف كبيرة أو واسعة.

ونحن لا نوافقه على هذه المتلازمة بدليل أن تنظيم **إسماعيل طنطاوي** (أقدم تنظيم جهاد مصري) كان به ضباط ولم يقم بأية أعمال عنف، وكذلك تنظيم **صالح سرية** بعد **صالح سرية** (أى منذ ١٩٧٥م) وحتى ١٩٨٠م عندما جرى حله، كان يضم طوال هذه المدة عدداً لا بأس به من العسكريين المحترفين ومع ذلك لم يقم بأية عمليات، وهو ما ينفي القاعدة التي حاول وضعها **رفعت سيد أحمد** لتحليل وتفسير القيام بالعمليات المسلحة لدى تنظيم الجهاد.

قمع الحركات الإسلامية السلمية خاصة وسائر حركات المعارضة بصفة عامة:

لأن هذا القمع يمثل حجة قوية تستخدمها التيارات الجهادية في الترويج لفكرها السياسي وتصوراتها عن الواقع وأسلوب التغيير المناسب من وجهة نظرهم من أن الحكومة ديكتاتورية وقمعية ولا يصلح التعامل معها إلا بأسلوبها، فيعتبرون هذا القمع دليلاً على صحة موقفهم ومشروعهم التغييري، وهذا كله يسهل لهم عمليات تجنيد الشباب الجدد لتنظيم الجهاد.

ولذلك نلاحظ زيادة التجنيد لتنظيم الجهاد أوقات القمع كما حدث آخر أيام **عبد الناصر** و آخر أيام **السادات**.

فشل الحركات الإسلامية السلمية في تحقيق هدفها الاستراتيجي:

كما حدث عند نشأة تنظيم الجهاد فقد تم تأسيس تنظيم الجهاد وقتما وصلت جماعة الإخوان المسلمين إلى طريق مسدود مع **جمال عبد الناصر**.

وفي نفس الوقت فقد ركز الجهاد في خطابه السياسي دائماً على أن مبرر وجوده واستراتجيته التغييرية هو قمع الحركات الإسلامية السلمية من تحقيق أهدافها رغم تأييد الجماهير لها.

زيادة بؤر اضطهاد المسلمين من قبل قوى غربية أو قوى مدعومة من الغرب:

وعند شرح هذا العامل نحن في غنى عن أية إطالة، فجميع متابعي تطورات الحركة الإسلامية لا يخفى عليهم أثر الاضطهاد والظلم الواقع على المسلمين في إلهاب مشاعر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فقضايا مثل فلسطين وأفغانستان والعراق والبوسنة والشيشان وكشمير كل هذه القضايا كان لها أثر كبير على اتساع قاعدة التجنيد لتيار الجهاد في كل العالم العربي خاصة مصر، ولا شك أن الظلم والقمع القاسي جداً الذي وقع على المسلمين في هذه البقاع دفع وما زال يدفع شباب المسلمين إلى الإيمان بألا بديل لمقابلة هذا الظلم والقسوة بغير القوة التي هي جوهر استراتيجية تيار الجهاد.

وجود أو الإعلان عن نماذج ناجحة من التيار الجهادى في بعض البلاد:

يمثل إلهاماً للجهاديين في كل مكان بما في ذلك في مصر، وهذا الإلهام له تأثير كبير في تنشيط حركة التجنيد لهذا التيار وإلهاب حماسه ودفع قادته خاصة المتحمسين منهم إلى مزيد من النشاط والحركة وربما القيام بعمليات مسلحة، وكلنا يتذكر أثر عمليات القاعدة خاصة في العراق في إلهام عدد من المنظمات الجهادية في مصر للقيام بعمليات مسلحة كبيرة نسبياً مثل تفجيرات منظمة التوحيد والجهاد في طابا وشرم الشيخ ودهب بسيناء أعوام ٢٠٠٤م و٢٠٠٥م و٢٠٠٦م وكذا تفجيرات الأزهر وعبد المنعم رياض وحادث السيدة عائشة عام ٢٠٠٦م.

أثر العامل الأمني:

يؤدي ضعف أجهزة الأمن المكافحة للحركة الجهادية في إنعاش هذه الحركة وهو ما حدث في المرحلة من ١٩٧٩م وحتى عام ١٩٨١م في مصر.

كما حدث في بعض الأحيان أن تبنت الحركة الجهادية تكتيكات مناسبة للقضاء على أثر أجهزة الأمن القوية والنشيطة وأدى هذا إلى نجاح هذه التنظيمات الجهادية وحدث هذا من قبل أول منظمة جهادية مصرية بقيادة

إسماعيل طنطاوي وأيمن الظواهري من بعده في مصر في الفترة من ١٩٦٦م وحتى ١٩٧٩م، كما سلك تنظيم الجهاد في الفترة من ١٩٨٥م وحتى ١٩٩٢م سلوكاً مشابهاً جنبه الضربات الأمنية القوية.

مساندة قوى خارجية:

إن توفر إمكانيات علمية أو مالية أو تسليحية أو غيرها كمساندة لتيار الجهاد من قوى مهمة مثل دول أو منظمات كبرى يمثل عاملاً هاماً في تطور ونشاط تيار الجهاد، وذلك يبدو جلياً في حالات جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في الفترة من ١٩٨٦م وحتى ١٩٩٨م عندما كانت تتلقى دعماً متعدد الأشكال من كل من منظمة حكمتيار في أفغانستان والاستخبارات الإيرانية وأسامة بن لادن ومنظمة القاعدة والمخابرات السودانية، ونفس الشيء حصل مع الجماعة الإسلامية المصرية من نفس الجهات عدا منظمة حكمتيار فلم تكن تساندها ولكن كانت منظمة عبد الرسول سياف تساندها، ويلاحظ المراقب بسهولة الأثر الكبير لهذه المساندات إذا قارن بين أداء جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في الفترة من ١٩٦٦م وحتى ١٩٨٦م عندما لم تكن هذه المساندات موجودة، والفترة التالية أي من ١٩٨٦م وحتى ١٩٩٨م عندما كانت هذه المساندات موجودة.

وجود حالة شعبية من السخط على النظام الحاكم:

عادة ما تسهل حالة السخط على الحاكم من عمل تيار الجهاد إن في التجنيد أو التمويل أو التسليح أو التخفي أو التعبئة الشعبية، وغير ذلك، وهذا بديهي لا يحتاج إلى برهان، ومع ذلك فإن أبرز مثال على ذلك هو تنظيم الجهاد في مصر أواخر عصر أنور السادات.

ثالثاً: ما هو أثر النقد الذي تم توجيهه إلى فكر الجهاد طوال تاريخه وما هو أثره على مسيرة العمل الحركى لتيار الجهاد؟؟

سبق أن تعرض تيار الجهاد لنقد مباشر وغير مباشر طوال تاريخه، ولقد كان هذا النقد على مستويات مختلفة فمنه ما توجه بشكل جزئي ليرد على

جزئية معينة من جزئيات فكر الجهاد كما أن من هذا النقد ما تم توجيهه إلى أصل فكر الجهاد باستراتيجيته الكلية وفكرته العامة وذلك كله من أطراف عدة، ومع ذلك ظلت حركة تيار الجهاد على النحو الذي شهدناه طوال تاريخ هذا التيار الممتد من أكثر من أربعين عاماً وحتى الآن.

كما يلاحظ أن الطرح الفكري الخاص بكل تيار من التيارات الإسلامية المختلفة فكرياً مع تيار الجهاد يمثل في جانب منه نقداً فكرياً بشكل أو بآخر لتيار الجهاد.

ومع ذلك لم تؤد هذه الأطروحات الفكرية إلى أى انحسار في تيار الجهاد على النحو الذي شاهدناه عبر تاريخه القصير

إذ من الملاحظ أن هناك منظومة من استراتيجيات التغيير تتبناها التيارات الإسلامية المختلفة كالسلفية والإخوان والقطبيين والتبليغ والجهاد والصوفية، وإنما قلنا منظومة لأنها مجتمعة تكاد تغطي كل وسائل وأدوات التغيير التي قد تطرأ على ذهن أى ناشط إسلامي يبحث عن مخرج من الأزمة الإسلامية الراهنة، ولذلك كان من المحتم أن يتوزع الناشطون الإسلاميون على الاتجاهات الفكرية التي تمثلها هذه المنظومة، وكان طبيعياً أن تستوعب هذه المنظومة كل أو أغلب الناشطين الإسلاميين لسبب بسيط ألا وهو تعدد محتوى هذه المنظومة بما لا يدع جانباً من جوانب الفكر المتعلق بوسائل وأدوات التغيير إلا وقد حواها فمن يرد التغيير السلمي عبر وسائل سياسية يجد الإخوان المسلمين ومن يرد التغيير السلمي القائم على العمل الاجتماعي البعيد عن العمل السياسي سيجد السلفيين ومن يرد نمطاً صوفياً متطوراً نسبياً مع كونه بعيد عن السياسة سيجد التبليغ ومن يرد نمطاً صوفياً تقليدياً بعيداً عن السياسة سيجد طرقاً صوفية متعددة كما أن من يقتنع بالقوة كأسلوب تغيير سيتجه إلى تيار الجهاد بمختلف منظماته، كما أن من يحبذ تربية عقائدية أكثر صرامة سيجد مجاله مع القطبيين.

وهكذا نجد أن خريطة العمل الإسلامي تتكون من منظومة متكاملة من حيث قدرتها على استيعاب جميع الناشطين الإسلاميين لسبب بسيط جداً

وهو أن هذه المنظومة إنما صنعها فكر أمثال هؤلاء الناشطين بمختلف اتجاهاتهم الفكرية والاستراتيجية.

كما يلاحظ أن الارتباط بالتيارات الإسلامية له بعد نفسي واجتماعي فالمرتبطون بتيار ما لهم طبيعة نفسية ووجدانية خاصة مناسبة لهذا التيار مثل شخص صدامي أو عنيف ولو على مستوى الفكر فقط فهو لا يناسبه ولا يستوعبه سوى تيار الجهاد، بينما لو كان شخص ما يميل إلى تكريس حياته للعلم وللأنشطة العلمية فهذا سيجد مبتغاه في التيار السلفي أو القطبي وعلى هذا فقس سائر التيارات.

رابعاً: الخاتمة

أجبنا في صفحات سابقة عن عدة أسئلة بينت الإجابة عليها ماهية العوامل المؤثرة في نشأة تيار الجهاد، وكذلك ماهية العوامل المؤثرة سلباً أو إيجاباً في قدرة تيار الجهاد على القيام بعمليات كبيرة، ثم انطلقنا من هذين الموضوعين لنتبين أثر أي نقد فكري سبق وتم توجيهه إلى فكر تيار الجهاد فوجدنا أن هذا ليس له تأثير على تطور التيار أو حركته، لأن الطبيعة الفكرية والنفسية لبعض الناشطين الإسلاميين تحتم وجود مثل هذا التيار بجانب غيره من بقية التيارات الفكرية الإسلامية.

ولكن هنا قد يرد في ذهن القارئ سؤال مفاده: إن الجماعة الإسلامية بمصر (وهي إحدى فصائل تيار الجهاد) قد راجعت أفكارها وكان لذلك تأثيره عليها بالشكل الذي أبعدها عن تيار الجهاد فكرياً وعملياً، أفلا يكون هذا دليلاً على أن النقد والمراجعة الفكرية من شأنها أن تقضي على الوجود الحركي والعملي لهذا التيار؟؟

وقد رد البعض على هذا السؤال بأن تراجع الجماعة الإسلامية عن أفكارها تضمن قراراً تنظيمياً من قيادة الجماعة بوقف العمليات ولكنني أرى أن هذه الإجابة غير كافية، فهي تكاد تفسر الماء بالماء، إذ أنه من الطبيعي أن يتضمن أي تراجع فكري قرارات تنظيمية يتم صنعها وفقاً لمقتضيات الفكر الجديد.

لكن الذي يصح قوله في هذا الصدد هو إن الجماعة الإسلامية المذكورة كانت وما زالت ملكاً لمن يسمون بأعضاء مجلس الشورى، وهم كانوا يتمتعون بطاعة لدى أتباعهم أقرب ما تكون لمعنى القداسة ومن ثم فهؤلاء القادة امتلكوا القدرة والصلاحيات التي تمكنهم من تغيير فكر أعضاء الجماعة "بجرة قلم" كما يقال في اللغة المصرية الدارجة، أما غيرهم من قادة باقي المنظمات الجهادية فلا يمكنهم إلغاء فكر الجهاد بقرار من أي منهم مهما كانت مكانة صاحب القرار أو المراجعة، لكل الأسباب والتي سبق وقلناها.

وعندنا دليلان عمليان مشهوران في هذا الصدد:

الأول: دكتور **سيد إمام الشريف** هو من أكبر وأبرز علماء التيار الجهادي العالمي وكذلك كان أميراً لجماعة الجهاد الإسلامي المصرية وفي عام ١٩٩٣م قرر أنه لا حل الآن لتيار الجهاد على مستوى العالم بصفة عامة وتيار الجهاد في مصر بصفة خاصة وتنظيم الجهاد المصري بصفة أخص سوى تجميد العمل المسلح لأجل غير مسمى والاشتغال بطلب العلم في أثناء هذا التجميد لكن كل الجهاديين رفضوا ذلك بما في ذلك من كانوا نصبوه أميراً عليهم في تنظيم الجهاد المصري، وبعد قليل ولأسباب متعددة تم عزله أو اعتزل هو إمارة التنظيم وصار مفتياً للتنظيم فقط لفترة وجيزة بعدها ترك تنظيم الجهاد بالكلية، صحيح أنه ربما انتعشت ميوله الجهادية بعد حادثة ١١ سبتمبر وبعد غزو أفغانستان عام ٢٠٠١م، لكن ما بين طرحه الأول بتجميد الجهاد أواخر عام ١٩٩٣م وغزو أفغانستان أواخر ٢٠٠١م أكثر من سبع سنوات لم ينضم فيها إلى الطرح الذي طرحه بتجميد القتال سوى عدد لا يتعدى أصابع اليد الواحدة.

الثاني: **حسان حطاب** مؤسس "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" في الجزائر، تراجع منذ عدة سنوات عن فكره ومع ذلك لم يتبعه أغلب الجهاديين في الجزائر وظلوا على موقفهم الجهادي ضد الحكومة، وحتى القلة التي تراجعت منهم إنما تراجعت لأسباب أخرى أكثر من تأثير تراجع زعيمهم السابق.

والحاصل أنه دائماً هناك نسبة تراجع في التيار الجهادي منذ بداية نشأته وحتى الآن، وإلا فأين كل أعضاء التنظيمات الجهادية المصرية منذ نشأة هذه التيارات عام ١٩٦٦م وحتى الآن لا شك أن أغلبهم تراجع إما فكرياً أو حركياً، ونقصد بالتراجع الحركي أنهم توقفوا عن العمل التنظيمي الجهادي حتى لو كانت قناعاتهم الفكرية ما زالت راسخة دون اهتزاز، ورغم ذلك كله ورغم الضربات الأمنية الساحقة فالتنظيمات الجهادية كانت وما زالت تنشأ وتتحرك.

ولكن هل تضعف مراجعات الجهاد هذا التيار على المستوى الحركي أو العملي؟؟

في الواقع فإن عوامل قوة أو ضعف تيار الجهاد لا علاقة لها بمسألة المراجعات أو النقد الفكري، ولكنها وثيقة الصلة بعوامل أخرى ذكرناها تحت عنوان "عوامل النشأة" وأيضاً تحت عنوان "العوامل التي تؤدي بتيار الجهاد إلى القيام بعمل كبير".

مستقبل القاعدة في العراق

في هذه السطور نحاول رصد العديد من المتغيرات المؤثرة في تحديد مستقبل القاعدة عامة وفي العراق خاصة بناء على المعلومات المتاحة لنا.

وبداية لابد من الإشارة إلى أنه ربما كان السبب في عدم اتضاح معالم مستقبل القاعدة في العراق هو نقص المعلومات التفصيلية عن القاعدة عامة وعن القاعدة في العراق خاصة، وكذلك غياب صورة واضحة عن طبيعة القاعدة وطبيعة مشكلاتها الهيكلية وجوانب كل من التميز والضعف فيها.

وأول ما نلمحه مما يمكن أن نسميه "الخلل الهيكلي" في طبيعة تنظيم القاعدة هو طبيعة علاقتها بجماهير الناس الذين تعمل في محيطهم بصفة عامة والقوى التقليدية بين هذه الجماهير بصفة خاصة، وسبب ذلك الطبيعة المنغلقة لأعضاء القاعدة وتمسكهم بآرائهم وأفكارهم بجمود وتعصب وبلا تسامح مع المخالف في أدق الفروع الفقهية البسيطة فضلاً عن الأصول والعقائد، وجعل ذلك أعضاء القاعدة يعادون ويستعدون، الجماهير عامة والقوى التقليدية بشكل خاص كالمؤسسات الدينية التقليدية والطرق الصوفية ونحو ذلك.

وكان الاستثناء الوحيد في ذلك أفغانستان، حيث أدى جهاد القاعدة ضد الروس وتضحيات شبابها بدمائهم لإرساء قدر ما من الحب والثقة تجاه القاعدة لدى كثير من قادة القوى الدينية التقليدية.... حالة أفغانستان هذه استثناء محدود لأن السنوات بل الشهور الأخيرة قبيل أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١م في أفغانستان شهدت خلافات كثيرة بين القاعدة وقادة طالبان مما أدى **بالملا محمد عمر** إلى تعيين أحد أتباعه المخلصين من قادة الحركة الإسلامية في أسيا الوسطى مسؤولاً عن القاعدة وكل المنظمات الإسلامية غير الأفغانية وذلك طوال وجودها داخل الأراضي

الأفغانية بهدف إحكام السيطرة عليها وضبط تجاوزاتها للنظام في دولة طالبان.

ولم يعزز علاقة القاعدة بطالبان سوى الغزو الأمريكي والغربي لأفغانستان حيث اندمجت الدماء المتدفقة من قادة القاعدة وطالبان في مواجهة الغرب مما عزز التعاون بينهم.

نفس الشيء كان من الممكن أن يحدث في العراق أى أن تلغى مواجهة المحتل الأمريكى الفوارق الفكرية والعقائدية بين أنصار القاعدة، وعامة الجماهير العراقية وسائر القوى الشعبية التقليدية وأن تدفع قادة القاعدة إلى غض الطرف عن بعض من مواقف الجماهير والمؤسسات التقليدية المخالفة لأفكار ومذاهب القاعدة الفقهية.

لكن شيئاً من هذا لم يحدث وحاول قادة القاعدة فرض مفاهيمهم الفقهية التفصيلية على أوجه حياة جماهير عاشوا لعقود طويلة في ظل حكم علمانى استبدادي، هذا فضلاً عن اختيار القاعدة للدخول في صراع طائفى مع الشيعة على خلفية الخلاف المذهبى بين السنة والشيعة.

أما ثانى جوانب الخلل الهيكلى في طبيعة تنظيم القاعدة فهو الطبيعة المتنافرة التى تحكم علاقة قادة القاعدة بعضهم ببعض، فكلنا نذكر "خطاب" وعلاقة التنافس التى سيطرت على موقفه من "**أسامة بن لادن**" لدرجة أن خطاب لم ينضم للقاعدة أصلاً، بل أسس جماعته في الشيشان من أعضاء وقادة كانوا وما زالوا من أعضاء وقادة القاعدة.

وبالنسبة إلى العراق **فأبو مصعب الزرقاوى** نفسه لم يكن في يوم من الأيام عضواً في القاعدة ولا تابعاً **لأسامة بن لادن وأيمن الظواهرى** بل ظل مستقلاً حتى فترة متأخرة من وجوده بالعراق، ثم انضم في الجزء الأخير من حياته إلى القاعدة بقيادة **أسامة بن لادن وأيمن الظواهرى** تحت ضغط الواقع.

وهكذا فالتنافس هو سيد الموقف في علاقة الكثيرين من القادة المحسوبين على القاعدة بعضهم ببعض حتى في العراق وتحت قصف الطائرات الأمريكية.

وثالث جوانب الخلل الهيكلي في طبيعة تنظيم القاعدة هو عدم اشتغالهم بالسياسة وعدم دخولهم في المعادلات السياسية المحيطة وحتى عدم السعى إلى تغييرها وإرساء معادلات سياسية أخرى تحقق أهدافهم.

فقادة القاعدة غالباً وكذا أنصارها لا يؤمنون بشيء سوى السلاح.

فالأمر عندهم هو سلاح وموت وجنة فقط.

وهذا يفتح المجال لغيرهم ليستفيد من نتائج حركة القاعدة سياسياً، حتى لو كان هذا الغير منافساً للقاعدة أو عدواً لها.

ويرتبط بذلك عدم تقدير القاعدة للعواقب والنتائج السياسية والاستراتيجية لأعمالها.

وبذلك كله نفهم تصرفاتهم في العراق كل يوم إزاء المحتل والشيعة وعامة الناس.

وآخر جوانب الخلل الهيكلي في طبيعة تنظيم القاعدة هو طريقة إفراز وإعداد قادة القاعدة فالقاعدة ليس لها كيان سياسي كبير يتولى تدريب وإعداد القادة على الإدارة والقيادة بعد اختيارهم على أساس التمييز، بل كل قائد موكول لقدراته الذاتية التى اكتسبها بمجهوده الشخصى كل حسب ظروف حياته السابقة والحالية (هذا طبعاً باستثناء التدريب العسكرى المتميز الذى تمتاز به القاعدة)، كما لا توجد آلية منظمة لترقية القادة من الجندية للقيادة ثم المستويات الأعلى في سلم القيادة بل بالعكس الأمر موكول إلى ظروف الموت والحياة والحرب والصدفة.

فهل تتفوق القاعدة على نفسها وتعالج جوانب قصورها وتحقق المفاجأة بأن تطور نفسها تطويراً جذرياً شاملاً وسريعاً، وتعمل بالسياسة الشرعية، وتتسلح بالشجاعة في مراجعة نفسها في ميدان الفقه والفكر بنفس درجة شجاعتها في ميدان القتل والقتال؟؟؟

أم ستظل تكرر أخطاءها فتنتصر عسكرياً وتنهزم سياسياً، وبعد أن تطرد الاحتلال من العراق تخرج هاربة من العراق باحثة عن مأوى كما حدث معها في الصومال في مطلع التسعينيات من القرن الماضى الميلادى؟؟؟

هل انهارت القاعدة؟؟

قد يتعجب البعض كلما قبضت أجهزة الأمن في دولة ما على خلايا جهادية ذات علاقة ما بالقاعدة، ويسأل المتعجبون أنفسهم كيف اتصل هؤلاء بالقاعدة في ظل هذا الحصار الأمني المضروب على القاعدة من قبل أجهزة أمن واستخبارت وجيوش ١٨٠ دولة هي مجموع دول العالم كله فضلاً عن حلف شمال الأطلنطي بكل قواته واستخباراته؟؟

لكن عندما نلاحظ النشاط غير العادي للجهاديين على الإنترنت نعلم كيف أن ما كان يحكيه الكثيرون عن روابط تنظيمية قوية يتم توثيقها بين أعضاء وقادة القاعدة عبر الإنترنت ليست شيئاً مستغرباً، بل صار أمراً عادياً أن تجد مصرياً أو ليبياً يتعرف على قاعدي من بنجلادش ليلتقيا في إيران ويدخلا العراق عبر الحدود الإيرانية أو جزائرياً يسافر إلى سورية ويدخل من هناك إلى العراق بمساعدة لبناني أو تركي يقيم في سوريا، والتنسيق لذلك كله يتم عبر النت.

ومن هنا نفهم جانباً من اهتمام **أيمن الظواهري** والقاعدة بالإعلام حتى صار ما يعرف بالجهاد الإعلامي جزءاً هاماً جداً من الجهاد لدى الجهاديين.

وقد لاحظنا سيلاً متلاحقاً من الرسائل الإعلامية أطلقها رموز القاعدة في أربعة أشهر فقط كان أبرزها (في المثال الذي نضربه هنا):

- خطاب **أسامة بن لادن**: "السبيل إلى إحباط المؤامرات" ٢٠٠٧/١٢/٢٩.
- خطاب **أبى عمر البغدادي** (أمير منظمة دولة العراق الإسلامية): "الدين النصيحة" ٢٠٠٨/٢/١٤.
- خطاب **أسامة بن لادن**: "السبيل إلى خلاص فلسطين" ٢٠٠٨/٣/٢٠.

- خطاب د.**أيمن الظواهري**: "هبوا لنصرة أهلنا في غزة" ٢٠٠٨/٣/٢٤.
- "البنيان المرصوص" **لأبي عمر البغدادي** "أمير منظمة دولة العراق الإسلامية" بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٥.
- القسم الأول من إجابات د.**أيمن الظواهري** على أسئلة الجمهور عبر شبكة الإنترنت في النصف الأول من شهر أبريل ٢٠٠٨م.
- "خمس سنوات على غزو العراق وعقود على ظلم الطغاة" د.**أيمن الظواهري** بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٨م.
- "مسالك النصر" **لأبي حمزة المهاجر** وهو من تصفه مصادر القاعدة بوزير الحرب بدولة العراق الإسلامية ٢٠٠٨/٤/١٩م.
- القسم الثاني من إجابات **أيمن الظواهري** على أسئلة الجمهور عبر شبكة الإنترنت في الأسبوع الأخيرمن شهر أبريل ٢٠٠٨م.

وقد أدى تتابع هذه الرسائل في هذه الفترة الزمنية القصيرة إلى تفجر شلالات من المقالات التي يزعم أصحابها أنهم خبراء في الحركة الإسلامية عامة والقاعدة خاصة رغم أن ما كتبوه لا يمت إلى الحقيقة ولا إلى الخبرة بأية صلة.

فمن قائل إن القاعدة تعاني انحساراً جماهيرياً يدفعها إلى تكثيف نشاطها الإعلامي للتغلب على الانحسار.

ومن قائل إن القاعدة انتهت أو على وشك الانهيار ولم يبق منها إلا الخطاب الإعلامي الذي تحاول به أن تكرس وجودها ليصبح وجوداً شكلياً أو فكرياً فقط.

ومن قائل إن **أيمن الظواهري** رجل تافه ولم يكن رجلاً عمل في يوم من الأيام، وأنه مجرد ظاهرة صوتية....إلى آخر هذه التحليلات العجيبة والتي ليس عليها أى دليل سوى ادعاءات أصحابها.

ولنفهم الحقيقة التى تكمن وراء هذه الرسائل الإعلامية للقاعدة لابد أن نرجع قليلاً إلى الوراء وتحديداً إلى أوائل التسعينيات من القرن الميلادي الماضي، عندما كان **أيمن الظواهري** من أبرز قادة جماعة الجهاد الإسلامي المصرية في الخارج وتحديداً في بيشاور بباكستان أيام جهاد العرب مع الأفغان ضد الحكومة الأفغانية الشيوعية التي كانت مدعومة من الاتحاد السوفيتي السابق ثم من روسيا الاتحادية والهند بعد سقوط السوفييت، وحينها قرر دكتور **أيمن الظواهري** أن ينشر فكر جماعة الجهاد المصرية بين أبناء الحركات الإسلامية في العالم كله، وأسس لهذا الغرض مركزاً تعليمياً في بيشاور سماه "مركز النور"، وعين **أبا حذيفة** مسؤولاً عن إدارة المركز وأبو حذيفة هو قيادي بجماعة الجهاد المصرية وعضو اللجنة الشرعية بها واسمه الحقيقي هو **مجدي كمال** وهو محاسب من بني سويف بمصر ومشهور لدى الإسلاميين الموجودين ببني سويف بأنه باحث شرعي على مستوى متميز من العلم خاصة في مجال العقيدة وفقه الجهاد، وكان هدف هذا المركز كما حدده د.**أيمن الظواهري** ود.**سيد إمام** هو نشر فكر تنظيم الجهاد المصري في كل أنحاء العالم عبر إعطاء دورات مكثفة في الدراسات الشرعية لشباب وقادة المجموعات الإسلامية التي جاءت من معظم دول العالم للمشاركة في الجهاد الأفغاني.

وفعلاً فقد تمكن مركز النور من تدريس هذه الدورات للمئات من الشباب والقادة، ولم تقتصر الدورات على العرب بل كان من بين المتلقين لهذه الدورات عناصر من مختلف دول العالم مثل تركيا والصين والاتحاد السوفيتي السابق وأوروبا والهند والأمريكتين وإستراليا وطبعاً باكستان وبنجلادش وأندونسيا والفلبين، وكان نشاط مركز النور قاصراً على نشر الفكر الجهادي وتعليمه ولم يكن يتضمن أي توجيه تنظيمي من أي نوع كما لم يكن هناك أية محاولة لتجنيد أفراد عبر هذه العملية لأية منظمة ولا لأي نشاط.

وحدث عدة مرات أن دفعت هذه الدورات عناصر من دول مختلفة أن يسعوا إلى الانضمام لتنظيم الجهاد المصري باعتباره هو النموذج التطبيقي الأمثل لهذا الفكر الذي يدرسونه باعتبار أن قادته هم الذين يدرسون لهم الفكر الجهادي ومنهجه، ولكن أيمن الظواهري وسيد إمام كانا يرفضان

دائماً انضمام غير المصريين للتنظيم كما كانا يرفضان تولي أية شؤون تنظيمية لغير المصريين في أى مكان في العالم خارج مصر، بل إن أيمن الظواهري نفسه كان يضع سقفاً على معدل التجنيد وحجم العضوية في تنظيم الجهاد المصري، وحدث ذات مرة أن عرضت مجموعة كبيرة من الجزائريين أن تنضم إلى الجهاد المصري بعد أن أتمت دوراتها في مركز النور وكاد الأمر يتم لأن عدداً من قادة الجهاد المصري بدأوا يميلون في هذه المرحلة إلى تكوين تنظيم عالمي يضارع الإخوان المسلمين ليزيد من إمكانيات الحركة الجهادية لكن **أيمن الظواهري** رفض بشدة فعادت المجموعة الجزائرية إلى الجزائر وانضمت إلى الجماعة الإسلامية الجزائرية ثم انشقت عنها وكونت الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وإثر ذلك تكرر نفس المشهد إذ طلبت مجموعة كبيرة من الليبيين الانضمام إلى تنظيم الجهاد المصري ليكونوا فرعاً له في ليبيا لكن تكرر رفض **أيمن الظواهري** رغم موافقة العديد من قادة تنظيم الجهاد وطبعاً رأي **أيمن الظواهري** هو الذي جرى تنفيذه وعادت المجموعة الليبية إلى ليبيا لتشترك في تأسيس منظمة جهادية في ليبيا، ثم تكرر المشهد مع مجموعة تونسية كان منها ضباط سابقون بالجيش التونسي وكانوا قد هربوا من تونس بعد فشل محاولتهم لإسقاط طائرة الرئيس التونسي **زين العابدين بن علي** بصاروخ مضاد للطائرات، وتكرر مشهد رفض **أيمن الظواهري** رغم إلحاح معاونيه عليه بالموافقة وحينئذ انضمت المجموعة التونسية إلى الجماعة الجزائرية ونفذوا عمليات مسلحة في الأراضي التونسية انطلاقاً من الأراضي الجزائرية.

وهنا نجد سؤالين يطرحان نفسهما بإلحاح حول سبب إصرار **أيمن الظواهري** على الرفض رغم إلحاح من حوله على الموافقة، وكذلك لماذا كان يقيد **الظواهري** حجم العضوية داخل تنظيم الجهاد المصري أصلاً؟؟؟

في الحقيقة فإن **أيمن الظواهري** كان يعتقد أن اتساع حجم العضوية الخاصة بأى تنظيم إسلامي في ظل أوضاع عدم وجود دولة إسلامية هو عامل ضعف في هذا التنظيم، لأن هذا التنظيم سيعجز عن توفير التدابير الأمنية والاجتماعية والاقتصادية اللازمة لجميع الأعضاء، كما كان **الظواهري** يعتقد أنه كلما كبر حجم التنظيم كلما كان هدفاً واضحاً وسهلاً

لأعدائه وصعب على قيادته القيام بعمليات الإخفاء والتمويه اللازمة لهياكل التنظيم.

ومن هنا كان رفض **الظواهري** لتوسيع عضوية التنظيم أو تحويله إلى تنظيم دولي يضم أعضاء من دول أخرى، لكنه في المقابل كان يؤمن بأن الانتشار الفكري لفكر تنظيم الجهاد يحقق فوائد التوسع التنظيمي وفي نفس الوقت يمنع أضرار هذا التوسع والتي ذكرناها في السطور السابقة، ولذلك أنشأ الظواهري مركز النور لنشر فكر الجهاد في كل أنحاء العالم كما ذكرنا، ورأينا كيف أن هذا أدى إلى نشوء تنظيمات جهادية عديدة في عدد من الدول الإسلامية، وما ذكرناه مجرد أمثلة وليس حصراً لكل هذه التنظيمات.

وانطلاقاً من كل ما سبق يمكننا فهم ما يفعله **أيمن الظواهري** بمساعدة مجموعات عديدة من عناصر ما تسميه القاعدة بالجهاد الإلكتروني، فعصر مركز النور في مدينة بيشاور (الأشبه بالريف منها بالمدن) قد ولى وجاء زمن شبكة الإنترنت، فالإنترنت صار بديلاً مناسباً لمركز النور كي ينشر الفكر الجهادي، كما أن **الظواهري** عبر النت يقوم برسم ونشر الاستراتيجيات الجهادية التي تحولها المنظمات والمجموعات المتعاطفة مع القاعدة إلى أساليب عمل مناسبة لهذه الاستراتيجيات.

وهكذا نفهم أن اهتمام القاعدة بالإعلام وانشغالها به انشغالاً كبيراً الآن هو تكتيك عمل ثابت كرسه **أيمن الظواهري** منذ أكثر من عشرين عاماً عندما سعى إلى نشر الفكر الجهادي.

لكن نجد هنا تساؤلات عديدة تطرح نفسها مرة أخرى مثل:

لماذا كان أغلب قادة القاعدة منذ تأسيسها من الجهاد المصري مثل **أبي عبيدة البنشيري وسيف العدل** والرائد **عبد العزيز الجمل** والعقيد على **أبى السعود** وغيرهم كثير؟؟

وكيف سمح **الظواهري** بمثل هذا التوسع عبر التداخل مع القاعدة أيام كان في الجهاد المصري ثم توج هذا التداخل بالاندماج كلية بين الجهاد المصري والقاعدة؟؟

والإجابة على هذا السؤال بسيطة وهي أن **الظواهري** شعر بأهمية هذا التداخل ثم الاندماج بسبب الضغط الأمريكي على تنظيمه، كما أنه أمكنه عبر هذا التداخل ثم الاندماج أن ينفذ نفس المبدأ التنظيمي الذي يضع في أولوياته الاعتماد على الانتشار الفكري أكثر من الاعتماد على التوسع التنظيمي.

لكن هل هذا ينفي وجود اتصالات تنظيمية وحركية بين هذه المنظمات التي أنتجها فكر القاعدة وكذلك بين هذه المنظمات والقيادة الرئيسية للقاعدة والممثلة في **أسامة بن لادن وأيمن الظواهري؟؟**

بالطبع لا لأن الفصل بين هذه التنظيمات ومنع إدماجها كلها في تنظيم مركزي هدفه مصلحة الفكر الجهادي الذي تحمله هذه المنظمات وتسعى إلى تحقيق أهدافه وتأمين ذلك كله ضد هجمات أعداء القاعدة، وليس هذا الفصل واللامركزية هدفاً في حد ذاته، فكلما كان الاتصال والتعاون يساعد على نجاح هذه الأهداف فإنهم يتصلون لكن بشرط عدم الإخلال بالقواعد الأمنية ومنها لامركزية التنظيم والإدارة أو بالأحرى أكبر قدر ممكن من استقلالية التنظيمات القطرية، ولذلك لاحظنا أن **الظواهري** في إجاباته على أسئلة الجماهير لا يتكلم تفصيلاً في شؤون التنظيمات القطرية التابعة للقاعدة بل يتكلم إجمالاً وينصح السائل بالرجوع إلي مسؤوليه إن رغب التفصيل.

وإذا تقرر أن اهتمام القاعدة بالإعلام هو تكتيك قديم وثابت عند منظر القاعدة الأول **أيمن الظواهري** فهل هذا يعني أن تكتيك السعي إلى كسب التأييد الجماهيري قديم لدى **الظواهري؟؟**

إجابة هذا السؤال تعرضنا لها في الصفحات السابقة وأوضحنا أن الاهتمام بكسب التأييد الجماهيري جديد على فكر الجهاد المصري **والظواهري وبن لادن** لكن لابد أن نوضح هنا أن نشر الفكر الجهادي الذي سعى إليه **الظواهري** منذ عشرين عاماً كان يستهدف نخبة محددة وهي أعضاء وقادة مجموعات الحركة الإسلامية فقط، بينما الجديد الآن هو اهتمامهم بعامة جماهير الشعوب العربية والإسلامية.

مستقبل التيار الجهادي في مصر والعالم

ما هو مستقبل تيار الجهاد المصري وماهو مستقبل القاعدة بعد مراجعات **سيد إمام؟**

هذا السؤال وجهه إلي من مختلف دول العالم كثير من الصحافيين والمحللين المهتمين بشؤون الحركات الجهادية خاصة الجهاد المصري والقاعدة...

ولقد جاءت الصفحات الأخيرة في هذا الكتاب كي تعيد علينا طرح هذا السؤال، كما حتمت علينا هذه الصفحات الإجابة على هذا السؤال مهما كانت درجة صعوبته.

أولاً: ما هو المستقبل السياسي للتيار الجهادي بصفة عامة؟

نشأ تيار الجهاد في البداية كتعبير عن استراتيجية معينة وهي استراتيجية إقامة نظام حكم إسلامي بالقوة المسلحة على أساسين حسب فكر مؤسسي تيار الجهاد.

الأساس الأول: أن نظم الحكم في العالم الإسلامي هي نظم استولت على الحكم بالقوة المسلحة وليس بالاختيار الحر للشعب كما أن الغرب الاستعماري تحول من الاستعمار العسكري إلى الاستعمار الاقتصادي والسياسي عبر ربط النظم الحاكمة في العالم الإسلامي بنسق اقتصادي يتسم بالتبعية للغرب اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً مقابل مساندة الغرب لهذه النظم الحاكمة في قمع شعوبها والاستئثار بثروات بلادها دون شعوبها.

الأساس الثاني: أن استخدام القوة باسم الجهاد هو أحد وسائل العمل السياسي الإسلامي وفق شروط وقواعد وأحكام معينة، وكذلك استخدام القوة في تغيير المنكر هو أحد الوسائل المشروعة وفق قواعد وأسس وأحكام معينة.

ووفق هذه الاستراتيجية فإن تيار الجهاد هو تعبير عن طريقة معينة في

التفكير أو بتعبير أدق هو حركة فكرية وسياسية، ولكن تطورات الأحداث منذ نشأة تنظيم الجهاد وحتى الآن أثبتت أن اعتبارات الغضب هي الغالبة على قرارات تنظيمات الجهاد وليس الاعتبارات السياسية والاستراتيجية وبالتالي صار الحكم على تيار الجهاد بأنه مجرد تعبير عن غضب وليس تعبيراً عن فكر أو استراتيجية هو حكم سليم إلى حد كبير ومن ثم فإن التعبير الذي أطلقه البعض على تنظيمات الجهاد بأنها تنظيمات الغضب الإسلامي فيه قدر كبير من الصدق.

بل إن شئنا الدقة المتناهية فلنقل أن إطلاق وتأسيس استراتيجية تنظيم الجهاد وفكره السياسي عبر في بدايته عن فكر إسلامي وفق استراتيجية محددة لكنه بعد ذلك غلب على مراكز صناعة القرار فيه أصحاب نزعات الغضب غير الرشيد على أصحاب الرأي السديد والتفكير الاستراتيجي، ونظراً إلى هذه الغلبة فإن الفكر السياسي والاستراتيجي لتيار الجهاد لم ينم ولم يتطور وظل أسير أفكاره القديمة التي أطلقت منذ نشأته دون مراجعة أو تطوير.

ومن هنا تجمد وتكلس الفكر لصالح الغضب وأصبح التيار الجهادي تعبيراً بامتياز عن غضب قطاع مهم من الأمة الإسلامية، لكنه غضب عشوائي لا يحكمه سوى النزوع البشري الفطري للغضب.

وبسبب ذلك تحتم علينا أن ننظر إلى مستقبل التيار الجهادي من هذا المنطلق... منطلق أنه حركة غضب وليس حركة سياسية تعبر عن فكر استراتيجي ديني ذي أطر موضوعية.

ولقد شهد التاريخ الإسلامي العديد من هذه الحركات منها الخوارج في العصر الأموي وشيعة آل البيت في العصرين الأموي والعباسي الأول، وكان مصيرهما واحداً هو الفناء والعجز عن الاستيلاء على الحكم وعن إقامة دولة تسير وفق أسسهم الفكرية والعقيدية. (والمقارنة هنا مقارنة للجوانب السياسية في هذه الحركات وليس المقارنة العقائدية، فالخوارج والشيعة والقاعدة مختلفون بعضهم عن بعض عقائدياً لكننا نتكلم هنا عن الجانب السياسي فقط).

لقد اتسم الخوارج والشيعة في هذه الفترات التي نتكلم عنها بالحماس والشجاعة الشديدتين وحققا بطولات ونجاحات منقطعة النظير لدرجة أن كان العشرات منهم يهزمون الآلاف من جيوش الأمويين، كما تفانى الشيعة

في الثورة والفداء والتضحية، ومع ذلك لم ينجح أي منهما في إزاحة الأمويين عن سدة الحكم كما لم ينجح أي منهما في إقامة دولة خاصة به وبعقيدته، فقط نجح الشيعة والخوارج في إضعاف نظام الحكم الأموي الأمر الذي سهل على العباسيين تحقيق أمنيتهم بالاستيلاء على الحكم، لقد استغل العباسيون حركة الخوارج السياسية والعسكرية وحركة الشيعة السياسية والعسكرية للاستيلاء على الحكم الأموي وليس هنا محل تفصيل ذلك ولكن يكفي القول بأن العباسيين بما امتلكوا من فكر سياسي واستراتيجي متميز تمكنوا من استغلال ثمار ونتائج حركة كل من الفصيلتين (الخوارج وشيعة أهل البيت) لتحقيق الأهداف العباسية الاستراتيجية رغم أنها أهداف مضادة ومعادية تماماً لكل من الشيعة والخوارج.

بل إن الأمويين بقيادة **عبد الرحمن** الداخل نجحوا في إقامة دولة لهم في الأندلس بعد سقوط دولتهم في المشرق بسنوات قليلة لما لهم من قدرات في التفكير والعمل الاستراتيجي والسياسي لم تكن موجودة حتى ذلك الوقت لدى الشيعة والخوارج رغم أنه كان قد مر على نشوء حركتي الخوارج والتشيع (التشيع بمعناه السياسي وليس العقيدي) في ذلك الوقت أكثر من مئة عام.

ولم ينجح كل من الخوارج والشيعة بعد ذلك في إقامة الدول الخاصة بكل منهما إلا بعدما أجريا تغيرات جذرية على فكرهم السياسي والاستراتيجي.

ومن ثمَّ فاننا نرى أن هذا المصير هو الذي ينتظر تيار الجهاد بصورته الحالية، فروسيا وإيران وسوريا استفادوا من هزيمة الولايات المتحدة في العراق وأفغانستان بينما لم تستفد القاعدة شيئاً سوى مجد النصر، روسيا كسبت وقتاً رجعت فيه قوة عظمى دولية، وإيران بنت مشروعها النووي ودشنت وجودها كقوة عظمى إقليمية، وسوريا دفعت عن نفسها مخاطر زوال نظام الحكم العلوي وظلت متشبثة بدورها الإقليمي المؤثر، أما القاعدة فاكتفت بسمعة وصيت النصر، نعم قد تنجح القاعدة أو الجهاديون مستقبلياً في استنزاف قوة ما وإضعافها قد تكون هذه القوة الولايات المتحدة أو أوروبا عبر أي مكان أو أثيوبيا (عبر الصومال) أو روسيا (عبر الشيشان) أو إيران (عبر العراق و أفغانستان) لكنها لن تنجح أبداً في إقامة دولة ذات تأثير أو شأن ما لم تراجع فكرها السياسي والاستراتيجي

وتقومهما وتطورهما، لكن قبل أن تغير وتطور نفسها فسيظل الآخرون يستأثرون بثمار عملها دونها، وكما انتصرت في الصومال عام ١٩٩٤م وخرجت منها وانتصرت في أفغانستان عام ١٩٩١م وخرجت منها فسوف تنتصر في العراق وتخرج منها إذا بقيت سائر الأوضاع داخل تنظيم القاعدة كما هي.

ثانياً: ما هو المستقبل السياسي لتيار الجهاد في مصر؟

من الثابت أن تنظيم الجهاد المصري منذ نشأته وحتى الآن كان دائماً متكوناً من مزيج محدد في القيادة يتمثل في طرفين:

- طرف مندفع جداً للصدام المسلح مع الدولة (أو متعجل جداً في ذلك) وفي تعجله واندافعه هذا لا يبالي بدواعي نجاحه في تحقيق أهدافه ولا حتى بأدنى القواعد الأمنية أو الإدارية الخاصة بمثل هذه التنظيمات في مثل هذه الظروف التي يعملون فيها.
- طرف رصين إلى حد ما ويتمتع بقدر ما من الرؤية والتفكير الاستراتيجي والهدوء النفسي يريد أن يبني التنظيم بهدوء بدون تسرع وبعيداً عن أي صدام مبكر مع أجهزة الدولة، ثم يستولى على الحكم بأقل قدر من الصدام المسلح مع أجهزة الدولة وعلى أن يستغرق هذا الصدام وقتاً قصيراً وبأقل خسائر بشرية.

ولقد ظل هذا المزيج يقود تنظيمات الجهاد المختلفة من البناء والتوسع وحيازة قدر ما من القدرة على يد الطرف الهادئ ذي التفكير الاستراتيجي ثم بعدها يتغلب الطرف المندفع على صناعة القرار فيقود التنظيم إلى الانتحار على مذبح الصدام مع أجهزة الدولة.

حدث هذا مع تنظيم **إسماعيل طنطاوي** عندما انفصل **يحيى هاشم** ثم دخل في صدام مسلح مع أجهزة الأمن قضت على تنظيمه وأرغمت تنظيم **إسماعيل طنطاوي** على مزيد من التواري والتحلل، وهنا نجد **يحيى هاشم** متسرعاً ونجد **إسماعيل طنطاوي** متريثاً.

ونفس الشيء في تنظيم **صالح سرية** فنجد التريث من نصيب **صالح سرية** بينما الاندفاع والتعجل قاده **كارم الأناضولي**، ونجح **كارم** في دفع التنظيم

إلى صدام مبكر مع السلطة عبر محاولة انقلابية فاشلة عرفت إعلامياً باسم عملية الكلية الفنية العسكرية.

وتنظيم الجهاد الذي أجهض في عام ١٩٧٧م كان سبب إجهاضه هو قيام عدد من أعضائه بهجوم مسلح على حراس قنصلية أجنبية بالإسكندرية بهدف سلب أسلحتهم الحكومية بدون إذن ولا قرار من قيادة التنظيم.

وتنظيم الجهاد عام ١٩٨١م بقيادة **محمد عبد السلام فرج** (الذي اغتال **السادات**) قاد **عبود الزمر وأحمد سلامة** فيه الجناح المتريث بينما قاد **محمد عبد السلام** (رحمه الله) ومعه قادة الصعيد (هم من يسمونهم الآن بالقيادة التاريخية للجماعة الإسلامية أو مجلس الشورى) الجناح المتهور، وعندما تحالف تنظيم **محمد عبد السلام فرج** مع تنظيم **أيمن الظواهري** أصبح تنظيم **أيمن** بقيادته هو **وسيد إمام وعصام القمري وأمين الدميري** يمثل الجناح المتريث بينما دفع تنظيم **محمد عبد السلام فرج** الجميع إلى الصدام المسلح مع السلطة ممثلين القوة المتهورة في هذا التيار في ذلك الوقت.

وابتداء من منتصف ١٩٩٣م أخذ التيار المتهور في تنظيم الجهاد في السيطرة على قرار التنظيم مما دفع التنظيم إلى الدخول في مواجهة مع أجهزة الحكم في مصر وقاد التنظيم إلى الضعف ثم التحلل عبر الاندماج مع القاعدة.

ومنذ منتصف التسعينيات من القرن الماضي ولأسباب كثيرة نشأت مجموعات جهادية جديدة كثيرة تميزت بأنها ليس لها اتصال بتنظيم الجهاد المصري كما تميزت بأنها قليلة العدد إذا قيست بما كانت عليه أرقام العضوية بتنظيم الجهاد المصري.

ورغم أن هذه المجموعات اختلفت من حيث تبني بعضها لفكر الجهاد المصري وتبنى بعضها الآخر فكر القاعدة، إلا أنها تكاد تكون اتفقت في شيء واحد هو سيطرة الشخصيات المندفعة التي تتعجل الصدام والقتال مع أجهزة الحكم على قيادة هذه المجموعات أو على صناعة القرار فيها مما أوقعها جميعاً تحت مقصلة الإجهاض الأمني المبكر لها قبل أن تتمكن من

حيازة إمكانيات وقدرات ذات شأن، وصارت سيطرة روح الغضب والاندفاع والتعجل في الاشتباك المسلح مع أجهزة ورموز الحكم هي السمات الغالبة على مثل هذه المجموعات منذئذ وحتى الآن، ومن ثم صار مصيرها القتل أو السجن ولم يعد هناك – حسب المعلومات المتاحة - أي وجود تنظيمي كبير أو مؤثر لتنظيم الجهاد المصري أو القاعدة في مصر، بسبب هذا العامل.

ثالثاً: ما هو أثر المراجعات على التيار؟؟

ما هو أثر مراجعات الجهاد التي قادها سيد إمام ومن قبله مبادرة وقف العنف التي رسخها قادة الجماعة الإسلامية على الوجود الفكري والتنظيمي للتيار الجهادي؟

ظنت جهات عديدة إسلامية وحكومية أن هذه المراجعات هي فرصة تاريخية أتاحت الإجهاز على فكر وتنظيمات الجهاد في مصر وربما العالم والانتهاء من مشكلة وجودها إلى الأبد، لكن في الواقع أن هذا الظن هو مجرد خيالات سطحية لا تصمد أمام التفكير العلمي الجاد كما أشرنا إلى ذلك في الصفحات السابقة من هذا الكتاب، ولا شك أن تيار الجهاد بتنظيماته المختلفة سيظل موجوداً وفق العوامل التي أشرنا إليها سابقاً.

ولكن ما هو التأثير الحقيقي لمراجعات الجهاد التي قام بها دكتور **سيد إمام الشريف**؟

يمكن القول باطمئنان إنها لا تأثير لها على النسق الرئيسي في فكر الجهاديين في مصر والعالم ولا على الجسم الرئيسي لتنظيمات الجهاديين سوى أنها حركت الماء الراكد داخل هذا التيار بإثارة الجدل الفكري والتنظيمي، ذلك الجدل الذي لو قدر له أن يستمر ويتطور عبر عقليات ناضجة داخل هذا التيار فإنه سيخلق تطويراً وتجديداً داخل هذا التيار الجهادي وليس انهياراً واستسلاماً وتحولاً إلى تيارات أخرى حكومية أو إسلامية كما ظن البعض، أما ما لم يستمر هذا الجدل ويتطور فإنه لن يكون لهذه المراجعات أي تأثير يذكر على هذا التيار.

أما المراجعون الذين يتسمون بالاستقلال والنزاهة وعدم الانقياد إلى جهة حكومية أو أخرى فقد كرستهم هذه المراجعات كتيار إسلامي جديد، قد يكون له شأنه وتأثيره مستقبلاً لو نشط هؤلاء في الواقع السياسي والإسلامي وبلوروا استراتيجية عمل ناضجة وسلكوا إلى تحقيقها أساليب مناسبة، أما لو انزوى هؤلاء بعيداً عن الواقع السياسي والدعوي معتزلين العمل السياسي كما هو الحال حتى الآن فسوف يطويهم النسيان ولن يكون لهم أي شأن يذكر في الشارع السياسي الإسلامي.

الفهرس

الموضوع	الصفحة

المقدمة ٥

التمهيد: جماعات تيار الجهاد في مصر ٧

القسم الأول

ماضي وحاضر تيار الجهاد في مصر والعالم ١٥

تاريخ تيار الجهاد في مصر ١٩٦٦-١٩٨١م ١٧

العوامل المؤثرة في تطورات الحركات الإسلامية الجهادية ٣٣

أشهر الشخصيات في تيار الجهاد المصري ٤١

د.سيد إمام ورحلته من كلية الطب إلى مراجعات الجهاد ٥١

المصريون في القاعدة من هم؟ وأين هم؟ وما هو مصيرهم؟ ٥٥

الظواهري ينافس برنامج الإخوان المسلمين الانتخابي ببرنامج للقاعدة ٦٣

أيمن الظواهري عينه على مصر ٦٧

بيان بن لادن ٧٥

غادان في حرب الأفكار بين القاعدة والأمريكان ٧٩

القاعدة في العراق تعلن تحالفها مع عدد من شيوخ العشائر السنية ٨١

مصادر القاعدة

ترد على "سي إن إن".. تحالف طالبان والقاعدة ما زال مستمراً وطالبان هم أمراؤنا ونحن جنودهم ٨٥

التيارات الإسلامية المسلحة عام ٢٠٠٨م ٨٩

انفجار في حديقة الحسين ٩٥

زجاجتان حارقتان في محطة المترو بالزيتون ١٠١

الجهاديون الجدد ١٠٥

الموضوع	الصفحة

القسم الثاني

من أدبيات تيار الجهاد	**١١٥**
عرض كتاب الفريضة الغائبة	١١٧
آخر شيء كتبه دكتور سيد إمام قبل القبض عليه بيوم واحد	١٢٣
عرض كتاب وثيقة ترشيد العمل الجهادى لدكتور سيد إمام الشريف	١٣٧
الظواهري يرد على مراجعات الجهاد المصري ..عرض كتاب "التبرئة"	١٤٣
كتاب طارق الزمر "مراجعات لا تراجعات"	١٥٧

القسم الثالث

مراجعات تيار الجهاد	**١٦٥**
المناظرة بين الظواهري وسيد إمام	١٦٧
نقد كتاب الظواهري حول مراجعات الجهاد المصري	١٧٩
أمير تنظيم الجهاد في السجن يرد على تصريحات سيد إمام لصحيفة الحياة	١٨٣
الجهاد المصري يهاجم المعتقلين الإسلاميين	١٨٧
منع الزيارة عن المعتقلين الإسلاميين بسجن الواحات	١٩١
مراجعات أم إجبار على التراجع؟	١٩٥
بين التبرئة والتعرية... الخلاف الشخصي بين الظواهري وفضل	٢٠١

القسم الرابع

مستقبل تيار الجهاد في مصر	**٢٠٧**
مستقبل تيار الجهاد بعد المراجعات	٢٠٩
مستقبل القاعدة في العراق	٢١٩
هل انهارت القاعدة؟؟	٢٢٣
مستقبل التيار الجهادي في مصر والعالم	٢٢٩

التنظيم والتنظير

رغم الدور الهام الذى تلعبه الحركات الإسلامية فإن التاريخ الحقيقي لمعظمها ما زال غير مكتوب بسبب السرية التى تتبعها معظم هذه الحركات فى سلوكها، ولقد اهتم المؤلف منذ أكثر من ثلاثين عاما بتوثيق تاريخ هذه الحركات من أفواه صانعى أحداثها والمشاركين فيها و من هنا فإن هذا العمل عن منظمتى الجهاد و القاعدة مهم جدا ليس فقط للاسلاميين الذين اعتاد معظمهم على تكرار أخطائه و لكنه أيضا مهم لجميع المهتمين بالتاريخ و السياسة و حركات الإسلام السياسى , و قد كان اعتقال المؤلف الذي زاد مجموعه عن ١٧ عاما- رغم مرارتهوسيلة فعالة لجمع المزيد من المعلومات عن التيارات الاسلامية بمختلف مدارسها الفكرية.

الناشر

مكتبة مدبولى

MADBOULY BOOKSHOP

٦ ميدان طلعت حرب – القاهرة – ت : ٢٥٧٥٦٤٢١

6 Talat Harb SQ. Tel.: 25756421

www.madboulybooks.com - info@madboulybooks.com

تصميم الغلاف: عاليا عبد الرؤوف